علي الجوهري

حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة



دار الفضيلة

علي الجوهري

حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة

دار الفضيلة

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير
الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس ٦٦٢٢٢٢٢
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات: دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

سورة النساء ١٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

﴿ الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم ؛ صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ﴾

أما بعد

فهذا كتاب يبين فساد الملة اليهودية والملة النصرانية بأدلة كتابية ، من التوراة والزبور والأناجيل ، ويبين أن انفصال النصارى عن ملة اليهود ، ليس عليه دليل ، لا من التوراة ولا من الإنجيل ، ويبين خداع بُولُس وشيعته للنصارى .

وقد كتبناه على طرائق أهل الكتاب فى الكتابة ؛ لهداية الناس إلى الحق ، ولإبعادهم عن الخداع .

وقد رتبناه بعد التقديم على الفصول التالية :

ونمهد للفصول فى التقديم بمعنى بركة إبراهيم فى الأمم . وكيفية تضليل اليهود والنصارى فيها ، وفى غيرها من المعانى .

تمهيد
بركة إبراهيم فى الأمم

ابراهيم

أ – « وقال الرب لأبرام : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك ؛ فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك . وتكون بركة . وابارك مباركيك ولاعنك ألعنه . وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » [تك ١٢ : ١-٣]

لاحظ قوله : « وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض »

ب – «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ؛ ظهر الرب لأبرام وقال له : أنا الله القدير . سر أمامى وكن كاملا ؛ فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا . فسقط أبرام على وجهه . وتكلم الله معه قائلا أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد أبرام ، بل يكون اسمك إبراهيم ؛ لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم» [تك ١٧ : ١-٥]

لاحظ قوله « لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم »

ج – «ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء . وقال : بذاتى أقسمت بقول الرب : إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل الذى على شاطىء البحر . ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى» [تك ٢٢ : ١٥-١٨]

لاحظ قوله : «ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض»

د – «كما كلم آباءنا : لابراهيم ونسله إلى الأبد» [لوقا ١ : ٥٥]

«لأنه يذكر الوعود التى وعد بها إبراهيم وابنه إلى الأبد» [برنابا ١ : ٢٢]

هـ – «تبارك اسم الله القدوس الذى برحمته أشفق على خلائقه ، فأرسل إليهم أنبياءه ؛ ليسيروا فى الحق والبر أمامه ، الذى أنقذ عبيده من كل شر ، وأعطاهم هذه الأرض ، كما وعد أبانا إبراهيم وابنه إلى الأبد ، ثم أعطانا ناموسه الطاهر على يد عبده موسى ؛ لكى لايغشنا

الشيطان ، ورفعنا فوق جميع الشعوب[1] [برنابا ١٢ : ١٤ - ١٦]

فما معنى بركة إبراهيم فى الأمم . وهو إنسان لن يعيش طويلا ؟

إنه إنسان معظم ومكرم بالنبوة . وعمره مائة وخمس وسبعون سنة . فكيف تتبارك فيه جميع قبائل الأرض ؟ إنه لما نبذ عبادة الأصنام ، حبا فى الله رب العالمين ؛ خرج من قومه بعدما دعاهم إلى الله وحده إلى أرض فلسطين[2] ، ودعا فيها إلى الله . واتجه إلى مصر وفيها دعا إلى الله ، وذهب إلى بلاد البيت الحرام ودعا إلى الله ورفع قواعد الكعبة . وأذن فى الناس بالحج إليها . وكل من آمن بالله على يديه ، كان يذكر أن إبراهيم سبب هدايته ، فيشكره ويدعو له ، ويدين له بالولاء . ولذلك صار الأب الروحى لكل القبائل التى عرفت الله بسببه ، وصار اسمه معظما بينهم .

وقد أراد الله تعالى أن يظل اسم إبراهيم مباركا إلى الأبد . فأوحى إليه بأنه سيهبه أولادا من صلبه ، يقومون بالدعوة إليه من بعده . ورزق على الكبر بإسماعيل وإسحق - عليهما السلام -

ثم تم العهد بين الله وبين إبراهيم على النحو التالى :

١ - يسير إبراهيم أمام الله بالدعاء إليه لا إلى آلهة أخرى .
٢ - ويكون قدوة صالحة فى فعل الخير .
٣ - وإنه إذا سار وكان قدوة ، يجعل الله من نسله ملوكا على الأمم والشعوب ، ويورثهم جميع أمم الأرض .

---

(١) تثنية ٢٨ : ١٣

(٢) عُرفت فلسطين منذ القدم بأرض « كنعان » نسبة إلى الكنعانيين العرب ، الذين وفدوا إليها من شبه الجزيرة العربية ، وأشادوا فيها حضارة زاهرة ، لا تزال بقايا آثارهم فى مدنها المختلفة ، تدل عليهم ، حتى يومنا هذا . ولذلك تعتبر فلسطين من الناحية البشرية امتداداً طبيعياً لشبه الجزيرة العربية ، حيث كانت تتلقى منها موجات الهجرة البشرية على مختلف العصور . وأما من الناحية الجغرافية ، فتعتبر فلسطين ، امتدادا لبلاد الشام (سورية الكبرى) فهى تقع فى الطرف الغربى من الهلال الخصيب وتقع سورية ولبنان والأردن فى بقية هذا الطرف ويقع العراق فى الطرف الشمالى من هذا الهلال ، ولا توجد موانع طبيعية تفصل فلسطين عن بقية الأقاليم السورية . ولهذا لم تشكل فلسطين فى يوم من الأيام وحدة إقليمية بالمفهوم الجغرافى . ولهذا كان تاريخها امتدادا لتاريخ بلاد الشام . منذ أن بدأت الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام حيث أرسل المسلمون إليها خمسة أجناد ، كان من ضمنها جند عرف بجند فلسطين [ص١١ سياسة الإنتداب البريطانية للدكتور إبراهيم رضوان الجندى]

وقد رضى إبراهيم عليه السلام بالشرط وبالجزاء . ودعا الله تعالى أن يكون نسل إسماعيل داعيا إليه . فاستجاب الله لدعائه . وقال له : «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه» ووعده أيضا بالبركة فى نسل إسحق ، المولود بعد إسماعيل بأربعة عشر عاما .

والبركة هى : أن يُكثر الله نسل إسحق وإسماعيل . فيعمرون الأرض ، ويسيرون بين الناس بالدعاء إلى الله والقدوة الصالحة . ويكون منهم الملوك على الناس ليمكنوا لحكم الله فى الأرض .

وتبدأ البركة فى نسل إسحق من نبى يصطفيه الله من نسله ، ويعطيه شريعة . ويقوم هو وبنو إسحق بنشرها بين الأمم ، بواسطة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والقتال والحرب . وإذا فتحوا قرية من القرى ؛ ينصبون على أهلها حاكما من نسلهم ، ويكون معه نسخة من كتاب الشريعة ؛ ليحكم الناس بها ، وليعلمهم إياها . ويبنى فيها المساجد ويقيم المدارس . وإذا ظهر النبى المصطفى من نسل إسحق ، وقام نسل إسحق بنصرته ومساعدته . ونشروا كتاب الشريعة ومكنوا له ؛ فإن بركة إسحق تكون متحققة وظاهرة . ويلزم على تحققها وظهورها ؛ أن الناس يمجدون إبراهيم أباه ، ويتذكرون جهاده مع قومه فى نبذ الأصنام . فيكون ذكره بينهم عاطرا . وقد بدأت بركة إسحق فى الأمم من موسى عليه السلام . وظلت قائمة إلى أن ظهرت بركة إسماعيل فى الأمم من محمد ﷺ

ولقد كان لإبراهيم ستة أولاد من قطورة هم : ١ - زِمران ٢ - يَقْشان ٣ - مدان ٤ - مِديان ٥ - يِشباق ٦ - شوحا . وقد أعطاهم إبراهيم عطايا ، وصرفهم . لأن الله لم يرد البركة إلاّ فى إسحق وإسماعيل فقط .

وقد أنجب إسماعيل : ١ - نبَايُوت ٢ - قِيدار - الذى جاء منه محمد ﷺ ٣ - أدبئيل ٤ - مِبسام ٥ - مِشماع ٦ - دُومة ٧ - مَسًّا ٨ - حَدار ٩ - تيْما ١٠ - يَطُور ١١ - نافِيش ١٢ - قَدْمة . وعاش إسماعيل مائة وسبع وثلاثون سنة .

وابن إسماعيل الذى سيأتى منه النبى الذى ستبدأ منه بركة إسماعيل فى الأمم هو «قيدار» كما يقول النسَّابون .

وإسحق أنجب : ١ - يعقوب ٢ - عيسو . وقد بارك إسحق ولده يعقوب المسمى أيضا بإسرائيل ولم يبارك عيسو . فأصبح نسل يعقوب هو الحامل لبركة إسحق ، وأصبح نسل قيدار هو الحامل لبركة إسماعيل . وقد جاء من يعقوب موسى . وجاء من قيدار محمد .

وبدأت بركة إسحق فى الأمم من موسى عليه السلام فإن الله أعطاه التوراة موعظة وتفصيلا لكل شيء . وأخرج بنى إسرائيل من مصر ، وحارب قبائل فى أرض سيناء ، ودعاهم إلى الله رب العالمين ، ودعا فرعون وجميع أهل مصر إلى الله ، وبنى المساجد فى «مصر» لعبادة الله تعالى . كما قال تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه : أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة ، وأقيموا الصلاة . وبشر المؤمنين ﴾[1]

ومن بعد موسى قام يشوع بن نون بأمر الدين من بعده ، فسار أمام الله فى أرض سيناء وفتح أريحا ونشر التوراة وألزم الناس بأحكامها ، ثم جاء شموئيل النبى بعد زمان ، من موت يشوع فطلب منه بنو إسرائيل ملكا يقاتلون معه فى سبيل الله ، فنصب عليهم طالوت ملكا . وقد استعان بداود عليه السلام ﴿وقتل داود جالوت﴾[2] رئيس جيش الفلسطينيين . ودخل داود مدينة « اورشليم » واسس الهيكل لعبادة الله تعالى - كما هو مبين فى سورة البقرة - ﴿وورث سليمان داود﴾[3] وأرسل إلى ملكة سبأ يدعوها إلى الإسلام على شريعه التوراة . فاسلمت و﴿ قالت : رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾[4]

هكذا كانت بركة إسحق فى الأمم . سير امام الله بشريعة التوراة . وقدوة صالحة أمام الأمم ، وجهاد فى سبيل الله . وملوك على الناس . كما قال تعالى : ﴿ وإذا قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين ﴾[5]

وكان كل نبى من بنى إسحق أتى من بعد موسى . فإنه على سنته وشريعته قد اتى . حتى اخر نبى فيهم . وهو عيسى عليه السلام كان على سنته وشريعته . وذلك لقوله : « على كرسىِّ موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ماقالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه » ولقوله : «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس»

وهكذا كانت بركة إبراهيم فى الأمم . لقد سار أبناؤه من نسل إسحق أمام الله وفتحوا بلاداً وقهروا أمماً ، وحكموهم بحكم الله . ولما تمكن الإيمان من قلوبهم ؛ شكروا إبراهيم وأبناء إبراهيم وأثنوا عليهم ، لأنهم كانوا سبب هدايتهم إلى الإيمان .

ولكن علماء بنى إسرائيل فى أيام سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م قصروا شريعة التوراة على بنى إسرائيل والساكنين بينهم . ومن هذا الزمان إلى

---

(١) يونس ٨٧ (٢) البقرة ٢٥١ (٣) النمل ١٦ (٤) النمل ٤٤ (٥) المائدة ٢٠

زمان محمد ﷺ كانت بركة إبراهيم ناقصة ؛ لأن النسل المكلف بنشرها بين الأمم ، ترك جهاد الأمم ، واكتفى بتعليم بنى إسرائيل ، ثم بالغ فى التعليم إلى الدرجة التى جعل فيها شريعة التوراة كجسد بلا روح . فأين بركة إبراهيم؟[1]

أين بركة إبراهيم من سبى بابل إلى زمان عيسى عليه السلام ؟ إنها كانت مفقودة .

ولما ظهر عيسى عليه السلام ليبشر بمحمد ﷺ وليصحح التحريفات التى لحقت بمعانى التوراة ، وليبين لهم ما كانوا فيه يختلفون ، أفسد عمله الشياطين من بنى إسرائيل . فأين بركة إبراهيم من زمان عيسى إلى زمان محمد عليهما السلام ؟ .

ولما ظهر محمد ﷺ تحققت بركة إبراهيم فى الأمم ، وبركة إسماعيل ابنه على أكمل وجه وأحسن بيان .

واليهود الذين يدعون أنهم أبناء إبراهيم ، وحاملى بركته فى الأمم ، هم الذين عطلوا بركة إبراهيم من سبى بابل . وهم الذين أفسدوا عمل عيسى عليه السلام . وهم الذين يشككون الناس فى نبوة محمد ﷺ فكيف يدعون أنهم أبناء إبراهيم وهم الذين يمنعون بركته بين الأمم ؟

إننا نحن المسلمين . الذين نحمل بركة إبراهيم بين الأمم . ونقول فى صلواتنا: «اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى ال إبراهيم . وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم . فى العالمين[2] . إنك حميد مجيد»

---

(١) إن بنى إسرائيل لم يكتفوا بإلغاء الجهاد فى سبيل الله . وإنما أعادوا كتابة التوراة وحرفوها ، لتكون شريعة لهم إلى الأبد . ومما كتبوه : أن اليهودى لا يقرض اليهودى بالربا ، وإنما يقرض الأجنبى بالربا . ومما يدل على أن التوراة محرفة : أن نسخ التوراة مختلفة فى بعض المعانى . ففى السامرية تقديس جبل جرزيم ، وفى العبرانية تقديس جبل صهيون . وفى التوراة نصوص تدل على أنها ليست من عهد موسى مثل خبر موت موسى ودفنه فى أرض موءاب وأنه لا أحد يعرف قبره . وفيها : أن لوطا عليه السلام زنى بابنتيه ، وأن ابن داود عليه السلام زنى بأخته .

(٢) أى فى جميع أمم الأرض .

نصوص التوراة عن محمد صلى الله عليه وسلم

وقد ذكر الله تعالى عن بركة إبراهيم فى القرآن الكريم : ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ؛ إنه حميد مجيد ﴾[1]

وذكر عن تقسيم البركة بين إسماعيل وإسحق : ﴿وباركنا عليه﴾ أى على إسماعيل الذبيح ﴿ وعلى إسحق . ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾[2]

والمعنى : أن يظهر من نسل إسماعيل نبى يعطيه الله شريعة ليعمل بها الناس ، ويقوم أهله بنصرته ومؤازرته فى فتح البلاد بالدعوة والجهاد والقتال بالسيف . ثم يجلس من أهله على عروش البلاد حكام يحكمون بالحق وبالعدل ويبنون المساجد ويقيمون الشعائر لذكر الله تعالى . وعندئذ يشكر الناس إسماعيل والنبى الذى أتى من نسله لهدايتهم ؛ لأن الله جعلهم سببا فى إيمانهم ، ويثنون على إبراهيم عليه السلام لأنه أب لهذه الذرية الصالحة التى تقاوم الشيطان وأعوانه .

وقد طلب إبراهيم من الله تعالى أن يكون من إسماعيل هداة إليه . فقال له : «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه . وأثمره وأكثره . كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة » [تك ١٧ : ٢٠] وبشر ملاك الله هاجر أم إسماعيل بأن نسل إسماعيل ، سيكون مخالطا للأمم ، مرة رئيسا عليهم ومرة مرءوسا منهم «وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا . وتدعين اسمه إسماعيل ؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك . وإنه يكون إنسانا وحشيا . يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه . وأمام جميع إخوته يسكن » [تك ١٦ : ١١-١٢]

«ونادى ملاك الله هاجر من السماء . وقال لها : مالك ياهاجر؛ لاتخافى . لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء . فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكبر . وسكن فى البرية . وكان ينمو رامى قوس . وسكن فى برية فاران . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» [تك ٢١ : ١٧-٢١]

وقد ذكر الله فى التوراة نبوة موسى ، حامل بركة إسحق فى الأمم . وذكر معها نبوة محمد ، حامل بركة إسماعيل فى الأمم فقال : «وهذه هى

---

(١) هود ٧٣ (٢) الصافات ١١٣

البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران . وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قديسيه في يدك . وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من أقوالك» [تثنية ٣٣ : ١-٣] فسيناء إشارة إلى نبوة موسى عليه السلام وكان علماء بنى إسرائيل يفسرون التوراة ويستنبطون الأحكام منها للناس فى ساعير . والتلألؤ من جبل فاران إشارة إلى نبوة محمد عليه السلام لأن إسماعيل مبارك فيه ، كما بارك الله فى إسحق أخيه . وأتى من ربوات القدس معناها :
وسيأتى مع جماعات عظيمة من الصحابة الأطهار المقدسين نحو أرض فلسطين ومعه شريعة إلهية سيمكن لها بالحرب والقتال . وأحب الشعب : إشارة إلى النبى الاتى وهو محمد عليه السلام بأنه محب الشعوب . وأشار بجميع قديسيه فى يدك إلى أن أتباعه الأطهار لايخرجون عن طاعته . وهم ممتثلون لأمره ، يتقبلون من تعاليمه .

ثم بين الله زمان ظهور النبى الآتى من إسماعيل فى قول يعقوب لبنيه : «لايزول قضيب من يهوذا . ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شِيلُون وله يكون خضوع شعوب» [تك ٤٩ : ١٠] أى أنه إذا أتى نبى السلام «شيلون» فإن الملك سيزول من بنى إسرائيل على يديه ، وستنسخ الشريعة التى يمكنون لها فى الأرض بقوة السلطان . وسيكون هذا النبى من بنى إسماعيل ؛ لأن الله بارك فيه كما بارك فى إسحق أخيه .

وكان بنو إسرائيل عند جبل الطور ، لما رأوا بروقا ورعوداً وناراً ودخان نار ، حال كلام الله مع موسى ، قد قالوا لموسى : إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ، فليكن عن طريقك ونحن نسمع لك ونطيع . فقال الله لهم : لن أكلمهم عن طريقك ، وإنما سأكلمهم بعد زمان عن طريق نبى من إخوتهم . وله يسمعون ويطيعون . والمراد بإخوتهم : بنو إسماعيل . لأنه أخ لاسحق . وهم جميعا أبناء إبراهيم الموعود بأن به تتبارك جميع أمم الأرض .

ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية :

« متى دخلت الأرض التى يعطيك الرب إلهك ، لاتتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم . لايُوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار . ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولامتفائل ولاساحر . ولامن يرقى رقية ، ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى ؛ لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب . وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك . تكون كاملا لدى الرب إلهك . إن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين

والعرَّافين . وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا .

يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى . له تسمعون . حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى . ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا ؛ لئلا أموت : قال لى الرب : قد أحسنوا فى ماتكلموا . أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك . وأجعل كلامى فى فمه ؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه . وأما النبى الذى يُطغى ، فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم الهة أخرى ؛ فيموت ذلك النبى .

وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى . فلا تخف منه » [تثنية ١٨ : ٩-٢٢]

ففى هذا النص : تحريم العرافة والكهانة والسحر ، وتحريم السماع لكلام العرافين والمتنبئين بالغيب ، من أعوان الشياطين . وإباحة السماع من «النبى الأمى» الآتى ، المماثل لموسى عليه السلام . والمماثلة منصوص عليها فى قوله : «ولم يقم بعدُ نبي فى إسرائيل مثل موسى ، الذى عرفه الرب وجها لوجه فى جميع الآيات والعجائب التى أرسله الرب ، ليعملها فى أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه ، وفى كل اليد الشديدة ، وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى ، أمام أعين جميع إسرائيل » [تث ٣٤ : ١٠-١٢]

وقوله «من وسط إخوتهم» نص متشابه يحتمل أنه سيكون من بنى إسرائيل ، ويحتمل أنه سيكون من بنى إسماعيل والنص المتشابه يجب البحث عن محكمه ؛ لرده إليه . ومحكمه هو : النص على بركة إسماعيل . والمتفق معها هو المعنى الثانى ؛ فيكون هو مراد الله تعالى .

وكان كل نبى من بعد موسى يأتى على سنته وشريعته . وكان الله يرسلهم إلى بنى إسرائيل والأمم للدعوة إلى دينه وفقا لشريعة موسى . وإذا انطلقوا إلى الأمم ، كما انطلق يونس عليه السلام إلى أرض نينوى ، فإن انطلاقهم كان يحقق بركة إبراهيم وإسحق فى الأمم . أما من بعد عيسى عليه السلام فإن المغضوب عليهم من الله قد حرفوا دعوته ، وأضلوا بها النصارى ، وسيَّروهم بها فى الأمم . والدعوة المحرفة لاتدل على بركة إبراهيم فى الأمم ولا على بركة إسحق . وذلك لأن إبراهيم وابنه وموسى ومن جاء من بعده ، لم يدعوا إلى التثليث ولا إلى ظهور الله فى جسد المسيح ، ولم يأمر موسى بإبطال شريعته على يد عيسى عليه السلام حتى يبطل المثلثون بركة إبراهيم بنسخهم شريعة موسى ، والسير فى الأمم بكلام ليس له من أصل .

وإننا نحن المسلمين الذين قمنا ببركة إبراهيم فى الأمم خير قيام . ومانزال نعد العدد للجهاد فى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والقتال . فنحن بحق ورثة إبراهيم ، وأبناء الموعد .

العهد الجديد

وقد جاء عيسى عليه السلام ليبشر بمحمد ﷺ ونطق باسمه المبارك «بيركْليت» وترجمتها «أحمد» فى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا . وجاء اسمه «محمد» ثلاث عشرة مرة فى إنجيل بَرنابا . وقد أجرى الله المعجزات على يديه ، ليصدقه بنو إسرائيل فى دعوى النبوة . ولم ينسخ شريعة موسى عليه السلام . وقد ادعى النصارى من بعده : أنهم أصحاب عهد جديد ، ليس فيه شرائع كما كان فى العهد القديم ، عهد موسى وبنو إسرائيل . وقد تمسكوا بأربعة أناجيل هى متى ومَرْقس ولوقا ويوحنا ، ورفضوا أناجيل مماثلة لها مثل إنجيل طفولية المسيح . وقد ذكر الله تعالى معجزات لعيسى عليه السلام لم تذكر كلها فى الأناجيل الأربعة وهذا يدل على أنهم نسوا حظاً مما ذكروا به . ومن المعجزات التى لم تذكر فى الأناجيل الأربعة : معجزة كلام المسيح فى المهد ، وخلقه من الطين طيرا . ونصهما فى إنجيل الطفولية هكذا :

« ولما صار له سبع سنين ، كان ذات يوم مع أترابه ، يعملون أشباه دوأب وحمير وبقر ، من طين . وكل واحد منهم يفتخر بصناعته ، ويستحسن عمله .

قال يشوع : إن التماثيل التى صنعتها أنا ، متى أمرتها بالمسير ، سارت .

قال الصبيان : فأنت إذًا ابن الخالق .

فأمرهم يشوع بالمشى . فإذا هم يركضون .

وإن أمرهم بالمضى ؛ مضوا . وإن أمرهم بالعود ؛ عادوا .

وكذلك كان يعمل عصافير ، ويأمرها بالطيران ؛ فتطير . ويأمرها بالوقوف على يديه ، وبالأكل . فيكون ذلك كذلك .

وكذا الدواب من الحمير والبقر . كان يحضر لهم شعيرا وتبنا ، فكانوا يأكلون ويشربون .

ومضى أولئك الصبيان وأخبروا آباءهم ؛ فحذروهم منه . وقالوا : إياكم أن تلاعبوه أو تخالطوه ؛ فإنه ساحر فاجتنبوه ، وتركوا مخالطته .

وفى بعض الأيام بينما يشوع يمشى فى أزقة المدينة مع أترابه الصبيان ، اجتاز بحانوت رجل صباغ ، اسمه سالم . فعمد يشوع إلى تلك الثياب ، جميعها ، وجعلها كلها فى دنّ النيلة . فلما جاء سالم من بيته ، رأى الثياب وقد فسدت . لأنه كان يروم أن يصبغ كل واحد منها لونا منفرداً . فخاصم يشوع . وقال : يا ابن مريم . ما الذى فعلت ؟ لقد فضحتنى بذلك . فقال له يشوع : كل ثوب تريد تغييره ؛ فعلىَّ تغييره . وبدأ يعطى يشوع للصباغ كل ثوب باللون الذى يريده . فلما شاهدت اليهود هذه الأعجوبة ؛ سبحوا الله .

وجدنا فى كتاب ليسيفُوس رئيس الكهنة الذى كان على عهد المسيح . وقد قال الناس : إنه قيافا . يقول : إن يشوع تكلم وهو فى المهد صبيا . وحين كان له سنة واحدة ، قال لأمه : يامريم أنا يشوع بن الله ، الذى ولدتنى ، كما بشرك جبريل الملاك ، وأنه أرسلنى لخلاص العالم[1] »أ.هـ

ففى ذلك النص :
١ - معجزة خلقه من الطين مثل هيئة الطير . وهو صغير السن .
٢ - معجزة كلامه فى المهد .
٣ - معجزة صبغ الثياب .
٤ - مخالفة هذا الإنجيل للأناجيل المعتمدة فى اسم رئيس كهنة اليهود المعاصر لعيسى عليه السلام .

وغرضنا من هذا الكتاب هو الزام أهل الكتاب بصحة دين الإسلام من كتبهم ، ليتحقق وعد الله لإبراهيم بأنه سيبارك فيه كل أمم الأرض .

وبعد هذا التمهيد . نقول : إنه سبق لنا تأليف كتاب فى نقد التوراة . أسفار موسى الخمسة . هزَّ إيمان النصارى بها هزا عنيفا . ورأيت لبعضهم كتبا تثبت إيمانهم بها ، وتصفنى بأنى أحاول هدم عقائد إلهية ، تحطمت على صخرتها كل محاولات هدمها . ولما نشرتُ التوراة السامرية باللغة العربية ، وأثبت الفروق بينها وبين العبرانية ، وبينها وبين اليونانية . ألف القس عبد المسيح بسيط أبو الخير ، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد كتاب «التوراة كيف كتبت وكيف وصلت إلينا ؟» وحاول رد الفروق بقوله : «إنها فى معظمها اختلافات هجائية فى حروف الهجاء »

---

(١) ص ١١٠ - ١١٢ إنجيل طفولية المسيح

QUADERNI DE «LA TERRA SANTA»

Mario E. Provera S.D.B.

IL VANGELB ARABO DELL' INFANZIA - SECONDO IL MS. LAURENZIANO ORIENTALE (n. 307)

أما أنى أحاول هدم عقائدهم الإلهية – كما يقول القس عبد المسيح – فإنى لا أحاول الهدم لذات الهدم ، وإنما أحاول الهدم لإحلال الإسلام محله . ليس له ولأمثاله . فإنهم يعرفون صحة دين الإسلام كما يعرفون أبناءهم ، وإنما للأميين المخدوعين بالتفسيرات الملتوية لآيات الكتاب المقدس . فإنه وأمثاله يفسرون الآيات بالتفسير الذى يضمن لهم استمرار الصِّلات والعطايا ، ونحن نحاول التفسير الصحيح ، بالأسلوب السهل ، لنجر الأميين منهم إلى الإسلام . وهدفنا معروف للمسلمين وأهل الكتاب وهو .

١ – جر الأميين منهم إلى الإسلام .
٢ – وإبعاد الإسرائيليات التى دخلت فى كتب المسلمين ، عن طريق السفهاء منهم فى الزمان الأول .

وقد كتبتُ هذا الكتاب على طرائق أهل الكتاب فى التأليف . وبينت مصطلحات عندهم وتعابير عن نبى الإسلام ﷺ ما كانوا يظنون أن المسلمين يعرفونها . والمسلمون قد عرفوها عن طريق الذين أسلموا منهم وكانوا من الراسخين فى العلم . وعن طريق النظر الدقيق فى كتبهم النصية والتفسيرية . مثل : المَسِيًّا الرئيس – سنوات التَّعزية – الابن الوحيد . وهو عندهم يسمى بجتن ، ويسمى أيضاً صَن أنلى – جيهوفاه – ابن الإنسان – ملكوت السموات ، ويسمى أيضاً ملكوت المَسِيًّا .

وقد راعيتُ فى بيان كل مصطلح أن أبينه بحسب ما يعرفونه عنه . وذلك ليعرف المسلم ما عندهم كما هو مكتوب . فإنه إذا عرف ما عندهم كما هو مكتوب ؛ يقدر أن يرد الخطأ بسهولة ويُسر .

وإذا لم يظهر المعنى المراد إظهاره بسهولة ؛ فإن عدم الظهور بسهولة ، لا يجب أن يكون مانعاً من الاستمرار فى القراءة إلى آخر الكتاب . فقد يكون الخافى فى فصل ؛ ظاهراً فى فصل غيره . وقد تكون العبارة مقتضبة فى موضع ، للظن بأنها مذكورة كاملة فى موضع غيره . أو لأن القارىء له بها علم من كتب أخرى ومثل هذا من كتاب لكتاب .

وسوف يتضح :
أ – نقد التثليث بقسميه وهما تثليث التجسُّد ، وتثليث التعدُّد .
ب – وأن الباعث على تحريف الإنجيل ، هو اللغو فى نبوة محمد ﷺ
جـ – وأن أصل أقنوم الابن ، وأصل أقنوم الروح القدس نبوءتان عن المَسِيًّا الرئيس .

وإذا قلنا : قال النصارى فى هذا النص كذا . فإننا نذكر المصدر والمرجع للرجوع إليهما . إلا أن يكون أمراً مشتهراً ، كالأمور المقررة فى بدائه العقول . كقول القائل : إن النصارى يقولون : إن خالق العالم ثالث ثلاثة ، أو هو الله قد تجسد فى جسد المسيح . فإن أنت حكيت قولهم ولم تذكر مرجعاً ولا مصدراً ، فمن ذا الذى يقدر على رده ؟

ومعرفة محكم النصوص ومتشابهها عندهم هو أول أمر يجب على المسلم معرفته لئلا يضحكوا منه وهم يجادلوه . وتتم معرفته بالنظر فى تراجم كثيرة ، وتفاسير للكتب المقدسة .

وسأذكر ههنا هذين المثالين للبيان :

المثال الأول : فى ترجمة من تراجم الإنجيل : أن « ملكى صادق » ليس له أب ولا أم ولا نسب ولا بدء حياة ولا نهاية حياة . فمن يرى هذه الترجمة يقول للنصارى : أنتم تستدلون على أن المسيح إله لأنه بلا أب . فها هو مَلكى صَادَقَ بلا أب وبلا أم . وهكذا يقول لهم كثيرون من المسلمين . فماذا يكون موقفه من نصرانى يريه ترجمة أخرى . فيها : أنه بلا أم وبلا أب . لأن الوحى لم يخبرنا باسم أمه ولا باسم أبيه . وعدم الإخبار لا يدل على أنه خلق بغير أبوين ؟

ففى ترجمة البروتستانت : « بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة ، بل هو مشبه بابن الله . هذا يبقى كاهناً إلى الأبد»

[عب ٧ : ٣]

وفى ترجمة الإنجيل عربى إنكليزى ١٩٨٩م « والوحى لا يذكر له أبا ولا أما ولا نسبا ، كما لا يذكر شيئاً عن ولادته أو موته ، وذلك لكى يصح اعتباره رمزا لابن الله . بوصفه كاهنا إلى الأبد »

المثال الثانى :

إبراهيم عليه السلام جاهد مع الله . ولقى « ملكي صادق » وباركه . وقسم له إبراهيم عشرا من كل شىء . فلو قلت أنا الآن وأنا فى سنة ألف وتسعمائة وتسعين ما نصه :

إننى لقيت ملكى صادق ، وأعطيت له العُشر من كل غنيمة غنمتها فى الحرب . فهل أكون صادقاً أم كاذباً ؟

سأكون كاذباً فى نظر الأميين . لأنهم يعلمون أبى وجدى ، ويعلمون أن زمانى غير زمان ملكى صادق . فالفرق بين الزمانيين يقدر بأربعة آلاف عام .

واليهود يحكمون على مثل هذا القول بالصدق . لأن فعل الآباء ، تصح نسبته إلى الأبناء مجازا .

فإبراهيم - إسحق - يعقوب - لاوى .

واللاويون كانوا يأخذون العشور ، فريضة زكاة من بنى إسرائيل . وإذ دفع إبراهيم العشر ، فكأنَّ لاوى الذى كان يأخذ العشر هو الذى دفعه لملكى صادق . يقول بولس : « حتى أقول كلمة : إن لاوى أيضاً ، الآخذ الأعشار ، قد عُشِّر بإبراهيم ؛ لأنه كان بعدُ فى صلب أبيه حين استقبله ملكى صادق » [عب ٧ : ٩ - ١٠]

وأذكر ههنا مثالا لكيفية الجدال وطريقته مع النصارى : كان فى مدينة « المنصورة » قس يُدعى بـ «فم الذهب» وكان كثير التعرض للمسلمين ،

ليردهم عن دينهم . وكان فى المدينة بائع كتب دينية ؛ كثر تردد المسلمين عليه لشراء كتب إسلامية فيها ردود على شبهات القسيسيين . واسمه «محمد أحمد الشامى» هذا فى يوم من الأيام قال وهو فى مكتبته لشيخ من شيوخ الأزهر ، المدرسين فى معهد المنصورة الدينى وهو الشيخ محمود مصطفى بدوى : إن فم الذهب قد تجاوز حده . ويجب أن نحتال فى مناظرته على رءوس الأشهاد . فأرسلا إلى القسيس رسولا منهما وهما جالسيْن فى المكتبة ، يدعواه إليهما . فجاء إليهما . وهو لا يعلم أنهما يريدان مناظرته بل متوهما الحصول على كتاب كان قد أوصى عليه . فقال له الشيخ الشامى : يا فم الذهب أنت فى منصب عظيم ولا تحتاج إلى أعلى منه . فلماذا لا تسكت ؟ فرد بقوله : أنا صاحب دعوة على **خُطى المسيح** . وأنا مؤتمن . وإذا لم أبلّغ فإن المناصب لن تغنى عنى شيئاً .

فرد عليه الشيخ محمود بقوله : يافم الذهب كيف تدعو إلى دينك ، وصلاتك باطلة ؟ ثم تظاهر بالقيام كأن شيئاً لا يعنيه . فتشبث به فم الذهب وقال : ماذا تقول ؟ فرد عليه بقوله : أقول : إن صلاتك باطلة . ألم تسمع ؟ فقال : بلى قد سمعتُ ولكنك قد قلت لظنك أننا لا نتطهر . إن شريعتنا لا تهتم بالمظهر إنها تهتم بالجوهر ، تهتم بتنقية القلب من الحسد والحقد والكبر ... فقاطعه الشيخ محمود وقال له : يافم الذهب أنا لا أقصد بطلانها لعدم التطهر بالماء، بل أقصد أنها باطلة . لأنها لا تؤدى فى أوقاتها. فضحك القسيس . وقال : اوقاتها عندنا سبع وعندكم خمس . والدعاء لله مطلوب فى كل وقت . فاغتاظ الشيخ من غبائه وقال له بهدوء وقد همَّ بالجلوس : يافم الذهب اكتب لى فى ورقة صيغة الدعاء الذى تدعو به فى صلاتك . فبرم جسمه وفتش فى ملابسه على ورقة وقلم . فناوله الشيخ الشامى ورقة وقلما . **فكتب** :

« أبانا الذى فى السموات . ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك ، كما فى السماء كذلك على الأرض . خُبزَنا كفَافَنا . أعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا ، كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا ، ولا تُدخلنا فى تجربة . لكن نَجِّنا من الشِّرِّير ؛ لأن لك المُلك والقوة والمجد إلى الأبد . آمين »

فوضع الشيخ محمود إصبع القسيس على « ليأت ملكوتك » وقال له : ما معنى هذه الجملة ؟ فقال : ملكوت المسيح . فقال له : بيِّن لى أصل الملكوت . فقال : إن النبى المعظم دانيآل قد قال : إن أربعة ممالك سيقومون على الأرض . وبعد الرابعة يتأسس ملكوت المسيح . فقال له الشامى : وبعد الرابعة يتأسس ملكوت المسيح ؟ قال : نعم . فقال له : وما المراد بالرابعة ؟ قال له : مملكة الروم .

فقال الشيخ محمود : يا فم الذهب . وهل تأسس الملكوت بعد مملكة

الروم ؟ فأجاب بقوله : لا . هو تأسس من زمان الحواريين . فقال له : لكنك تقول : إنه سيتأسس بعد مملكة الروم . فقال فم الذهب : إنه سيبدأ تأسيسه فى زمان الحواريين ، ثم سيظهر المسيح لتكميل الملكوت . فقال الشيخ الشامى : وكيف سيقيمه المسيح فى مجيئه الثانى ؟ فأجاب بأنه سيكون مُلكا روحياً ، شبه الرؤى فى الأحلام ، لكن لن يكون له واقع على الأرض . وعندئذ توقفا عن الكلام . وقد أظهرا السرور بلقاء القسيس والأنس به ، وطلبا منه تكرير الزيارة ، وأعطياه عنوان سكنيهما . وقالا للقسيس وهما ينصرفان : أعد القراءة عن الملكوت ، وحدثنا عنه حديثا مستفيضا إذا التقينا .

حكى لى هذه الحكاية كل منهما بمعناها على انفراد ، بعد مرور أكثر من عشرين سنة على حدوثها .

وأن القسيس كف عن التعرض للمسلمين . وكان إذا رآهما معا فى المكتبة يضحك ويقول : حقا . قد كانت صلاتى باطلة .

ومن المؤكد أن صلاته كانت باطلة . لأن قولهم فى الصلاة : «ليأت ملكوتك» والملكوت قد أتى . يدل على بطلانها .

والملكوت . ويسمى ملكوت الله ، أو ملكوت السموات . هو ملكوت محمد ﷺ لأن الله تعالى قال فى القرآن الكريم : ﴿ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه، فآزره ، فاستغلظ، فاستوى على سوقه﴾[1] وفى إنجيل متى يقول المسيح عليه السلام : «يشبه ملكوت السموات حبة خردل ، أخذها إنسان ، وزرعها فى حقله . وهى أصغر جميع البذور . ولكن متى نمت فهى أكبر البقول ، وتصير شجرة ، حتى إن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها »

وأن عيسى عليه السلام دعا إلى اقترابه هو ويوحنَّا المعمَدان . فقد قال متى : «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يَكرِز فى بَرِّية اليهودية قائلاً : توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات »

« من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يَكْرِز ويقول : توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات»

وعندنا نحن المسلمين رأيان فى قول اليهودى والنصرانى : أنا ابن الله . الرأى الأول : أن قوله مقبول على المعنى المجازى . والرأى الثانى : أن قوله لا يليق قبوله ، لا على المعنى المجازى ولا على المعنى الحقيقى . فالإمام ابن حزم الأندلسى فى كتابه الفِصَل فى الملل والآراء والنِّحَل يذكر قول إشعياء عن الله وهو : «قبل أن تتمخضَ ، ولدتْ . قبل أن يأخذها الطلقُ وضعتْ ذكراً . من سمع بمثل هذا ؟ من رأى مثل هذه ؟ أتنتجُ أرض فى يوم واحد ، أم تُولد أمَّةً فى مرة واحدة ؟ فإن صهيون أول ما تمخضت ولدت بنيها . أأَمَخِّضُ ولا أُولِّدُ . يقول الرب ؟ أم أنا المولد ، أغلق الرحم ؟ قال إلهك» [إش ٦٦ : ٧ - ٩]

---

(١) الفتح ٢٩

ثم يرد هذا القول ، منزها الله تعالى عن اللفظ . مجازا كان أو حقيقة . والإمام ابن تيمية وكثيرون يقبلون لفظ «ابن الله» مجازا ؛ لأن فى التوراة نصوص مُحكمة على نفى المثل عن الله تعالى . منها : «ليس مثل الله» [تث ٣٣ : ٢٦]

فنصُّ المزمور الثانى لداود عليه السلام فى ترجمة اليسوعيين هو هذا : «لماذا ارتجَّتْ الأمم ، وهَذَّتِ الشعوب بالباطل . قام ملوك الأرض والعظماء . ائتمروا معًا على الرب وعلى مسيحه . لنقطعْ رُبُطهما ، ونُلق عنَّا نِيرَهُما . الساكن فى السموات يضحك ، والسيد يستهزىء بهم . حينئذ يكلمهم بسخطه وبغضبه يُروِّعهم . إنى مسحتُ مَلِكى على صهيون جبلِ قُدسى . لأخبرنَّ بحكم الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . سلنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقاصىَ الأرض مِلكا لك . ترعاهم بعصا من حديد ، وكإناء خزَّاف تحطمهم . فالآن أيها الملوك تعقلوا واتعظوا يا قضاة الأرض . اعبدوا الرب بخشية ، وابتهجوا برعدة . قبِّلوا الابن لئلا يغضب ، فتهلكوا من الطريق ؛ لأنه عن قليل يضطرم غضبه . فطوبى لجميع المعتصمين به » ا . هـ .

وهذا المزمور نبوءة عن المسيا المنتظر ، بلقب « ابن الله » على عادة بنى إسرائيل فى تلقيب أنبيائهم وملوكهم وعلمائهم به . فهل يصح أن يقول المسلمون على موسى عليه السلام أنه ابن الله ، كما يقول اليهود والنصارى عنه ؟ يقول جمهور المسلمين ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله تعالى عليه – يصح على سبيل المجاز . وذلك لأن فى التوراة نصوص محكمة تنفى المثل عن الله ، ولأن التراجم تختلف . وقد علَّق شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله تعالى عليه – على عبارة داود بقوله : « إنه إذا كان الأب فى لغتهم هو الرب الذى يربى عبده ، أعظم مما يربى الأب ابنه ، كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الأبوة . فيكون المعنى : اليوم جعلتك مرحوما مصطفى مختارا »

وقال شيخ الإسلام : «وحينئذ فلا يكون تسميته ابنا ، لكون الرب أوصفته اتحدت به ، بل كما سمى داود ابنا وكما سمى إسرائيل ابنا . فقال : «أنت ابنى بكرى» وهذا فى كتبهم[1]»

ويقول الإمام القرافى فى الأجوبة الفاخرة : «قال داود عليه السلام فى المزامير : «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك . سلنى أعطيك الشعوب ميراثك . وسلطانك إلى أقصى الأرض ، ترعاهم بقضيب من حديد ، ومثل آنية الفخار تسحقهم» ومحمد عليه السلام هو الذى ورث وبلغ سلطانه أقطار الأرض ، وحاط الأمم وسامهم بسيفه ، ولم يتفق هذا لداود ، ولا لأحد من

---

(١) الجواب الصحيح ج ٢ ص ٢٣٩ و٢٣٨ .

بعده ، فيكون هو المبشر به . وسُمِّىَ ابنا : على العادة القديمة فى تسمية المطيع والنبى ابنا ؛ كما قال فى التوراة فى إسرائيل عليه السلام : «أنت بكرى »[٢]

فانظر فى تصريحهما أن المزمور كله نبوءة عن النبى المنتظر . وهو محمد ﷺ . واسأل نفسك كيف عرفا أنه يدل عليه ﷺ ؟ ليس من سبيل إلى المعرفة غير الاطلاع والسؤال والسماع والرؤية .

وقد رأيتُ فى كتب أهل الكتاب : أن جميع علمائهم متفقون على أن المزمور الثانى كله نبوءة عن النبى المنتظر . الذى يلقبونه بلقب المَسِيًّا ، أو المسيح ، على عادتهم مع أنبيائهم وعلمائهم وملوكهم . فالمسيا بلغتهم يكون هو محمد رسول الله ﷺ

يقول الآباء اليسوعيون فى التعليق على المزمور الثانى : «موضوع هذا المزمور هو أن الشعوب وملوكهم إنما يقاومون الرب ، ومسيحه ، سُدَى . وأن الرب يسخر منهم ، وسيروعهم بغضبه ، وأن ملكهم هو المَسيح . وهو ابن الله المولود فى الأزلية . التى هى حال دائمة . وقد أقامه الله ملكا على جميع الشعوب ، وسيحطم المقاومون بين يديه . إذن فليخضع لملكه جميع الملوك مع شعوبهم » ا . هـ .

فهم متفقون على أن المزمور نبوءة ، وعلى أن الله سينصر النبى الملقب بلقب «المسيح» على أعدائه . وهذا يكفى .

أما تطبيقهم المزمور على عيسى عليه السلام وتفسيرهم الولادة بالأزلية . فهذا مما ينكره اليهود عليهم ويأباه المسلمون . وذلك لأن المسيح المنتظر لا يظهر البتة من بنى إسرائيل . لقول داود فى مزمور آخر عنه إنه سيده . والابن لا يكون سيدا لأبيه .

أما اختلاف التراجم . فإنها تفيد فى ضبط المعنى الحقيقى ، وتُعيِّن اللفظ على المجاز أو على الحقيقة ، وتساعد فى إفحام أهل الكتاب .

فالمزمور المئة والتاسع فى ترجمة اليسوعيين هكذا :

« قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك . عصا عزتك يُرسلها الرب من صهيون . تسلَّط فيما بين أعدائك . إن شعبك متطوع يوم قدرتك ، فى بهاء القداسة ، من الجوف قبل الفجر لك ندى ولادتك . أقسم الرب ولن يندم : أنْ أنت كاهن إلى الأبد ، على رتبة مَلكيصَادَق . السيد عن يمينك . يُحطم الملوك يوم غضبه . يدين فى الأمم . يملأُها جثثا . يهشم الرأس على أرض واسعة . من الوادى يشرب فى الطريق ؛ لذلك يرفع رأسه »

فى تلك الترجمة : «قال الرب لسيدى» وفى ترجمة بَرْنابا : «قال الله

---

(٢) ص ٢٤٨ الأجوبة الفاخرة .

لسيدى» وفى ترجمة البروتستانت : «قال الرب لربى» أى قال الله لسيد داود . فمن هو سيد داود ؟ إنه هو النبى المنتظر ، المسيا الرئيس . باتفاق أهل الكتاب . والسؤال الآن هل عيسى سيد داود ، وهل محمد سيد داود ؟ من منهما سيده ؟

يقول الآباء اليسوعيون : «هذا المزمور أسمى المزامير كلها بالقياس إلى الموضوع المشروح فيه . إذ هو برمته مزمور نبوءة . وقد تضمن وصف كل عظمة راهنة للمسيح ولملكوته الأبدى وكهنوته الدائم ، المؤسسين على ميلاده الأزلى . وهو ينقسم إلى قسمين . أولهما : ١ - ٤ المتكلم فيه هو الله نفسه مخاطباً المسيح . والثانى : ٥ - ٧ يتكلم فيه داود عن المسيح»

لقد اتفقوا على أنه نبوءة . ثم ضللوا بقولهم: إنه نبوءة عن عيسى عليه السلام وهل عيسى سيد داود ؟ إن عيسى نفسه قال : إن المسيح المنتظر لن يظهر من نسل داود . لأن داود قال : إنه سيده ، والابن لا يكون سيدا لأبيه . هذا هو اعتراف عيسى نفسه المسجل فى إنجيل متى ومرقس ولوقا وبرنابا . فلماذا لا يؤمنون ؟

ثم ضللوا أيضاً بأن الأقنوم الأول وهو الله ، قال للأقنوم الثانى وهو الابن . وذلك على ترجمة سيدى بالرب . ويرد تضليلهم : أن النص العبرانى هو قال أدوناى لجيهوفاه . فأدوناى هى الله . وجيهوفاه هى السيد . فالنص كله عن إله يتكلم عن نبى سيظهره . لا على إله يتكلم عن إله آخر .

وكان من عادات اليهود مسح الأنبياء والملوك والعلماء بزيت مقدس للدلالة على أن الممسوح مختار من الله لأداء رسالة مقدسة . وكانوا ينادون كل نبى فيهم بلقب « مسيح الله » ومسيح الله فى اللغات التى لا توجد فيها الحاء تُنطق « مَسِيًا الله » ولما حرَّم الله عليهم السماع من العرَّافين والسحرة والمنجمين والكهان ، قال لهم : سوف أرسل لكم نبيا من إخوتكم بنى إسماعيل ليقيم لكم الدين ، فاسمعوا منه . ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية : «إن هؤلاء الأمم الذين تخلُفهم يسمعون للعائفين والعرافين . وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا . يُقيم لك الرب إلهك نبياً ، من وسطك . من إخوتك . مثلى . له تسمعون» [تث ١٨ : ١٤ - ١٥]

ولم يعطوا لهذا النبى الموعودون به لقب «مسيح» التى تُترجم «مَسِيًا » وإنما أعطوه لقب «المسيح» التى تترجم «المسيا» ولم يعطوه لقب «نبى» وإنما أعطوه لقب « النبى » تمييزا له عن غيره . ويعرفون من نص التوراة أنه لا ينسخ شريعة موسى ولا يبطلها إلاَّ هذا النبى الآتى . وكان كل نبى يظهر فيهم ، يُبادر إلى التصريح بتوقير التوراة وتعظيمها . ولأن

عيسى عليه السلام اخر نبى فيهم قال فى أول تصريح له عن رسالته على جبل الزيتون : «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس ، أو الأنبياء» ما جئت للنقض ، بل للإصلاح . وكان تلاميذه ينادونه بلقب «مسيح» لا «المسيح» وبلقب «الرّبى» أو «الحَبر » و«المعلم» و«السيد» وكانت رسالته إليهم هى ترقُب ملكوت الله والدخول فيه . وأن الملكوت سيكون لبنى إسماعيل عليه السلام لأن الله وعد إبراهيم بأن يبارك فيه الأمم بملك ونبوة . وأن المسيا الآتى سيكون من بنى إسماعيل ، لا من بنى إسرائيل - كما يزعم اليهود - وكان علماء اليهود يُحللون ويحرمون من تلقاء أنفسهم فى مسائل . ويُشددون على الناس بغير دليل من كتاب موسى . فأحل المسيح عليه السلام لبنى إسرائيل ما حرمه عليهم العلماء من تلقاء أنفسهم . وقال لأتباعه : احكموا بشريعة موسى التى جئت مصدقا لها حتى يأتى «المسيح » الذى هو «المسيا»

ولو قُدر لك أن تسأل يهودياً هذا السؤال وهو : أنت تنتظر المسيح ؟ فإنه سيجيب بنعم أنتظره . ولو سألته سؤالاً ثانياً وهو : ما الدليل من التوراة على مجىء المسيح ؟ فإنه سيجيب بقوله : قول الله لموسى عن نبى سيظهر مثله لينسخ شريعته : «يُقيم لك الرب إلهك نبياً ... إلخ» والنصارى قالوا لليهود : إن المسيح الموعودون به هو عيسى عليه السلام . وقد رد عليهم اليهود والمسلمون بقولهم : إن عيسى من بنى إسرائيل . ومن أوصاف النبى الآتى أن يكون مماثلا لموسى فى الحروب والانتصار على الأعداء والملك . وقد نصت التوراة على أنه لن يظهر مثل موسى فى بنى إسرائيل [تث ٣٤ : ١٠ - ١٢] وحيث أن عيسى من بنى إسرائيل ؛ فإنه لا يكون هو النبى الآتى . فضلا عن ذلك فإن عيسى نفسه فسر النبوءات عن النبى المنتظر ، ولم يصرح بأنه هو صاحبها ، ورُفع فى المجد ولم يحارب ولم ينتصر ولم يملك . فكيف يكون هو ؟

معرفة نبوءات التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ

وكل نبوءات التوراة عن محمد ﷺ مذكورة فى كتب اليهود ، فى دائرة المعارف تحت كلمة المسيا أو كلمة المسيح . وفى كتب النصارى تحت كلمة المسيا أو كلمة المسيح . فى دوائر المعارف كلها .

فيكتبون مثلا : كلمة مسيا . أصلها كذا وتطورها كذا . وأُطلقت على شاول الذى هو طالوت باعتباره ملكا . وأُطلقت على يسوع باعتباره نبيا ، وأُطلقت على الكتبة باعتبارهم معلمون للناموس . والنبى المنتظر فى سفر التثنية هو «المسيا الرئيس» وأُطلق عليه داود لقب «ابن الله» وأُطلق عليه دانيآل لقب «ابن الإنسان» وأُطلق عليه إشعياء لقب «عبد الرب» ... وهكذا يستمر الكاتب فى الكلام . وإن كان يهودياً يقول : والمسيا لم يأت بعدُ ، وإن كان نصرانيا يقول : والمسيا هو يسوع . أما المسلمون من قبل ظهور إنجيل برنابا فإنهم كانوا يعرفون آيات من النبوءات ، ويفسرونها على

محمد ﷺ تحت لقب «النبى» لا المسيح الذى هو المسيا .

فكل المسلمين بلا استثناء كتبوا فى كتبهم ومنهم العلاَّمة ابن حزم الأندلسى والعلامة ابن قيم الجوزية أن قول الله لموسى : «يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون ... الخ» [تث ١٨ : ١٥] يدل على محمد ﷺ لأن من إخوتك نص فى بنى إسماعيل ، لثبوت بركة فى نسله . كبركة إسحق أخيه . كيف لا وقد قال الله تعالى عن الذبيح وأخيه : ﴿وباركنا عليه وعلى إسحق﴾[1]

وقول الله لموسى : «يُقيم لك الرب إلهك نبيا ... إلخ» هو الذى يدل على المسيا عند أهل الكتاب . فيكون المسيا هو محمد ﷺ ويكون برنابا صادقا فيما حكى عن المسيح عليه السلام أنه قال : إن المسيا سيأتى من بعده . يقول الأنبا أثناسيوس فى تفسيره لإنجيل يوحنا : «كان موسى النبى قد قال لليهود : «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون» [تث ١٨ : ١٥] وقد كان المفهوم المباشر لهذه النبوءة : أنها عن يشوع الذى جاء بعد موسى . ولكن اليهود فهموها دائما : أنها عن نبى من نوع آخر ، يقيم عهدا جديدا معهم . هو عهد المسيا »

ولو سمعتَ شيئاً عن اليهود والنصارى ؛ فإنه يلزمك لتحقيق ما تسمع أن تطَّلع بنفسك على النصوص وتناقشها مناقشة جادة وهادفة . فإن لهم أغراض من النصوص . ولذلك شاع : أن النصارى غير مؤتمنين على تفسير التوراة ؛ لأنهم يفسرون آيات منها تفسيراً ملتويا ، لتدل على التثليث ، ويترجمون كلمات بغير ترجمة اليهود لها ، لحاجة فى نفوسهم . ومثال ذلك :

جاء فى الإصحاح الثانى عشر من سفر المكابيين الثانى : أن يهوذا «جمع من كل واحد تقدمة ، فبلغ المجموع ألفى درهم من الفضة ، فأرسلها إلى أورشليم ليقدم بها ذبيحة عن الخطيئة . وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه ، لاعتقاده قيامة الموتى ؛ لأنه لو لم يكن مترجيا قيامة الذين سقطوا ، لكانت صلاته من أجل الموتى باطلاً وعبثاً . وهو رأى مقدس تَقَوِىٌّ . ولهذا قدم الكفارة عن الموتى ، ليُحَلُّوا من الخطيئــة» [٢ مك ١٢ : ٤٣ - ٤٦]

هذا نص من التوراة يدل على البعث من الأموات . فهل هو يدل أيضاً على عذاب أو نعيم فى القبر ؟

إن الكاثوليك يقولون : إنه مع دلالته على البعث فى يوم القيامة ، هو أيضاً يدل على عذاب أو نعيم فى القبر . يقول الآباء اليسوعيون : «فى هذا النص برهان قاطع على وجود المطهر ؛ لأنه لو لم يكن إلا النعيم أو جهنم ، لكانت الصلاة من أجل الموتى باطلاً وعبثاً ، ولَمَا كان النص المقدس فى هذا الموضع يمدح من قدم الكفارة عن الموتى ، ليُحَلُّوا من

(١) الصافات ١١٣

الخطيئة ، ولكننا نراه قد أثنى عليه أجمل الثناء ، وشهد صريحاً بأن هذا الصنيع هو رأى مقدس تقوى »

ويقول الأرثوذكس : إننا نعتقد بالبعث من الأموات ، ولكن لا نعتقد فى عذاب أو نعيم فى القبر ..

فلماذا قال اليسوعيون – وهم كاثوليك – إن عذاب القبر حق ولم يقل اليهود ولا الأرثوذكس ؟ هل لتثبيت رأيهم فى « صكوك الغفران » ؟

واليهود يؤمنون بالبعث من الأموات ، للروح والجسد . بدليل قول أيوب عليه السلام : «إنى لعالم بأن فادىَّ حىٌّ وسيقوم آخرا على التراب . وبعد ذلك تُلَبَّس هذه الأعضاء بجلدى ، ومن جسدى أعاين الله . الذى أنا أعاينه بنفسى وعيناى تريانه . لا غيرى» [أى ١٩ : ٢٦ - ٢٧]

يقول اليسوعيون : «هذا الموضع مشهور جدا ، لتصريحه بعقيدة القيامة على غير إشكال ولا احتمال للتأويل»

ولكن البروتستانت يخالفون ترجمة اليسوعيين ويترجمون هكذا : «أما أنا فقد علمتُ أن وليى حى . والآخر على الأرض يقوم . وبعد أن يُفنى جلدى هذا وبدون جسدى أرى الله . الذى أراه أنا لنفسى ، وعيناى تنظران وليس آخرُ » يريدون بالترجمة هذه ، إثبات البعث بالروح دون الجسد ، فلماذا ترجموا هكذا وخالفوا عقيدة اليهود ؟

وهم لم يخالفوا عقيدة اليهود فقط ، بل خالفوا المسيح نفسه . فإنه قال عن الجنة والنار كما قالت التوراة .

ومن كلامه عن النار : «ياله من مكان ملعون بعدل الله ، لأجل لعنة الكافرين والمنبوذين ، الذين قال عنهم أيوب خليل الله : «ليس من نظام هناك بل خوف أبدى» ويقول إشعياء النبى فى المنبوذين : «إن لهيبهم لا ينطفىء ودودهم لا يموت» وقال داود أبونا باكيا : «حينئذ يمطر عليهم برقا وصواعق وكبريتا وعاصفة شديدة» تبًا لهم من خطاة تعساء»
[بر ٦٠ : ٥ - ٧]

وهذا هو نص اقتباساته عليه السلام من ترجمة اليسوعيين :

١ - «قبل أن أنصرف انصراف من لا يأوب إلى أرضِ ظلمةٍ وظلال موت . أرض دُجْية حالكة ، كالدَّيجور ، وظلال موت ، لا نظام فيها ، ونهارها كالديجور» [أيوب ١٠ : ٢١ - ٢٢]

٢ - «ويخرجون ويرون جُثث الناس الذين عصونى ؛ لأن دودهم لا يموت ، ونارهم لا تُطفأ ، ويكونون رُذالة لكل بشر»
[إش ٦٦ : ٢٤]

٣ - «يُمطر على المنافقين فخاخا ، وتكون النار والكبريت وريح السموم حظَّ كأسهم» [مزمور ١٠ : ٧]

ورأس النبوءات عن محمد ﷺ هو النص على بركة إسماعيل عليه

السلام وهو : « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك» أى فى الدعاء إلى دينك والجهاد فى سبيلك .

« فقال الله ... وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه . ها أنا أباركه» أى أمكنه من الدعاء والجهاد ، وأرسل من نسله نبى ، يهدى إلىَّ بشريعة منِّى ، كما هدى إلىَّ موسى من بنى إسحق . وقد ذكر الله تعالى أوصافه بأنه نبى – من بين إخوة بنى إسرائيل . يعنى إسماعيل المبارك فيه لأنه أخ لإسحق عليه السلام – مثل موسى عليه السلام – ينسخ شريعة موسى – أمى لا يقرأ ولا يكتب – أمين على الوحى – سيقضى على مُلك بنى إسرائيل – لا يُقتل – يتحدث عن غيب فيكون .

وذلك كله فى قوله : «يُقيم لك الرب إلهك نبيا ... إلخ»

وأكد يعقوب عليه السلام على نزع الملك والنبوة من بنيه على يد «شيلُون» وإذ قد صح وثبت أن لإسماعيل بركة ، فإن شيلون يكون هو نبى السلام الآتى من ذريته . فقد قال لبنيه حين حضره الموت : «لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب» [تك ٤٩ : ١٠] أى لا يزول الملك من اليهود . وتظل الشريعة معهم ، إلى أن يأتى نبى السلام من آل إسماعيل المبارك فيه .

وفى نهاية التوراة : «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحبَّ الشعب . جميع قِدِّيسيه فى يدك ، وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك» [تث ٣٣ : ١ – ٣]

فمجىء[1] الرب من سيناء : هو مجىء شريعته مع موسى عليه السلام حامل بركة إسحق عليه السلام . وإشراقه من سَعير : هو إشارة إلى تفسير علماء بنى إسرائيل للتوراة عند جبل ساعير . وكان منهم عيسى عليه السلام . وتلألؤه من جبل فاران : هو إشارة إلى محمد ﷺ حامل بركة إسماعيل عليه السلام .

ثم تحدث عن محمد ﷺ فقال : إنه يأتى مع جماعات جماعات ، وربوات ربوات من الناس الصالحين . ومعه شريعة إلهية ، سيمكن لها بالحرب الشديد . وقال عن محمد ﷺ «جميع قِدِّيسيه فى يدك» أى الأتباع الأطهار لا يعصونك فى معروف . «وهم جالسون عند قدمك» أى

---

(١) هكذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه فى كتابه الجواب الصحيح .

وقال : إن الذى أوقع النصارى فى الضلال أخذهم بظواهر النصوص . ولو أنهم قالوا بالمجاز فيها ؛ ما وقعوا فى الضلال .

متواضعون معه «يتقبلون من أقوالك» أى يسلمون تسليما بكل ما قال الله .

وهذه النبوءة لمحمد ﷺ لأنها مُصدرة بـ « البركة » وإسماعيل له بَرَكة . وهى مقسمة بين سيناء وفاران . فسيناء إشارة إلى بركة إسحق ، وفاران إشارة إلى بركة إسماعيل . لقوله عنه فى سفر التكوين : «وكان الله مع الغلام فكبرُ . وسكن فى البرية ، وكان ينمو رامى قوس . وسكن فى برية فاران» [تك ٢١ : ٢٠]

فانظر فى هذا الذى قدمناه ، وأنت تريد هدم التثليث . هل تجد من دليل أقوى منه على هدمه ؟ وانظر فى هذا الذى قدمناه ، وأنت تريد تحويل أهل الكتاب كلهم إلى الإسلام . هل تجد من دليل أقوى منه على التحويل ؟

ثم لاحظ هذا الأمر الذى أبديه الآن ، وقد خفى على بعض المسلمين بسبب لغو النصارى فيه . وهو : أنه قال «جميع قديسيه فى يدك» أى أتباع نبى فاران الصالحين تحت أمره ومشيئته . وفى الترجمة السبعينية للتوراة «جميع ملائكته فى يدك» والمعنى واحد . فالقديس هو الرجل الصالح .

وقد عبر عن الأتباع بالملائكة لشبههم بهم فى الطهر والصلاح . لا أنهم ملائكة على الحقيقة . ومن عادات أهل الكتاب مثل هذه التعابير . فإنهم يقولون عن أتباع إبليس : ملائكة إبليس . وعن أتباع ملك من الملوك : ملائكة الملك . وإذا أرادوا الحقيقة فى لفظ الملك ، قالوا : ملائكة السموات . ففى الأصحاح الثانى عشر من سفر الرؤية : «وحدثت حرب فى السماء . ميخائيل وملائكته ، حاربوا التنين . وحارب التنين وملائكته ، ولم يقووا ؛ فلم يُوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء ، فطُرِحَ التنيِّن العظيمُ الحيةُ القديمة ، المدعو إبليس ، والشيطان . الذى يُضل العالم كله . طُرح إلى الأرض ، وطرحت معه الملائكة»

[رؤ ١٢ : ٧ - ٩]

اضبط هذا .

ثم اقرأ فى سفر النبى المعظم دانيآل عن الممالك الأربعة وهى مملكة الكِلدانيين أهل بابل ، ومملكة الفُرس ، ومملكة اليونان ، ومملكة الرومان . وأنه سيتأسس من الله على الأرض مملكة لن تنقرض أبداً .

فإن البشر إذ يصطلحون على قوانين تحكمهم . لا يقال عن ملكهم : إنه مُلك الله على الأرض . ولكن إذا رضوا بحكم الله بينهم ، يقال عن مُلكهم : إنه ملك الله على الأرض ، الآتى من رب السماء ذاته . ويقول دانيئال عن ملكوت الله الذى سيتأسس بعد المملكة الرابعة : «كنتُ أرى فى رُوى الليل ، وإذا مع سُحُب السماء مثْل ابن إنسان ، أتى وجاء إلى القديم الأيام ، فقرَّبوه قدامه ، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ؛ لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ، ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض» [دانيآل ٧ : ١٣ - ١٤]

وهذا الملكوت هو ملكوت محمد ﷺ لأنه هو الذى تأسس فى فلسطين عقب زوال دولة الروم ، ولأن لإسماعيل بركة منصوص عليها فى سفر التكوين .

وقد لقبه دانيئال بلقب «ابن الإنسان»

اضبط هذا أيضاً .

ثم اقرأ فى إنجيل متى أمثال ملكوت السموات ، وحديث المسيح عن تأسيسه فى أرض فلسطين . ومن كلامه عليه السلام : «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده ، وجميع الملائكة القِدِّيسين معه ؛ فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء» [متى ٢٥ : ٣١ - ٣٢]

واسأل نفسك ما المراد بابن الإنسان ؟ وما المراد بالملائكة القديسين ؟ ألا تعتقد أنه تكلم عن محمد ﷺ بمثل ما تكلمت عنه التوراة السبعينية ؟

ثم قول دانيآل : «لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة» ما معناه ؟ إن ابن الإنسان بشر وسيموت ، فكيف يَتعبدون لمن يفنى ؟ والنصارى يخدعون الناس بقولهم : إن ابن الإنسان ههنا هو المسيح ، وتعبد الناس له يدل على ألوهيته . والحق : أن التعبد معناه الخضوع للشريعة والعمل بها . ووجود الشريعة بين الناس يدل على أن صاحبها حىٌّ ولو كان ميتاً . وأتباعه المحافظون عليها، كل واحد منهم ، نائب عنه ﷺ وقد جاء التعبد فى التوراة بمعنى الخضوع لا بمعنى العبادة فى قوله : «اسكنوا الأرض ، وتعبدوا لملك بابل ، فيكون لكم خير» [٢ مل ٢٥ : ٢٤]

مثل هذا الكلام أيها العقلاء ألا يلزم النصارى بترك دينهم إلى دين الإسلام ، ويخلِّصهم من تثليث التجسُّد ، وتثليث التعدد ؟ دع هذا - وإنه لدليل قوى جدا - إلى ما سأذكره الآن من التوراة والأناجيل عن نفى التثليث :

أ - من التوراة عن الوحدانية :

«اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد» [تث ٦ : ٤] «الرب هو الإله . وليس آخر سواه» [تث ٤ : ٣٥] وقال داود : «يارب لا إله غيرك» [١ أخ ١٧ : ١٦] وقال إشعياء : « أنت هوالإله وحدك لكل ممالك الأرض» [إش ٣٧ : ١٦] وقال نَحَميا : «أنت هو الرب وحدك» [نح ٩ : ٢] وفى الزبور : «من هو إله غير الرب» [مز ١٨ : ٣١] وفي سفر الملوك الأول : «ليعلم كل شعوب الأرض : أن الرب هو الله وليس آخر» [١ مل ٨ : ٦٠] وجاء فيه : «أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض» [٢ مل ١٩ : ١٦] كما جاء فيه : «أيها الرب إلهنا ، خلِّصنا من يده ، فتعلم ممالك الأرض كلها : أنك أنت الرب الإله وحدك» [٢ مل ١٩ : ١٩] وقد أعلن الله نفسه هذه الحقيقة فقال : «أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى» [إش ٤٤ : ٦] وقال : « أنا الرب وليس آخر . لا إله سواى» [إش ٤٥ : ٥] وقال : «أنا ،

أنا هو . وليس إله معى» [تث ٣٢ : ٣٩]
ب – من التوراة عن نفى المثلية :
«ليس مثل الله» [تث ٣٣ : ٢٦] «قد عظمت أيها الرب الإله ؛ لأنه ليس مثلك ، وليس إله غيرك» [٢ صم ٧ : ٢٢] «يارب ليس مثلك ولا إله غيرك» [١ أخ ١٧ : ٢٠] ويقول أيوب : «لأنه ليس هو إنسانا مثلى» [أى ٩ : ٣٢] ويقول داود : «يا الله مَنْ مثلك ؟» [مز ٧١ : ١٩] «فبمن تشبهون الله ؟ وأى شبه تعادلون به ؟» [إش ٤٠ : ١٨]
ج – من الأناجيل :
« فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ؛ فلما رأى أنه أجابهم حسنا . سأله : أية وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد . وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قلبك. هذه هى الوصية الأولى . وثانية مثلها : هى تحب قريبك كنفسك . ليس وصية أخرى أعظم من هاتين . فقال له الكاتب : جيدا يا معلم . بالحق قلت ؛ لأنه الله واحد ، وليس آخر سواه» [مرقس ١٢ : ٢٨ – ٣٢]
ويقول لوقا : « وكان الفَريسيون أيضا يسمعون هذا كله ، وهم محبون للمال . فاستهزأوا به . فقال لهم : أنتم الذين تُبَرِّرون أنفسكم قدام الناس . ولكن الله يعرف قلوبكم . إن المستعِلى عند الناس ، هو رجس قُدَّام الله» [لو ١٦ : ١٤ – ١٥]
ويقول المسيح لتلاميذه : «قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا . سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتى ساعة فيها يظن كلُّ من يقتلكم أنه يُقدِم خدمة لله» [يوحنا ١٦ : ١ – ٢] ويقول بُولُس : «أوصيك أمام الله الذى يُحيى الكل ، والمسيح يسوع ، الذى شهد لدى بِلاطُس البُنْطى بالاعتراف الحسن : أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور بنا يسوع المسيح ، الذى سيبينه فى أوقاته : المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ، ورب الأرباب . الذى وحده له عدم الموت ، ساكنا فى نور لا يُدنى منه ، الذى لم يره أحد من الناس ، ولا يقدر أن يراه . الذى له الكرامة والقدرة الأبدية»
[١ تيموثاوس ٦ : ١٣ – ١٦]
واليهود أغبياء :
فقد قال الله تعالى عنهم على لسان إشَعْياء : «الثور يعرف قانيه ، والحمار مِعْلف صاحبه . أما إسرائيل فلا يعرف . شعبى لا يفهم» [إش ١ : ٣] وقال عنهم على لسان موسى : «إنهم أمة عديمة الرأى ، ولا بصيرة فيهم» [تث ٣٢ : ٢٨]
ومن غبائهم : أنهم لما حرفوا نصوص النبوءات عن محمد ﷺ ظنوا أن الله لا يظهر كذبهم ، ليتمم أغراضه ومواعيده فى حينها . ولما أظهر كذبهم ، على لسان عيسى عليه السلام ، خدعوا أتباعه فيها . ظانين أن

الله لا ينجز وعده .

وهذا مثال على طريقة تحريفهم للنصوص :

نص المزمور المئة والسابع عشر فى ترجمة اليسوعيين هو :

«اعترفوا للرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته . ليقل المتقون للرب : إن إلى الأبد رحمته . من الضيق دعوت الرب فاستجاب لى بالرُّحْب . الرب معى . لا أخاف . وماذا يصنع بى البشر ؟ الرب معى بين ناصرى ، فأرى خيبة مُبغِضىَّ . ألاعتصام بالرب خير من الاتكال على البشر . الاعتصام بالرب خير من الاتكال على العظماء . أحاطت بى جميع الأمم . باسم الرب أدمرهم . أحاطوا بى ثم أحاطوا بى . باسم الرب أدمرهم . لقد دفعتنى لكى أسقط لكن الرب نصرنى . الرب عزِّى وتسبيحى . لقد كان لى خلاصا . صوت ترنيم وخلاص فى أخبية الصديقين ، يمين الرب صنعت بيأس . يمين الرب ارتفعت . يمين الرب صنعث ببأس . لا أموت بل أحيا وأحَدِّث بأعمال الرب . قد أدبنى الرب تأديباً ولكن لم يُسلِّمنى إلى الموت . إفتحوا لى أبواب البرِّ فأدخل فيها وأعترف للرب . هذا باب الرب . فيه يدخل الصديقون . أعترف لك لأنك استجبتنى وكنت لى خلاصا . الحجر الذى رذله البناؤون هو صار رأسا للزاوية . من عند الرب كان ذلك وهو عجيب فى أعيننا . هذا هو اليوم الذى صنعه الرب ، فلنبتهج ونتهلل فيه . يارب خلص . يارب أنجح . مبارك الآتى باسم الرب . باركناكم من بيت الرب ألرب هو الله وقد أنارنا . فزينوا العيد بأغصان مُشبَكة إلى قرون المذبح . أنت إلهى فأعترف لك . اللهم إنى أرفعك . إعترفوا للرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته»

ذلك نص يدل على نبوة محمد رسول الله ﷺ فهل يفهم ذلك واحد من المسلمين ؟ أو هل يفهم ذلك إلا الراسخون فى ا لعلم من أهل الكتاب ؟ من يفهمه ؟ لو أنهم وضعوا قبله نص التوراة عن بركة إسماعيل ، لما كان النص محرفا وغامضا . وأنت تقدر أن تفهمه إذا رفعت نص البركة عن إسماعيل من سفر التكوين ، ووضعته فوقه . فيكون المعنى : أن النبى الآتى من إسماعيل سيقول : دعوت الربَّ فاستجاب لى بالرحب ... الخ .

وهكذا فعل عيسى عليه السلام . لكن الآباء اليسوعيين يقولون : إنه مزمور عنه . يقولون : «فى هذا المزمور تنويه باحتفال دخول السيد المسيح إلى مملكته . فى السماء» وهل عيسى من بنى إسماعيل ؟ ويقولون : إن مملكته روحية كولاء التلميذ لمعلمه ، وأنها لا تقام على الأرض ، وإنما تُقام فى السماء . كيف ؟ ودانيئال يحدد بدء مملكة المسيح الرئيس عقب نهاية الدولة الرومانية ، ويبين المزمور : أن المسيح الرئيس سيحارب وينتصر .

وقد استدل عيسى عليه السلام بهذا المزمور على محمد ﷺ فى قوله

لعلماء بنى إسرائيل : «إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره» وبين أن هذه الأمة هى أمة بنى إسماعيل المبارك فيه . وفى قوله : «إنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب»

وكيفية الاستدلال بالزبور هذا كانت فى وقتين منفصلين . على هذا النحو :

أولاً : مثل الكرامين الأردياء :

ونصه : «اسمعوا مثلا آخر : كان إنسان ربُّ بيت ، غرس كَرْما ، وأحاطه بسياج ، وحفر فيه معصرة ، وبنى بُرجا ، وسلَّمه إلى كرَّامين ، وسافر . ولما قرب وقتُ الأثمار ؛ أرسل عبيده إلى الكرَّامين ، ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده ، وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا . ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين ؛ ففعلوا بهم كذلك . فأخيرا أرسل إليهم ابنه ، قائلا : يهابون ابنى . وأما الكرامون فلما رأوْا الابن قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث . هلمُّوا نقتله ونأخذْ ميراثَه . فأخذوه وأخرجوه خارج الكرْم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعلُ بأولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً رديًّا ، ويُسلِّم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها . قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب : الحَجَر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأسَ الزاوية ، من قِبَل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله يُنزعُ منكم ، ويُعطى لأمَّة تعملُ أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضَّض ، ومن سقط هو عليه يسحقُه .

ولما سمع رؤساء الكهنة والفرِّيسيُّون أمثاله ؛ عرفوا أنه تكلم عليهم . وإذ كانوا يطلبون أن يُمسكوه ؛ خافوا من الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبى» [متى ٢١ : ٢٣ - ٤٦]

فى ذلك المثل الذى رواه متى ومرقس ولوقا وبرنابا ، يبين المسيح عليه السلام أن الملك والنبوة سينتقلان من أمَّة بنى إسرائيل إلى أمة أخرى . وأن الدعاة إلى الله والوعاظ والأئمة والفقهاء لن يكونوا من بنى إسرائيل ، إذا ظهر ملكوت السموات الذى تحدث عنه دانيآل بعد مملكة الرومان . ومن هى الأمة الأخرى ؟ يقول المسيح : إنها أمة بنى إسماعيل عليه السلام . وماهو دليله على ذلك ؟ دليله من سفر المزامير . وهو أن داود عليه السلام قال : «الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا» والحجر المرفوض : هو كناية عن نسل هاجر رضى الله عنها . فكأنه يقول : إن النسل المحتقر فى أعينكم ، سيُغيظكم به ا لله .

ثانياً : مبارك الآتى باسم الرب :

« خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً : على كُرسِىِّ موسى ، جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن

حسب أعمالهم لا تعملوا ؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون»

ثم ذمَّ علماء بنى إسرائيل على خبثهم ونفاقهم ، ثم شهد على بنى إسرائيل بأنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق . ثم قال : «يا أورُشَليم . يا أورُشَلِيم . يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين إليها . كم مرةٍ أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يُترَكُ لكم خرابا ؛ لأنى أقول لكم : «إنكم لا تروننى ، حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب» [متى ٢٣ : ١ - ٣٩]

فى ذلك الخطاب : يقول لأتباعه ولليهود : اعملوا بشريعة موسى ، حتى يأتى من بعدى المبارك باسم الرب . فإنه إذا جاء ، له تسمعون فى كل ما يكلمكم به . وأشار بهدم هيكل سليمان فى أورشليم إلى إنتهاء الطقوس اليهودية على يد النبى المبارك من الله . فمن هو هذا النبى المبارك ؟ إنه هو الذى تنبأ عنه داود ، بالحجر المرفوض من البنائين . والحجر المرفوض كناية عن نسل هاجر التى بشرها ملاك الله بقوله : «لا تخافى ؛ لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشُدِّى يدك به . لأنى سأجعله أُمَّة عظيمة» [تك ٢١ : ١٧ - ١٨] «وقال لها ملاك الرب : ها أنت حُبلى ؛ فتلدين ابنا . وتدعين اسمه إسماعيل ؛ لأن الرب قد سَمِع لمذَلَّتِك . وإنه يكون إنساناً وحشيا . يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه . وأمام جميع إخوته يسكن» [تك ١٦ : ١١ - ١٢]

وفى الأيام الأولى للإسلام كان علماء المسلمين يكتبون فى علم مقارنة الأديان على ما تيسر لهم . إذ كتبهم لم تكن تُرجمت إلى العربية وانتشرت ، وإذ كتب مفسريهم للنصوص لم تكن قد كثر تداولها ، كما فى زماننا هذا . وكان بعضهم ينقل من بعض . فإذا تصادف أن المنقول عنه قد أخطأ فى ذكر مسألة مّا مما عندهم من العلم، فإن الخطأ ينتقل . وقد يتعذر إصلاحه . ومثال ذلك : قول مؤلف الأسفار المقدسة وغيره : إن التوراة خلَتْ من ذكر البعث . وهى لم تخلِ منه . ففى سفر التثنية يقول تعالى : «أليس ذلك مكنوزا عندى ، مختوماً عليه فى خزائنى ؟ لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم» [تث ٣٢ : ٣٤]

وأرى الله تعالى داود عليه السلام نعيم الجنة بعين بصيرته . فَسُرَّ به ، واستحقر متاع الحياة الدنيا بجانبه ، وقال باكيا : «لا تنظرى فيما بعدُ إلى هذا العالم ياعينى ؛ لأن كل شىء فيه باطل ، وليس فيه شىء جيد»

وقال إشعياء النبى عن مُسِرَّات الجنة : «لم تر عينا إنسان ، ولم تسمع أذناه ، ولم يدرك قلب بشر ، ما أعده الله للذين يحبونه» [إش ٦٤ : ٤] وفى ترجمة اليسوعيين : «إنه منذ الدهر ، لم يسمعوا ، ولم يُبلغوا ، ولم تر عين ما خلاك يا ألله ، ما تصنع للذين ينتظرونك»

وفى كتابنا هذا أصلحنا أخطاء ؛ ليعلم أهل الكتاب : أننا نحن المسلمين

قد عرفنا ما عندهم على حقيقته . ومن يستمر في النظر والبحث ، سوف يُصلح ، ويجد الكثير مما لم يكن معروفا من قبل .

وأذكُرُ : أنه قال لى واحد منهم : إن البعث عندنا نحن النصارى بالروح وليس بالجسد . فقلت له : اذكر الدليل على ذلك ؛ فإننا نعلم أنه عندكم بالروح والجسد معاً . ففتح الكتاب على الرسالة الأولى لأهل كورنثوس . وقرأ إلى قوله : «فأقول هذا أيها الأخوة : إنَّ لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله» فقلت له : يكفى هذا فى غرضنا . اسمع : إن ملكوت الله سيتأسس فى الأرض بعد مملكة الروم . وبولُس يقول : إنه ملكوت يسوع . ولما لم تساعده النبوءات على غرضه ؛ ادعى أن الملكوت روحى على القلوب ، وليس بمجد وسلطان على الأرض ، وأن المسيح سيؤسسه فى السماء بالروح . ويناسب ادعاؤه هذا : أن الأموات يحيون فى يوم الدين بالأرواح ؛ فلذلك قال بالبعث الروحى .

ارجع إلى إنجيل متى واقرأ قول المسيح ذاته : «فإن كانت عينك اليمنى تُعْثِرك ؛ فاقلعها ، وألقها عنك ؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله فى جهنم» [متى ٥ : ٢٩] إنه إذا كان البعث روحيا ؛ فلماذا قال : «ولا يلقى جسدك كله فى جهنم» ؟

ويكفى فى إبطال التثليث : قوله « ملكوت الله» – « ما أعدَّه الله» – «ما خلاك يا ألله» فى النصوص السابقة ، ولكن من يفهم ؟

وشاع فى الكتب : أن النصارى يقولون : بإن الإنسان مسير لا مخير ، وأنه ليس حرا فى اختيار أفعاله . وحقًا هم يقولون بالجبر . لكنَّ قولهم هذا من المسيح مأخوذ أم من بُولُس؟ إنه مأخوذ من أقوال بولس فى الأصحاح التاسع والعاشر من رسالته إلى رومية . فالمسيح لم يصرح بالجبر ، وكيف يصرح به ، وفى توراة موسى أن الله قد خلق الإنسان حرا ؟

ففى توراة موسى : «إن هذه الوصية التى أوصيك بها ا ليوم ، ليست عسرة عليك ، ولا بعيدة منك . ليست هى فى السماء حتى تقول : مَنْ يصعدُ لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها ؛ لنعمل بها ؟ ولا هى فى عبر البحر ، حتى تقول : من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها ؛ لنعمل بها ؟ بل الكلمة قريبة منك جدا فى فمك ، وفى قلبك ، لتعمل بها» [تث ٣٠ : ١١ – ١٤]

ولقد سُئل(١) المسيح عن قول عاموس النبى : «أيُنفخ فى البوق فى المدينة ، ولا يفزع الشعب ؟ أم يكون فى المدينة شر ، ولم يفعله الرب ؟» [عا ٣ : ٦]

وسئل أيضا عن أن الله قسَّى قلب فرعون ، ومنعه من الإيمان ،

---

(١) السؤال والجواب فى إنجيل برنابا .

ليهلكه . وهذا يدل على الجبر .
وقد أجاب بقوله : إن الله بيَّن أن الشرور منه ، لئلا يظن الناس أنها من إله غير الله ، فيعبدونه ؛ اتقاء لشرِّه ، وأنه قسى قلب فرعون ؛ لأنه استحب العمى على الهدى بعدما رأى آيات الله .

ولقد قال بُولُس : إن الإيمان يكفى فى دخول الجنة من غير أعمال . والإيمان عنده : هو الإيمان بيسوع المسيح ربا مصلوبا ، مكفراً عن خطايا بنى آدم . وقال المسيح : إن الإيمان بالله رب العالمين ، والعمل بشريعته . هما معا ، عليهما مدار النجاة فى الدنيا والآخرة . ففى الرسالة إلى رومية ، يقول بولس : «وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس ، مشهودا له من الناموس والأنبياء . برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون . لأنه لا فرق . إذا الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح . الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه ، لإظهاره بره ، من أجل الصفح عن الخطايا السابقة بإمهال الله . لإظهار بره فى الزمان الحاضر ، ليكون بارا ، ويُبرر مَنْ هو من الإيمان بيسوع . فأين الافتخار ؟ قد انتفى . بأى ناموس ؟ أبناموس الأعمال ؟ كلا بل بناموس الإيمان» [رو ٣ : ٢١ - ٢٧]

ويقول عيسى عليه السلام : «أما كوْن الإنسان حرا : فواضح من كتاب موسى ؛ لأن إلهنا عندما أعطى الشريعة على جبل سيناء قال هكذا : ليست وصيتى فى السماء لكى تتخذ لك عذراً قائلاً : من يذهب ليحضر لنا وصية الله ، ومن ياترى يعطينا قوة لنحفظها ... إلخ» [بر ١٦٤ : ١٣ -]

ويقول عيسى عليه السلام : « فكل من يسمع أقوالى هذه ، ويعمل بها ؛ أشبهه برجل عاقل ، بنى بيته على الصخر ، فنزل المطر ، وجاءت الأنهار ، وهبت الرياح ، ووقع على ذلك البيت ، فلم يسقط . لأنه كان مؤسسا على الصخر . وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها ، يُشَبَّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت ، فسقط . وكان سقوطه عظيماً»

[متى ٧ : ٢٤ - ٢٧]

وأما العهدُ المبرم بين الله تعالى وبين إبراهيم عليه السلام فى أ - الدعوة ب - والقدوة :

فإنه محصور فى إسماعيل وإسحق - عليهما السلام - وقد قام بنو إسحق أولاً به ، ومن بعدهم يقوم بنو إسماعيل . فقال بولس : إن العهد محصور فى بنى إسحق كلهم حالة كونهم سالكين سبيل أبيهم فى التقوى والعبادة ، وأن العهد لم يبدأ من زمان إبراهيم بل بدأ من زمان عيسى عليه السلام . أى أن الله لما عاهد إبراهيم على السير أمامه ، كان لا يريد أن يبدأ إبراهيم بالسير ، ولا نسله من بعده . وإنما كان يريد أن يحفظ نسله هذا العهد فى قلوبهم إلى أن يظهر عيسى عليه السلام فيساعدوه على

السير أمام الله . وعلى قوله هذا : فإن إبراهيم نفسه لا يكون قد دعا إلى الله ، وجاهد فى سبيله ، ولا يكون لموسى عليه السلام فضل ولا مزية فى السير أمام الله ، بل لا يكون لأحد من بنى إسرائيل فضل أمام الله إلى وقت المسيح . وكيف يسير المسيح أمام الله ليحقق العهد المبرم بين الله وبين إبراهيم ، وليس معه من كتاب يهدى به الأمم إلى الله ؟ إن إنجيله يحيل إلى تشريعات التوراة . التى زعم بولس أنها قد نُسخت بمجىء المسيح . فكيف يحقق المسيح العهد ، وليس معه من كتاب فيه تشريعات تنظم شئون الحياة ؟ كيف يكون هذا ؟ وأى عهد هذا ؟

ولقد سُئل بولس : إذا كان العهدُ لم يبدأ إلا بالمسيح ؛ فلماذا أنزلت التوراة ؟ وأجاب بقوله : لأن الناس لما كان بعضهم يعتدى على بعض ؛ أنزلت التوراة لتأديبهم ، أما العهد فإنه من حين بدء المسيح فى السير أمام الله .

يقول بولس : «أيها الأخوة بحسب الإنسان أقول : ليس أحد يُبطل عهداً، قد تمكّن ، ولو من إنسان أو يزيد عليه . وأما المواعيد فقيلت فى إبراهيم وفى نسله . لا يقول وفى الأنسال كأنه عن كثيرين ، بل كأنه عن واحد . وفى نسلك الذى هو المسيح ... الخ» [غلاطية ٣ : ١٥ -]

انظر . لقد حصر بولس العهد فى من يؤمن بالمسيح ربا مصلوبا عن الخطايا . وما هكذا كان العهد . فإنه قد كان فى إسماعيل وإسحق ، وبدأ من إبراهيم نفسه . وفى إسحق بدأ من موسى صاحب الشريعة ، وفى إسماعيل بدأ من محمد صاحب الشريعة . يقول المسيح : «الحق أقول لكم : إن كل نبى[1] متى جاء ، فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا إليه ، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ماهو بمثابة خاتم يده ، فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض ، الذين يقبلون تعليمه ، وسيأتى بقوة على الظالمين ، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزى الشيطان ؛ لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً : انظر ؛ فإنى بنسلك أبارك كل قبائل الأرض ، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما ؛ هكذا سيفعلُ نسلك» [بر ٤٣ : ١٣ - ١٩]

وقد تبين مما قدمنا : أن النصرانية ليست مبنية على كلام المسيح عيسى عليه السلام وإنما هى مبنية على كلام بُولُس . وأن المكتوب فى الأناجيل الأربعة متناقض مع المنسوب إلى بولس . وأن هدف بولس من تحريف كلام المسيح هو إنكار بركة إسماعيل عليه السلام .

وقد تبين : أن التوراة لا تشهد للنصارى بصحة معتقداتهم ، ولا الأناجيل تشهد لهم . وإنما يشهد لهم عبّاد الأوثان وصانعو التماثيل

---

(١) يقصد نبى من بعد موسى [راجع تفسير القرطبى فى آخر سورة الشورى] .

والأيقونات ؛ فى الزمان القديم .
ولأن النصارى يعلمون أن معتقداتهم لا تثبت إلا بشهادة التوراة ، احتالوا على تأويل نصوص فيها لتشهد لهم . ففى سفر إشعياء : أن آحاز الملك طلب من الله معجزة على أن الله سينصره على رَصين ملك أرام ، وعلى فاقحُ بن رمليا ملك إسرائيل فقال له : إن المعجزة هى : أن العذراء تحبل وتلد ابنا . وهذا الابن الذى ستلده العذراء ، قبل أن يكبر ، ستنتصر على الملكين . وتم ذلك فى حينه ، من قبل سبى بابل سنة ٥٨٦ .ق م . فلماذا يقول النصارى : إن العذراء إشارة إلى مريم البتول ؟
يقول إشعياء فى الأصحاح السابع من سفره : «فلذلك يؤتيكم السيد نفسه آية : ها إن العذراء تحبل وتلد ابنا ، وتدعو اسمه عِمَّانُوئيل . يأكل زبدا وعسلا ، إلى أن يعرف أن يرذل الشر ويختار الخير ؛ لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرذل الشر ويختار الخير ؛ تُهْجَر الأرض التى أنت مُنضغط لأجل مَلِكيْها» [إش ٧ : ١٤ - ١٦]
والعذراء فى العبرانية «علمه» ومعناها : الامرأة الشابة ، سواء كانت بكرا أو ثيبا ، فما وجه دلالتها على مريم البتول . وهى كلمة متشابهة المعنى وكانت معجزةِ لملك وقد تحققت ؟
ويقول النصارى : إن معجزات المسيح تدل على ألوهيته . وهل انفرد المسيح بها عن أنبياء بنى إسرائيل ؟
ونتوقف عند هذا الحد . وندعو الله تعالى بكرة وعشيا :
﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ﴾

على الجوهرى

٢٦ من ربيع الثانى ١٤١١ هـ
١٣ من نوفمبر ١٩٩٠ م

الفصل الأول

المقارنة بين معجزات اليسع ويسوع عليهما السلام

قال الله تعالى : ﴿ **الذين قالوا : إن الله عهد إلينا : أن لا نؤمن لرسول ، حتى يأتينا بقربان تأكله النار . قل : قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات ، وبالذى قلتم . فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين ؟**﴾[1]

لقد عهد الله إلى بنى إسرائيل – كما قالوا – بأن يصدقوا المرسل إليهم من الله ، إذ أتى بأحد أمرين : الأمر الأول : النار اللاهوتية . والأمر الثانى : المعجزات .

وقد أتت إليهم رسل بما قالوا . وأتت إليهم رسل بالمعجزات . و ﴿**كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم . فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** ﴾[2]

ومن الرسل الذين جاءوا بالنار اللاهوتية داود عليه السلام . ومن الرسل الذين جاءوا بالمعجزات اليسع ويسوع عليهما السلام . ففى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول أن داود عليه السلام اشترى بيدر «أُرنان» اليبوسى ، وبنى فيه مسجدا لله تعالى ، وذبح غنما وبقرا . ووضع الذى ذبحه ، من أجل الله ، على الأرض . فنزلت نار من السماء على مذبح المحرقة ، فتأكد هو والراؤون : أن الله تقبل قربانه . والآية السادسة والعشرين نصها : « **وبنى داود هناك مذبحا للرب وأصعد محرقات وذبائح سلامة . ودعا الرب . فأجابه بنار من السماء على مذبح المحرقة** » [١ أخ ٢١:٢٦]

وأما الأدلة على المعجزات . فسنذكر ههنا من معجزات اليسع[3]

---

(١) آل عمران ١٨٣ . (٢) المائدة ٧٠ .

(٣) أليشع معناه بالعربية « الله خلاص » واسم أبيه « شافاط » ويقول أهل الكتاب إنه من سبط =

وعيسى – عليهما السلام – مايدل على نبوتهما . وذلك لأن معجزات عيسى مثل معجزات اليسع . ولا يقول واحد من أهل الكتاب بأن اليسع بمعجزاته صار هو الإله ، أو إله كما يقول النصارى فى يسوع الذى يُدعى المسيح .

فاليسع أحيا ميتا فى حياته . وبعد موته ، دفن ميت بجواره فحيى ببركة اللمس . والمسيح لم يحيى أحدا من بعد رفعه إلى السماء ، وأحيا فى حياته ثلاثة . وأبرأ اليسعُ الأبرصَ ، كما أبرأه المسيح ، ونبأ اليسع بالغيب ، كما نبأ المسيح .

وسار على الماء ، كما سار المسيح على الماء . وله مائدة سماوية مثل مائدة المسيح . فلماذا يقول النصارى : إن المسيح بالمعجزات تلبَّس جسده باللاهوت؟

معجزات اليَسَع عليه السلام

المعجزة الأولى : لما رفع الله تعالى إليه إلياس إلى السماء . وكان مشاهدا لرفعه تلميذه «أليشع» الذى هو «اليسع» قال له تلاميذه : إن ههنا خمسين رجلا ، دعهم يذهبون ويفتشون على «إلياس» لئلا يكون قد حمله روح الرب وطرحه على أحد الجبال ، أو فى أحد الأودية . فقال : لاترسلوا . فألحوا عليه حتى خجل وقال : أرسلوا . فأرسلوا خمسين رجلا ، ففتشوا ثلاثة أيام و لم يجدوه . ولما رجعوا إليه وهو ماكث فى أريحا . قال لهم : أما قلت لكم : لاتذهبوا [الملوك الثانى ٢ :١٦–١٨]

ففى هذه المعجزة : تجد أنه أخبر بالغيب ، ووقع خبره كما نبأ به .

المعجزة الثانية : إنه رفع رداء إلياس عليه السلام وضرب به نهر الأردن ،

= « يسّاكر » وهو من قرية « ابل محولة » فى الطرف الشمالى من وادى الأردن إلى الجنوب من بحر الجليل . وآبل محولة اسم عبرى معناه مرج الرقص . وهى الآن عين حلوة جنوب بيسان . ويقول أهل الكتاب إنه كان فلاحاً مزارعاً ثم انتخبه إلياس للدعوة إلى الله من بعده . وكيف يكون إماما فى الدعوة وهو لم يتعلم العلم ؟ والحق إنه كان من قوم لاوى ولما اقترب رفع إلياس إلى السماء ، قال له اليسع : «ليكن نصيب اثنين من روحك على» فقد كانت شريعة موسى تعطى للابن البكر نصيب اثنين . وهو يريد أن يكون رئيس الدعاة كالبكر بين الأولاد .

فانفلق ، وعبر عليه [٢ مل ١٣-١٤]

المعجزة الثالثة : «وقال رجال المدينة لأليشع : هو ذا موقع المدينة حسن ، كما يرى سيدى . وأما المياه فردية والأرض مجدبة . فقال : ائتونى بصحن جديد ، وضعوا فيه ملحا . فأتوه به ، فخرج إلى نبع الماء ، وطرح فيه الملح . وقال : هكذا قال الرب : قد أبرأت هذه المياه ، لايكون فيها أيضا موت ولاجدب . فبرئت المياه إلى هذا اليوم ، حسب قول أليشع الذى نطق به » [الملوك الثانى ٢ : ١٩-٢٢]

فقد وضع فى البئر ملحا ليصلح ماءه . فصلح إلى اليوم الذى كتب فيه الكاتب .

المعجزة الرابعة : «ثم صعد من هناك إلى بيت إيل. وفيما هو صاعد فى الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه ، وقالوا له : اصعد ياأقرع . اصعد ياأقرع . فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب . فخرجت دبتان من الوعر ، وافترستا منهم اثنين وأربعين ولدا » [الملوك الثانى ٢ : ٢٣-٢٤] .

فقد أهلك من الأطفال بدعائه عليهم اثنين وأربعين ولدا .

المعجزة الخامسة : وأنبأ اليسع بالغيب مرة أخرى . إذ قال للملك إسرائيل – ملك السامرة – وملك يهوذا – ملك اليهود – وملك أدوم – ملك الأردن – إن الله سينصركم على أعدائكم بنى موآب . – أهل سوريا – وعلامة النصر : أن الوادى يمتلىء ماء فتشربون أنتم وما شيتكم وبهائمكم . فكان الأمر كما قال [الملوك الثانى ٣]

المعجزة السادسة : وبارك اليسع فى قنينة من الدهن . فإنه قد « صرخت إلى أليشع امرأة من نساء بنى الأنبياء[1] قائلة : إن عبدك زوجى قد مات وأنت تعلم أن عبدك كان يخاف الرب . فأتى المرابى ليأخذ ولدىَّ له عبدين . فقال لها أليشع : ماذا أصنع لك ؟ أخبرينى ماذا لك فى البيت ؟ فقالت : ليس لجاريتك شىء فى البيت إلادهنة زيت . فقال : اذهبى واستعيرى لنفسك أوعية

(١) زوجة تلميذ لعالم من علماء بنى إسرائيل .

من خارج من عند جميع جيرانك . أوعية فارغة . لاتقللى . ثم ادخلى وأغلقى الباب على نفسك وعلى بيتك ، وصُبى فى جميع هذه الأوعية ، وما امتلأ انقليه . فذهبت من عنده وأغلقت الباب على نفسها وعلى بيتها . فكانوا هم يقدمون لها الأوعية وهى تصب . ولما امتلأت الأوعية قالت لابنها : قدم لى أيضا وعاء . فقال لها : لايوجد بعد وعاء . فوقف الزيت . فأتت وأخبرت رجل الله . فقال : اذهبى بيعى الزيت وأوفى دينك وعيشى أنت وبنوك بمابقى » [٢ مل ٤ : ١-٧]

المعجزة السابعة : وامرأة عظيمة شاخ رجلها وليس لها ابن . فدعا الله تعالى فحبلت وولدت ، وكبر الولد . ومات . فانطلق اليسع وتمدد على الولد فعطس سبع مرات وفتح عينيه [الملوك الثانى ٤ : ١-٢٧]

المعجزة الثامنة : أنه منع السم من الطعام . فقد رجع اليسع إلى الجلجال[1]. وكان جوع فى الأرض وكان بنو الأنبياء - أى تلاميذ العلماء - جلوسا أمامه . فقال لغلامه : ضع القدر الكبيرة واسلق سليقة لبنى الأنبياء . وخرج واحد إلى الحقل ، ليلتقط بقولا . فوجد يقطينا بريا . فالتقط منه قثاء بريا، ملء ثوبه وأتى وقطعه فى قدر السليقة ؛ لأنهم لم يعرفوا . وصبوا للقوم ليأكلوا . وفيماهم يأكلون من السليقة ؛ صرخوا وقالوا : فى القدر موت يارجل الله . ولم يستطيعوا أن يأكلوا . فقال : هاتوا دقيقا . فألقاه فى القدر ، وقال : صُب للقوم فيأكلوا . فكأنه لم يكن شىء ردىء فى القدر [٢ مل ٤ : ٣٨-٤١]

المعجزة الثامنة : أنه كانت له مائدة من السماء . فقد جاء رجل وأحضر له خبزا ، عشرين رغيفا . فقال له : أعط الشعب ليأكلوا . فقال خادمه : ماذا ؟ هل أجعل هذا أمام مئة رجل ؟ فقال : أعط الشعب ، فيأكلوا ؛ لأنه هكذا قال الرب : يأكلون ويفضل عنهم . فجعلوا أمامهم ، فأكلوا وفضل عنهم حسب قول الرب [٢ مل ٤ : ٤٢-٤٣]

المعجزة التاسعة : كان نعمان السريانى رئيس جيش ملك أرام ، به مرض البرص ، وطلب من اليسع أن يدعو الله لشفائه ، فأمره اليسع بأن يذهب

(١) الجلجال معناها : دحرجة العار .

ويغطس فى الأردن سبع مرات . فذهب وغطس فطهر من البرص « فرجع إلى رجل الله هو وكل جيشه ودخل ووقف أمامه . وقال : هو ذا قد عرفت أنه ليس إله فى كل الأرض إلا فى إسرائيل »

المعجزة العاشرة : ثم إن نعمان ألح على اليسع أن يأخذ منه هدية . ولم يأخذ منه اليسع شيئا . ولما انصرف قافلا إلى مدينته . قال جيحزى غلام اليسع فى نفسه : إن سيدى لم يأخذ منه شيئا . فانا أجرى وراءه وآخذ منه شيئا ، فسار حتى لحق به وقال له : إن سيدى قد أرسلنى قائلا : هو ذا فى هذا الوقت قد جاء إلىّ غلامان من جبل أفرايم من بنى الأنبياء ، فأعطهما وزنة فضة وحلتى ثياب . فقال نعمان : اقبل وخذ وزنتين وألح عليه . وصر وزنتى فضة فى كيسين وحلتى الثياب ودفعها لغلاميه ، فحملاها قدامه . وأما هو فدخل ووقف أمام سيده . فقال له أليشع : من أين ياجيحزى ؟ فقال : لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك . فقال له : ألم يذهب قلبى حين رجع الرجل من مركبته للقائك ؟ أهو وقت لأخذ الفضة ولأخذ ثياب وزيتون وكروم وغنم وبقر وعبيد وجوار ؟ فبرص نعمان يلصق بك وبنسلك إلى الأبد . فخرج من أمامه أبرص كالثلج » [٢ مل ٥]

المعجزة الحادية عشر : وهى معجزة طفى الحديد على الماء . أى عمل شيء يضاد عمل الطبيعة التى كوّن الله الأشياء عليها . فقد قال بنو الأنبياء لأليشع : إننا نريد أن نهيىء مكانا عند الأردن لنقيم فيه . فذهب معهم وقطعوا خشبا لتهيىء المكان « وإذ كان واحد يقطع خشبة ، وقع الحديد فى الماء ، فصرخ . وقال : آه ياسيدى؛ لأنه عارية . فقال رجل الله : أين سقط ؟ فأراه الموضع فقطع عودا وألقاه هناك ، فطفا الحديد . فقال : ارفعه لنفسك . فمد يده وأخذه» [٢ مل ٦ : ١-٧]

المعجزة الثانية عشر : وفيها :

١ – إن اليسع أخبر بالغيب ، وكشف مكر الأعداء وتدبيرهم .

٢ – أن غلام اليسع أنار الله بصيرته ، فرأى بقلبه مالا يراه بعينه .

٣ – أن اليسع أعمى عيون الناس .

٤ – وأن اليسع أبصر عيون الناس الذين أعماهم بإذن الله .

وفى قصة هذه المعجزة تجد أنه :

أ - كذب على الأعداء .

ب - وأنه أكرمهم وعفا عنهم .

وخلاصة القصة :

إن ملك أرام كان يحارب مملكة إسرائيل التى هى السامرة . وتآمر مع عبيده أن يعملوا كمينا لملك إسرائيل . فأوحى الله إلى اليسع بمكان الكمين . فأخبر ملك السامريين ، فنجا منه . وهكذا لامرة ولامرتين .

ولما علم أن اليسع هو الذى ينبؤه بالغيب ، سأل عن موضعه وأحاط به ليلا بجند كبير فى «دوثان» فطلب من الله أن يعميهم حتى لايروه . ثم قال لهم أليشع : ليست هذه هى الطريق ولا هذه هى المدينة . اتبعونى فأسير بكم إلى الرجل الذى تفتشون عليه . فسار بهم إلى السامرة . فلما دخلوا السامرة قال أليشع : يارب افتح أعين هؤلاء فيبصروا . ففتح الرب أعينهم فأبصروا وإذا هم فى وسط السامرة . فاستأذن الملك اليسع فى قتلهم ، فلم يأذن له . وطلب منه أن يقدم لهم موائد وأن يحسن إليهم ففعل . ثم انطلقوا إلى بلادهم [الملوك الثانى ٦ : ٨-٢٣]

المعجزة الثالثة عشر :

فى هذه المعجزة :

١ - ملك السامرة يطلب قتل اليسع . لأن الجوع كان شديدا فى المملكة ، واليسع لم يطلب الفرج من الله .

٢ - ملك السامرة أرسل رسولا إلى اليسع ليقطع رأسه . لأنه لم يطلب من الله درء خطر الجوع .

٣ - اليسع أخبر ضيوفه بأن الملك أرسل رسولا لقطع رأسه ، من قبل أن يصل إليه .

٤ - اليسع يخبر بأن الجوع من الله . ولا راد لقضائه .

وفى هذه المعجزة تجد تصوير الجوع بأن امرأة قتلت ولدها وسلقته وطبخته مع جارتها . واتفقت معها على قتل ولدها من بعده ليأكلاه معا [الملوك الثانى ٦ : ٢٤-٣٣]

المعجزة الرابعة عشر :

فى هذه المعجزة : الإنباء بالغيب :

أ – من جهة رخص الأسعار .

ب – من جهة سرعة تحقق الخبر .

جـ – من جهة أن جندى الملك سيموت فى الغد .

وخلاصة القصة : أنه بعد الجوع الشديد فى السامرة بسبب حصار الأراميين لهم . قال اليسع : اسمعوا كلام الرب . هكذا قال الرب : فى مثل هذا الوقت غدا تكون كيلة الدقيق بشاقل ، وكيلتا الشعير بشاقل فى باب السامرة . وإن جنديا للملك كان يستند على يده . أجاب رجل الله وقال : هو ذا الرب يصنع كوى فى السماء ؟ هل يكون هذا الأمر ؟ فقال : إنك ترى بعينيك ولكن لا تأكل منه . وتحقق ما أنبأ به [٢ مل ٧]

المعجزة الخامسة عشر : كان الملك أخآب وامرأته إليزابل قد أقاما صنم البعل فى بنى إسرائيل ، ودعوا معا لعبادته من دون الله ، وقتلا أنبياء الله الذين نهروا الناس عن عبادته . ولما خرج أمر الله بالانتقام ، قال اليسع لتلميذ من تلاميذه : «شد حقويك وخذ قنينة الدهن هذه بيدك ، واذهب إلى راموت جلعاد . وإذا وصلت إلى هناك فانظر هناك ياهو بن يهو شافاط بن نمشى ، وادخل وأقمه من وسط إخوته ، وادخل به إلى مخدع داخل مخدع ، ثم خذ قنينة الدهن وصب على رأسه . وقل هكذا قال الرب : قد مسحتك ملكا على إسرائيل . ثم افتح الباب واهرب ولاتنتظر » [٢ مل ٩ : ١ الخ] وقد تم الوعد فى حينه .

المعجزة السادسة عشر : وهى فى خبر أخبر به اليسع ، وتحقق من بعد موته .

فإنه لما مرض مرض الموت ، زاره يوآش ملك إسرائيل . فأخبره بأنه سيضرب أرام فى «أفيق» إلى الفناء ، وسيضربها فى غير «أفيق» ثلاث مرات . وقد تم الوعد فى حينه [٢ مل ١٣ : ١٤-١٩]

المعجزة السابعة عشر : وهى فى إحياء ميت دفن فى قبره من بعد موته .

وذلك أن كاتب سفر الملوك الثانى يختم قصته بقوله : «ومات أليشع فدفنوه . وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة . وفيما كانوا يدفنون رجلا إذا بهم قد رأوا الغزاة ، فطرحوا الرجل فى قبر أليشع . فلما نزل الرجل ومس عظام أليشع ، عاش وقام على رجليه» [٢ مل ١٣ : ٢٠-٢١]

تلك هى معجزات اليسع عليه السلام من سفر الملوك الثانى . وقد جاء فى القرآن الكريم ذكره مع أنبياء الله المكرمين . فقد قال تعالى : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه . نرفع درجات من نشاء . إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحق ويعقوب . كلا هدينا . ونوحا هدينا من قبل . ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس . كل من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً . وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده . ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة . فإن يكفر بها هؤلاء ؛ فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله . فبهداهم اقتده . قل : لا أسألكم عليه أجرا . إن هو إلا ذكرى للعالمين** ﴾[١]

وأسماء الأنبياء ههنا ليست مذكورة على الترتيب الزمنى . فالغرض هو بيان ذرية إبراهيم الصالحة . ولقد حار العلماء فى زمان أيوب عليه السلام . ومبين ههنا أنه من نسل إبراهيم عليه السلام من فرع إسحق ولده . وله فى التوراة سفر باسمه . ولو كان من غير بنى إسرائيل لما وضع سفره علماء بنى إسرائيل فى التورة . ومن المرجح أن يكون فى الزمان من بعد موت سليمان عليه السلام .

والترتيب الزمنى هكذا :

---

(١) الأنعام ٨٣ - ٩٠

نوح – لوط – إبراهيم – إسماعيل – إسحق – يعقوب – يوسف – هرون – موسى – إلياس – اليسع – يونس – زكريا – يحيى – عيسى – عليهم السلام –

وقد انقسم بنو إسرائيل من بعد موت سليمان عليه السلام إلى مملكتين . المملكة الأولى : مملكة الأسباط العشرة وهم السامريون . والمملكة الثانية : مملكة السبطين وهم العبرانيون . وكان إلياس واليسع من مملكة السامريين فى نابلس ، فى حدود تسعمائة قبل الميلاد تقريبا .

معجزات عيسى عليه السلام

المعجزة الأولى : الكلام فى المهد . وقد ذكرها برنابا وإنجيل الطفولية . وفى بَرنابا أن الطفل يسوع حذر المجوس من الذهاب إلى هيرودس ، فانصرفوا فى طريق أخرى وعادوا إلى وطنهم وأخبروا بما رأوا فى اليهودية [بر ٧ : ١٠–١١] وعدم حرق مريم العذراء بالنار ، هو دليل على نطق ابنها ، لأنها ولدته بلا زوج . وماتت بعده بثمان سنوات .

المعجزة الثانية : فى سن الثانية عشرة كان يسوع فى هيكل سليمان فى «أورشليم» القدس ، يحاج العلماء فى أمر الناموس «وأعجب كل أحد بأسئلته وأجوبته قائلا : كيف أوتى مثل هذا العلم وهو حدث ولم يتعلم القراءة ؟» [بر ٩ : ١١–١٢ متى ١٣ : ٥٤]

المعجزة الثالثة : شفاء الأبرص .

«ولما نزل يسوع من الجبل ليذهب إلى أورشليم التقى بأبرص ، علم بإلهام إلهى أن يسوع نبى ، فتضرع إليه باكيا قائلا : يايسوع ابن داود ارحمنى ، فأجاب يسوع : ماذا تريد أيها الأخ أن أفعل لك ؟ فأجاب الأبرص : ياسيدى أعطنى صحة . فوبخه يسوع قائلا : إنك لغبى . اضرع إلى الله الذى خلقك . وهو يعطيك صحة ؛ لأننى رجل نظيرك . فأجاب الأبرص : أعلم ياسيد أنك إنسان ولكنك قدوس الرب . فاضرع إذاً إلى الله وهو يعطينى صحة . فتنهد

يسوع وقال : أيها الرب الإله القدير لأجل محبة أنبيائك الأطهار ، أبرىء هذا العليل . ولما قال ذلك لمس العليل بيديه وقال : باسم الله أيها الأخ ابرأ . ولما قال ذلك برىء من برصة ، حتى أن جسده الأبرص أصبح كجسد طفل . فلما رأى الأبرص ذلك وعلم أنه قد برىء ، صرخ بصوت عال : تعالى إلى هنا ياإسرائيل وتقبل النبى الذى بعثه الله إليك . فرجاه يسوع قائلا : أيها الأخ اصمت ولا تقل شيئا . فلم يزده الرجاء إلا صراخا قائلا : ها هو ذا النبى . ها هو ذا قدوس الله » [بر ١١ : ١-١٢ مرقس ١ : ٤٠-٤٥]

المعجزة الرابعة : تحويل الماءِ إلى خمر
وهى فى برنابا ١٥ ويوحنا ٢

المعجزة الخامسة : شفاء عشرة برص .

« وفى ذهابه إلى أورشليم اجتاز فى وسط السامرة والجليل . وفيما هو داخل إلى قرية ، استقبله عشرة رجال برص ، فوقفوا من بعيد ، ورفعوا صوتا قائلين : يايسوع يامعلم ارحمنا . فنظر وقال لهم : اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة وفيماهم منطلقون طهروا . فواحد منهم لما رأى أنه شُفى ، رجع يمجد الله بصوت عظيم ، وخر على وجهه عند رجليه شاكرا له . وكان سامريا . فأجاب يسوع وقال : أليس العشرة قد طهروا ؟ فأين التسعة ؟ ألم يوجد من يرجع ليعطى مجدا لله ، غير هذا الغريب الجنس ؟ ثم قال له : قم وامض . إيمانك خلصك» [لوقا ١٧ : ١١-١٨]

هذا نص كلام لوقا . ونرجىء باقى كلامه إلى مابعد ذكر كلام برنابا وهو :

«ولما انتهى يسوع من العبادة ، نزل من الجبل مع تلاميذه ، والتقى بعشرة برص ، صرخوا من بعيد : يايسوع بن داود ارحمنا . فدعاهم يسوع إلى قربة ، وقال لهم : ماذا تريدون منى أيها الأخوة ؟ فصرخوا جميعهم : أعطنا صحة . أجاب يسوع : أيها الأغبياء أفقدتم عقلكم حتى تقولوا : أعطنا صحة ؟ ألا ترون أنى إنسان نظيركم ؟ ادعو إلهنا الذى خلقكم وهو القدير الرحيم يشفيكم . فأجاب البرص بدموع : إننا نعلم أنك إنسان نظيرنا ، ولكنك قدوس الله ونبى

الرب ، فصل لله ليشفينا . فتضرع الرسل إلى يسوع قائلين : يامعلم ارحمهم . حينئذ أنَّ يسوع وصلى قائلا : أيها الرب الاله القدير الرحيم ، ارحم واصغ السمع إلى كلمات عبدك ، ارحم رجاء هؤلاء الرجال ، امنحهم صحة ، لأجل محبة إبراهيم أبينا ، وعهدك المقدس . وإذ قال يسوع ذلك ، تحول إلى البرص ، وقال : اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة بحسب شريعة الله .

فانصرف البرص وبرؤوا على الطريق . فلما رأى أحدهم أنه برىء ، عاد ينشد يسوع . وكان إسماعيليا . وإذ وجد يسوع انحنى احتراما له قائلا : إنك حقا قدوس الله . وتضرع إليه بشكر لكى يقبله خادما . أجاب يسوع : قد برىء عشرة فأين التسعة ؟ وقال للذى برىء : إنى ما أتيت لأُخدم ، بل لأخدم . فاذهب إذاً إلى بيتك ، واذكر ما أعظم ما فعل الله بك ، لكى يعلموا أن الوعود الموعود بها إبراهيم وابنه مع ملكوت الله آخذة فى الاقتراب . فانصرف الأبرص المبرأ . ولما بلغ جيرة حيِّه ، قصَّ ما صنع الله به بواسطة يسوع » [بر ١٩ : ١١-٣٤]

التعليق

روى برنابا ولوقا وحدهما شفاء العشرة البرص . وقال برنابا : إن الذى شكر المسيح كان من بنى إسماعيل عليه السلام ، وقال لوقا : إنه كان من بنى إسرائيل السامريين . وقال برنابا ولوقا معا : إن المسيح تحدث بعد شفاء البرص عن ملكوت الله الذى هو ملكوت السموات . وقال برنابا نقلا عن المسيح : إنه آخذ فى الاقتراب . تماما كما قال متى : إن يسوع كَرَزَ وقال لبنى إسرائيل : «توبوا فإنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤ : ١٧] وبين برنابا نقلا عن المسيح : أن الملكوت الآتى سيكون لبنى إسماعيل ؛ لأن إسماعيل هو ابن إبراهيم الموعود أن به تتبارك كل أمم الأرض . تماما كما قال متى : إن يسوع قال لعلماء بنى إسرائيل : « إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره »

ولننظر الآن فى ما أورده لوقا بعد شفاء العشرة البرص . ولسوف نعلم أنه روى كما روى برنابا .

النــص

« أليس العشرة قد طهروا . فأين التسعة ؟ ألم يوجد من يرجع ليعطى مجدا لله غير هذا الغريب الجنس ؟ ثم قال له : قم وامض . إيمانك خلّصك .

ولما سأله الفَريسيون : متى يأتى ملكوت الله ؟ أجابهم : وقال : لا يأتى ملكوت الله بمراقبة . ولا يقولون هو ذا ههنا أو هو ذا هناك ؛ لأن ها ملكوت الله داخلكم . وقال للتلاميذ : ستأتى أيام فيها تشتهون أن تروا يوما واحدا من أيام ابن الإنسان ولا ترون . ويقولون لكم : هو ذا ههنا أو هو ذا هناك . لاتذهبوا ولا تتبعوا ؛ لأنه كما أن البرق الذى يبرق من ناحية تحت السماء يضىء إلى ناحية تحت السماء ، كذلك يكون أيضا ابن الإنسان فى يومه . ولكن ينبغى أولا أن يتألم كثيرا ، ويرفض من هذا الجيل . وكما كان فى أيام نوح ، كذلك يكون أيضا فى أيام ابن الإنسان . كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون إلى اليوم الذى فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع .

كذلك أيضا كما كان فى أيام لوط كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون . ولكن اليوم الذى فيه خرج لوط من سدوم ، أمطر نارا وكبريتا من السماء ، فأهلك الجميع . هكذا يكون فى اليوم الذى فيه يظهر ابن الإنسان . فى ذلك اليوم من كان على السطح وأمتعته فى البيت ، فلا ينزل ليأخذها . والذى فى الحقل كذلك لايرجع إلى الوراء . اذكروا امرأة لوط . من طلب أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن أهلكها ، يحييها . أقول لكم : إنه فى تلك الليلة يكون اثنان على فراش واحد . فيؤخذ الواحد ويترك الآخر . تكون اثنتان تطحنان معا ، فتؤخذ الواحدة وتترك الأخرى . يكون اثنان فى الحقل ، فيؤخذ الواحد ويترك الآخر . فأجابوا وقالوا له : أين يارب ؟ فقال لهم : حيث ما تكون الجثة هناك تجتمع النسور» [لوقا ١٧:١٧-٣٧]

التعليق :

كلام برنابا على أصله بدون تحريف . وكلام لوقا فيه تحريف . ليس

من لوقا ولكن من علماء المجامع الذين أرادوا أن تكون الأناجيل الأربعة دالة على أن عيسى هو النبى الآتى ، لا محمد ﷺ

انظر وتأمل فى سؤال الفرِّيسيين عن ملكوت الله . ماهى المناسبة فى النص لهذا السؤال ؟ إنه على رواية برنابا يصح السؤال . فإن المسيح قال : «لكى يعلموا : أن الوعود الموعود بها إبراهيم وابنه ، مع ملكوت الله ، آخذة فى الاقتراب» فإن سألوا وقالوا : متى يأتى ملكوت الله ؟ يكون للسؤال وجاهة . وهذه الوجاهة ليست له على رواية لوقا . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى يجب أن نتذكر : أن أصل الملكوت من الأصحاح الثانى والسابع من سفر دانيال . وأن المسيح نادى باقترابه . إذ هو سيتأسس بعد المملكة الرابعة التى هى مملكة الرومان . وأنه هو ملكوت محمد ﷺ لثبوت بركة فى نسل إسماعيل ، ثبوتها فى نسل إسحق أخيه . وإذا تذكرنا هذا ، وجب أن يلزم عليه أن «ها ملكوت الله داخلكم» موضوع للبس الحق بالباطل . لأن الملكوت سيأتى من خارج لامن داخل ، وسيتأسس بحرب وقتال فى أرض فلسطين .

وابن الإنسان : هو لقب لصاحب ملكوت الله . وهو محمد ﷺ والمحرف ههنا يريد أن يقول : إن ابن الإنسان هو عيسى عليه السلام وأنه سيتألم ويرفض من هذا الجيل . وهو بهذا القول يشير إلى قتله وصلبه . وقد صح وثبت أنه لم يقتل ولم يصلب ، وصح وثبت أنه يتحدث عن غيره .

بعد هذا . راجع ماذكره لوقا ههنا على ماذكره متى فى الأصحاح الرابع والعشرين . وهو : «انظروا . لايضلكم أحد ... الخ» وفيه «فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبىّ قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارىء . فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال ، والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا ، والذى فى الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه ، وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت ؛ لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم ، لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون . ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد ، ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام . حينئذ إن قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا أوهناك فلا تصدقوا ؛ لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات

عظيمة وعجائب ، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم . فإن قالوا لكم : ها هو فى البرية فلا تخرجوا . ها هو فى المخادع فلا تصدقوا . لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب ، هكذا يكون أيضا مجىء ابن الإنسان . لأنه حيثما تكن الجثة ، فهناك تجتمع النسور»

وقد بينا هذا هنا ، وفى كتاب « البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والانجيل »

المعجزة السادسة :

«وذهب يسوع إلى بحر الجليل ، ونزل فى مركب مسافرا إلى الناصرة مدينته ، فحدث نوء عظيم فى البحر ، حتى أشرف المركب على الغرق . وكان يسوع نائما فى مقدم المركب . فدنا منه تلاميذه وأيقظوه قائلين : ياسيد خلص نفسك فإننا هالكون وأحاط بهم خوف عظيم ، بسبب الريح الشديدة التى كانت مضادة ، وعجيج البحر . فنهض يسوع ورفع عينيه نحو السماء وقال : يا ألوهيم الصباؤت ، ارحم عبيدك . ولما قال يسوع هذا ، سكنت الريح حالا ، وهدأ البحر . فجزع النوتية قائلين : ومن هو هذا ، حتى أن البحر والريح يطيعانه ؟ » [برنابا ٢٠:١-٨ متى ٨:٢٣-٢٧]

المعجزة السابعة :

«صعد يسوع إلى كفر ناحوم ، ودنا من المدينة وإذا بشخص خرج من بين القبور ، كان به شيطان ، تمكن منه ، حتى لم تقو سلسلة على إمساكه . فألحق بالناس ضررا كثيرا . فصرخت الشياطين من فيه قائلة : ياقدوس الله لماذا جئت قبل الوقت لتزعجنا ، وتضرعوا إليه أن لا يخرجهم . فسألهم يسوع : كم عددهم ؟ فأجابوا ستة آلاف وستة مئة وستة وستون . فلما سمع التلاميذ هذا ، ارتاعوا وتضرعوا إلى يسوع أن ينصرف . حينئذ أجاب يسوع : أين إيمانكم ؟ يجب على الشيطان أن ينصرف ، لا أنا . فحينئذ صرخت الشياطين قائلة : إننا نخرج ولكن اسمح لنا أن ندخل فى تلك الخنازير . وكان يرعى هناك بجانب البحر نحو عشرة آلاف خنزير للكنعانيين . فقال يسوع : اخرجوا وادخلوا فى الخنازير . فدخلت الشياطين فى الخنازير بجئير ، وقذفت بها إلى البحر . حينئذ هرب إلى المدينة رعاة الخنازير وقصوا كل ماجرى على يد يسوع . فخرج من ثم رجال المدينة ، فوجدوا يسوع والرجل

الذى شفى ، فارتاع الرجال وضرعوا إلى يسوع أن ينصرف عن تخومهم ، فانصرف من ثَمَّ عنهم وصعد إلى نواحي صور وصيدا» [برنابا ٢١:١-١٦ متى ٢٨:٨-٣٤ متى ٣٢:٩-٣٣ مرقس ١:٥-٢٠ لوقا ٢٦:٨-٣٩]

المعجزة الثامنة :

«واقترب قائد مئة قائلا : ياسيد إن ابنى مريض ، فارحم شيخوختى . أجاب يسوع : ليرحمك الرب إله إسرائيل . ولما كان الرجل منصرفا ، قال يسوع : انتظرنى ؛ لأنى آت إلى بيتك ، لأصلى على ابنك . أجاب قائد المئة :

ياسيد إنى لست أهلا وأنت نبى الله أن تأتى إلى بيتى . تكفينى كلمتك التى تكلمت بها لشفاء ابنى ؛ لأن إلهك قد جعلك سيدا على كل مرض ، كما قال لى ملاكه فى المنام . فتعجب حينئذ يسوع كثيرا وقال ملتفتا إلى الجميع : انظروا هذا الأجنبى لأن فيه إيمانا أكثر من كل من وجد فى إسرائيل . ثم التفت إلى قائد المئة وقال : اذهب بسلام ؛ لأن الله منح ابنك صحة لأجل الإيمان العظيم الذى أعطاكه . فمضى قائد المئة فى طريقه ، والتقى فى الطريق بخدمته الذين أخبروه : أن ابنه قد برىء . أجاب الرجل : أية ساعة تركته الحمى ؟ فقالوا : أمس فى الساعة السادسة ، انصرفت عنه الحمى . فعلم الرجل أنه لما قال يسوع : ليرحمك الرب إله إسرائيل ؛ استرد ابنه صحته ، لذلك آمن الرجل بإلهنا . ولما دخل بيته ، حطم كل آلهته تحطيما قائلا : ليس الإله الحقيقى الحى ، سوى إله إسرائيل ولذلك قال : لايأكل خبزى أحد ، لم يعبد إله إسرائيل» [برنابا ٣١:٧-٢٤ متى ٥:٨-١٣]

المعجزة التاسعة :

«وكان أمام الباب واحد ، كانت يده اليمنى متيبسة إلى حد لم يتمكن معه من استعمالها . فوجه يسوع قلبه لله وصلى ، ثم قال : لتعلموا أن كلماتى حق ، أقول : باسم الله . امدد يارجل يدك المريضة . فمدها صحيحة ، كأن لم تصبها علّة » [برنابا ١:٣٤-٣ مرقس ١:٣-٦]

المعجزة العاشرة :

« ثم رأى يسوع امرأة كان رأسها منحنيا نحو الأرض ، منذ ولادتها . فقال :

ارفعى رأسك أيتها المرأة باسم إلهنا ؛ ليعرف هؤلاء أنى أقول الحق ؛ وأنه يريد أن أذيعه . فاستقامت حينئذ المرأة صحيحة ، معظمة لله فصرخ رؤساء الكهنة قائلين : ليس هذا الإنسان مرسلا من الله لأنه لايحفظ السبت» [بر ٤٦: ١٤-١٨]

وقد روى لوقا هذه المعجزة هكذا :

«وكان يعلم فى أحد المجامع فى السبت . وإذا امرأة كان بها روح ضعف ثمانى عشرة سنة ، وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة . فلما رآها يسوع دعاها وقال لها : ياامرأة إنك محلولة من ضعفك . ووضع عليها يديه ؛ ففى الحال استقامت ومجدت الله . فأجاب رئيس المجمع ، وهو مغتاظ ؛ لأن يسوع أبرأ فى السبت وقال للجمع : هى ستة أيام ينبغى فيها العمل . ففى هذه ائتوا واستشفوا وليس فى يوم السبت . فأجابه الرب وقال : يامرائى ألا يحُل كل واحد منكم فى السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به ويسقيه . وهذه وهى ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة . أما كان ينبغى أن تُحل من هذا الرباط فى يوم السبت ؟ وإذ قال هذا ؛ أُخجل جميع الذين كانوا يعاندونه وفرح كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه» [لوقا ١٣: ١٠-١٧]

المعجزة الحادية عشرة : وهى فى إحياء ميت ابن الأرملة .

«ونزل يسوع فى السنة الثانية من وظيفته النبوية من أورشليم وذهب إلى نايين . فلما اقترب من باب المدينة ، كان أهل المدينة يحملون إلى القبر ابنا وحيدا ، لأمه الأرملة . وكان كل أحد ينوح عليه . فلما وصل يسوع ، علم الناس أن الذى جاء إنما هو يسوع نبى الجليل . فلذلك تقدموا وتضرعوا إليه لأجل الميت ، طالبين أن يقيمه لأنه نبى . وفعل تلاميذه كذلك . فخاف يسوع كثيرا ووجه نفسه لله وقال : خذنى من العالم يارب ؛ لأن العالم مجنون وكادوا يدعوننى إلها . ولما قال ذلك بكى . حينئذ جاء الملاك جبريل وقال : لاتخف يايسوع ؛ لأن الله أعطاك قوة على كل مرض ، حتى أن كل ما تمنحه باسم الله يتم برمته . فعند ذلك تنهد يسوع قائلا : لتنفذ مشيئتك أيها الإله القدير الرحيم . ولما قال هذا اقترب من أم الميت وقال لها بشفقة : لاتبكى

أيتها المرأة . ثم أخذ يد المرأة ، وقال : أقول لك أيها الشاب باسم الله قم صحيحا . فانتعش الغلام . وامتلأ الجميع خوفا قائلين : لقد أقام الله نبيا عظيما بيننا وافتقد شعبه » [بر ٤٧ لوقا ٧:١١-١٧] .

المعجزة الثانية عشر :

«وذهب يسوع إلى كفر ناحوم ، فلما عرفه أهل المدينة جمعوا كل مرضاهم ، ووضعوهم فى مقدم الرواق حيث كان يسوع وتلاميذه نازلين ، فدعوا يسوع وتضرعوا إليه لأجل صحتهم . فألقى يسوع يده على كل منهم قائلا : ياإله إسرائيل باسمك القدوس أعط صحة لهذا العليل ، فبرئوا جميعهم » [برنابا ٤٨:١٣-١٧ مرقس ١:٣٢-٣٤]

المعجزة الثالثة عشر : وهى فى شفاء مُقعد

«وقرب عيد الفصح ، فلذلك صعد يسوع وتلاميذه إلى أورشليم . وذهب إلى البركة التى تدعى بيت حِسْدا . ودعى الحمَّام كذلك لأن ملاك الله كان يحرك الماء كل يوم . ومن دخل الماء أولا بعد اضطرابه ، برىء من كل نوع من المرض . لذلك كان يلبث عدد غفير من المرضى بجانب البركة التى كان لها خمسة أروقة . فرأى يسوع هناك مقعدا كان له هناك ثمانى وثلاثين سنة ، مريضا بمرض عضال . فلما كان يسوع عالما بذلك بإلهام إلهى ، تحنن على المريض وقال له : أتريد أن تبرأ ؟ أجاب المقعد : ياسيد ليس لى أحد يضعنى فى الماء ، إذا حركه الملاك ، بل عندما آتى ينزل قبلى آخر ويدخله . حينئذ رفع يسوع عينيه نحو السماء . وقال : أيها الرب إلهنا ، إله آبائنا ، ارحم هذا المقعد . ولما قال يسوع هذا ، قال : باسم الله ابرأ . أيها الأخ قم واحمل فراشك . فحينئذ قام المقعد حامدا لله ، وحمل فراشه على كتفيه ، وذهب إلى بيته حامدا لله » [برنابا ٦٥:١-١١ يوحنا ٥:١-٩]

المعجزة الرابعة عشر :

«ولما أكمل هذا يسوع جىء برجل فيه شيطان وهو لايتكلم ولا يبصر ولا يسمع . فلما رأى يسوع إيمانهم ، رفع عينيه نحو السماء وقال : أيها الرب إله آبائنا ، ارحم هذا المريض وأعطه صحة ، ليعلم هذا الشعب أنك أرسلتنى . ولما قال يسوع هذا ، أمر الروح أن ينصرف قائلا : بقوة اسم الله ربنا ،

انصرف أيها الشرير عن الرجل . فانصرف الروح وتكلم الأخرس وأبصر بعينيه ، فارتاع لذلك الجميع ، ولكن الكتبة قالوا : إنما هو يخرج الشياطين بقوة بعلزبوب ، رئيس الشياطين .

حينئذ قال يسوع : كل مملكة منقسمة على نفسها تخرب . ويسقط بيت على بيت . فإذا كان الشيطان يخرج بقوة الشيطان ، فكيف ثبتت مملكته ؟ وإذا كان أبناؤكم يخرجون الشيطان بالكتاب الذى أعطاهم إياه سليمان النبى ، فهم يشهدون إنى أخرج الشيطان بقوة الله » [بر ٦٩:١٣-٢٠ متى ١٢:٢٢-٢٨]

ملاحظة :

روى يوحنا : أن المسيح وهو يدعو «لَعَازر» إلى القيام من الأموات «رفع يسوع عينيه إلى فوق ، وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ؛ ليؤمنوا أنك أرسلتنى» [يوحنا ١١:٤١-٤٢] والذى رواه يوحنا رواه برنابا فقال : «رفع عينيه نحو السماء ، وقال : أيها الرب إله آبائنا ، ارحم هذا المريض وأعطه صحة ؛ ليعلم هذا الشعب أنك أرسلتنى» فهل هاتان الروايتان المتطابقتان تدلان على أن يسوع هو الله رب العالمين ، أو ابن الله رب العالمين ، ابنا طبيعيا ؟

المعجزة الخامسة عشر :

«ولما بلغ يسوع بلاده ، ذاع فى جهة الجليل كلها : أن يسوع النبى قد جاء إلى الناصرة ، فتفقدوا عندئذ المرضى بجد ، وأحضروهم إليه متوسلين إليه أن يلمسهم بيديه . وكان الجمع غفيرا جدا ، حتى أن غنيا مصابا بالشلل ، لما لم يمكن إدخاله فى الباب ، حمل إلى سطح البيت ، الذى كان فيه يسوع ، وأمر القوم برفع السقف ودلى على ملاء أمام يسوع ، فتردد يسوع دقيقة ، ثم قال : لاتخف أيها الأخ ؛ لأن خطاياك قد غفرت لك . فاستاء كل أحد لسماع هذا وقالوا : من هذا الذى يغفر الخطايا ؟ فقال حينئذ يسوع : لعمر الله إنى لست بقادر على غفران الخطايا ولا أحد آخر . ولكن الله وحده يغفر . ولكن كخادم الله أقدر أن أتوسل إليه لأجل خطايا الآخرين . لهذا توسلت إليه لأجل هذا المريض ، وإنى موقن بأن الله قد استجاب دعائى ، ولكى تعلموا

الحق أقول لهذا الإنسان : باسم إله آبائنا . إله إبراهيم وأبنائه . قم معافى . ولما قال يسوع هذا ، قام المريض معافى ومجد الله .

حينئذ توسل العامة إلى يسوع ليتوسل إلى الله ، لأجل المرضى الذين كانوا خارجا . فخرج حينئذ يسوع إليهم ، ثم رفع يديه وقال أيها الرب إله الجنود ، الإله الحى ، الإله الحقيقى القدوس الذى لايموت . ألا فارحمهم . فأجاب كل أحد : آمين . وبعد أن قيل هذا ، وضع يسوع يديه على المرضى ، فنالوا جميعهم صحتهم . فحينئذ مجدوا الله قائلين : لقد افتقدنا الله بنبيه ؛ فإن الله أرسل لنا نبيا عظيما» [برنابا ٧١ مرقس ٢:١-١٢]

ملاحظة :

«أيها الرب إله الجنود ، الإله الحى ، الإله الحقيقى ، القدوس الذى لايموت» هذا كلام المسيح طبقا لرواية برنابا . وهو نفسه كلام المسيح طبقا لرواية يوحنا . فإنه قال : «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت ، الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته» [يوحنا ١٧:٣]

المعجزة السادسة عشرة : وهى فى الإنباء بالغيوب

«وبلغ يسوع باكرا صباح يوم بئرا ، كان قد صنعها يعقوب ، ووهبها ليوسف ابنه . ولما أعيا يسوع من السفر ، أرسل تلاميذه إلى المدينه ليشتروا طعاما . فجلس بجانب البئر ، على حجر البئر . وإذا بامرأة من السامرة قد جاءت إلى البئر لتستقى ماء . فقال يسوع للمرأة : أعطنى لأشرب . فأجابت المرأة : ألا تخجل وأنت عبرانى أن تطلب منى شربة ماء ، وأنا امرأة سامرية ؟ أجاب يسوع : أيتها المرأة لو كنت تعلمين من يطلب منك شربة ، لطلبت أنت منه شربة . أجابت المرأة : وكيف تعطينى لأشرب ولا إناء ولا حبل معك ، لتجذب به الماء والبئر عميقة ؟ أجاب يسوع : أيتها المرأة من يشرب من ماء هذه البئر يعاوده العطش . أما من يشرب من الماء الذى أعطيه فلا يعطش أبدا ، بل يعطى العطاش ليشربوا ، بحيث يصلون إلى الحياة الأبدية .

فقالت المرأة : ياسيد أعطنى من مائك هذا . أجاب يسوع : اذهبى وادعى زوجك ، وإياكما أعطى لتشربا . قالت المرأة : ليس لى زوج . أجاب

يسوع : حسنا قلت الحق ؛ لأنه كان لك خمسة أزواج ، والذى معك الآن ليس هو زوجك . فلما سمعت المرأة هذا ، اضطربت . وقالت : ياسيد أرى بهذا أنك نبى . لذلك أضرع إليك أن تخبرنى عما يأتى : إن العبرانيين يصلون على جبل صهيون فى الهيكل الذى بناه سليمان فى أورشليم ، ويقولون : إن نعمة الله ورحمته توجد هناك لا فى موضع آخر . أما قومنا فإنهم يسجدون على هذه الجبال ، ويقولون : إن السجود إنما يجب أن يكون على جبال السامرة فقط . فمن هم الساجدون الحقيقيون ؟

حينئذ تنهد يسوع وبكى قائلا: ويل لك يابلاد اليهودية لأنك تفخرين قائلة : هيكل الرب . هيكل الرب . وتعيشين كأنه لا إله ، منغمسة فى الملذات ومكاسب العالم ؛ فإن هذه المرأة تحكم عليك بالجحيم فى يوم الدين ؛ لأن هذه المرأة تطلب أن تعرف كيف تجد نعمة ورحمة عند الله . ثم التفت إلى المرأة وقال : أيتها المرأة إنكم أنتم السامريين تسجدون لما لا تعرفون . أما نحن العبرانيين فنسجد لمن نعرف . الحق أقول لك : إن الله روح وحق . ويجب أن يسجد له بالروح والحق ؛ لأن عهد الله إنما أخذ فى أورشليم فى هيكل سليمان ، لا فى موضع آخر . ولكن صدقينى إنه يأتى وقت يعطى الله فيه رحمته فى مدينة أخرى ، ويمكن السجود له فى كل مكان بالحق ، ويقبل الله الصلاة الحقيقية فى كل مكان برحمته .

أجابت المرأة : إننا ننتظر مَسِيًّا ؛ فمتى جاء يعلمنا . أجاب يسوع : أتعلمين أيتها المرأة أن مسيا لابد أن يأتى ؟ أجابت : نعم ياسيد . حينئذ تهلل يسوع وقال : يلوح لى أيتها المرأة إنك مؤمنة . فاعلمى إذاً أنه بالايمان بمسيا ، سيخلص كل مختارى الله ، إذا وجب أن تعرفى مجىء مسيا . قالت المرأة : لعلك أنت مسيا أيها السيد ؟ أجاب يسوع : إنى حقا أرسلت إلى بيت إسرائيل نبى خلاص . ولكن سيأتى بعدى مسيا ، المرسل من الله لكل العالم ، وتنال الرحمة حتى أن سنة اليوبيل التى تجىء الآن كل مئة سنة ، سيجعلها مسيا ، كل سنة فى كل مكان . حينئذ تركت المرأة جرتها ، وأسرعت إلى المدينة لتخبر بكل ماسمعت من يسوع » [برنابا ٨١:٦،٨٢ يوحنا ٤]

التعليق

إن حديث المسيح مع المرأة السامرية رواه يوحنا كما رواه برنابا . ومحرفو يوحنا غيروا فى آخر النص فى الحديث عن المسيا هكذا : «قالت له المرأة : أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى ، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شىء . قال لها يسوع : أنا الذى أكلمك هو» يريد المحرفون أن يقولوا : إن عيسى هو المسيا . والحق أنه ليس هو . وإنما هو محمد رسول الله ﷺ بدليل :

١ – أن الدليل على مجىء المسيا هو من نص نبوءة النبى الآتى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وهى «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون» وأوصاف النبوءة لاتدل على عيسى عليه السلام فإنه ليس مماثلا لموسى فى الحروب والانتصار على الأعداء والرئاسة على أقوامهما . ولم يكن كلامه فى فمه ... الخ .

ومن نص نبوءة شيلون . وفيها أن الملك والنبوة لايزولان من بنى إسرائيل حتى يأتى شيلون . فشيلون يكون من غير جنسهم . وحيث لإسماعيل بركة ؛ فإن شيلون يكون منه .

ومن نص نبوءة البركات الثلاث . فالنبى الآتى من فاران هو المسيا ، وهو الذى جميع القديسين فى يده . وفاران وطن إسماعيل .

٢ – أورد يوحنا أن المسيح قال عن أمة آتية من بعده : «ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له » وهؤلاء المطلبون هم أمة المسيا . وليسوا اليهود الذين سينزع منهم ملكوت السموات .

٣ – لو كان خلاص العالم من الكفر والضلال على يد نبى يأتى من اليهود ، ما كان الله يعد إسماعيل بالبركة فى نسله . ولو لم يكن لإسماعيل بركة على سبيل الفرض وهذا المخلص يكون منهم . فإنهم كانوا سيقتلونه من قبل أن يخلص العالم . فإنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق . فقد خاطبهم المسيح بقوله : «ياأورشليم . ياأورشليم . ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها » [متى ٢٣:٣٧]

المعجزة السابعة عشر : وهى معجزة المائدة السماوية التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

«وبعد أن انصرف الفريق الأكبر من الجمع ، بقى نحو خمسة آلاف رجل ، خلا النساء والأطفال ، لم يتمكنوا من الانصراف كالآخرين ؛ لأن السفر أعياهم ، ولأنهم لبثوا يومين بدون خبز ، إذ كانوا لشدة تشوقهم لرؤية يسوع ، نسوا أن يحضروا معهم شيئا منه ، فكانوا يقتاتون بالعشب الأخضر . فلما رأى يسوع هذا أخذته الشفقة عليهم . وقال لفيلبس : أن ينجز خبزا لهم لكيلا يهلكون من الجوع . أجاب فيلبُّس : ياسيدى إن مئتى قطعة من الذهب لاتكفى لشراء مايتبلغون به من الخبز . حينئذ قال اندراوس : هنا غلام معه خمسة أرغفة وسمكتان ، ولكن ما عسى أن تكون بين هذا العدد الجم ؟ أجاب يسوع : اجلس الجمع . فجلسوا على العشب خمسين خمسين وأربعين أربعين . حينئذ قال يسوع : باسم الله . وأخذ الخبز وصلى لله ثم كسر الخبز وأعطاه للتلاميذ والتلاميذ أعطوه للجمع . وفعلوا كذلك بالسمكتين . فأكلوا كلهم وشبعوا . حينئذ قال يسوع : اجمعوا الباقى . فجمع التلاميذ تلك الكسر ، فملأت اثنتى عشرة قفة . حينئذ وضع كل أحد يده على عينيه قائلا : أمستيقظ أنا أم حالم ؟ ولبثوا جميعهم مدة ساعة ، كأنهم مجانين بسبب الآية العظمى» [برنابا ٩٨:٥-١٩ يوحنا ٦:٥-١٣]

المعجزة الثامنة عشر : وهى فى الإنباء بالغيب

«أجاب يسوع : صدقنى يابرنابا . إننى لا أقدر أن أبكى ، قدر ما يجب علىَّ . لأنه لو لم يدعنى الناس إلها ، لكُنت عاينتُ هنا الله ، كما يعاين فى الجنة ، ولكنت أمنت خشية يوم الدين . بيد أن الله يعلم أنى برىء ؛ لأنه لم يخطر لى فى بال أن أحسب أكثر من عبد فقير . بل أقول : إننى لو لم أدع إلها ، لكنت حُملت إلى الجنة ، عندما أنصرف من العالم ، أما الآن فلا أذهب إلى هناك حتى الدينونة . فترى إذاً إذا كان يحق لى البكاء .

فاعلم يابرنابا : إنه لأجّل هذا يجب علىّ التحفظ ، وسيبيعنى أحد تلاميذى بثلاثين قطعة من نقود ، وعليه فإنى على يقين من أن من يبيعنى يقتل باسمى ؛ لأن الله سيصعدنى من الأرض ، وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل

أحد إياى . ومع ذلك فإنه لما يموت شر ميتة ، أمكث فى ذلك العار زمنا طويلا فى العالم . **ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس** ، تزال عنى هذه الوصمة ، وسيفعل الله هذا ؛ لأنى اعترفت بحقيقة مَسياً الذى سيعطينى هذا الجزاء . أى أنى أعرف أنى حى ، وأنى برىء من وصمة تلك الميتة » [برنابا ١١٢:٨-١٨] .

المعجزة التاسعة عشر : وهى فى أن الحواريين قد صنعوا معجزات مثل معجزات يسوع .

«وبعد أن جمع يسوع تلاميذه ، أرسلهم مثنى مثنى إلى مقاطعة إسرائيل . قائلا : اذهبوا وبشروا كما سمعتم . فحينئذ انحنوا . فوضع يده على رأسهم قائلا : باسم الله أبرئوا المرضى ، أخرجوا الشياطين ، وأزيلوا ضلال إسرائيل فى شأنى . مخبريهم ماقلت أمام رئيس الكهنة . فانصرفوا جميعهم ، خلا من يكتب ويعقوب ويوحنا فذهبوا فى كل اليهودية . مبشرين بالتوبة ، كما أمرهم يسوع ، مبرئين كل نوع من المرض . حتى ثبت فى إسرائيل كلام يسوع : أن الله أحد ، وأن يسوع نبى الله . إذ رأوا هذا الجم يفعل ما فعل يسوع من حيث شفاء المرضى» [برنابا ١٢٦:١-٦ مرقس ٦:١-١٣]

المعجزة العشرون : معجزة الحنطة اليابسة

«ولما طلع الصباح جاء باكرا رجال المدينة كلهم مع النساء والأطفال إلى البيت الذى كان فيه يسوع وتلاميذه . وتوسلوا إليه قائلين : ياسيد ارحمنا ؛ لأن الديدان قد أكلت فى هذه السنة الحبوب ، ولانحصل فى هذه السنة على خبز فى أرضنا . أجاب يسوع : ماهذا الخوف الذى أنتم فيه ؟ ألا تعلموا أن إيليا خادم الله لم ير خبزا مدة اضطهاد أخآب له ، ثلاث سنين ، متغذيا بالبقول والثمار البرية فقط ؟ وعاش داود أبونا نبى الله مدة سنتين على الثمار البرية والبقول . إذ اضطهده شاول ، حتى أنه لم يذق الخبز سوى مرتين . أجاب القوم : إنهم كانوا أيها السيد أنبياء الله ، يغتذون بالمسرة الروحية . ولذلك احتملوا كل شيء . ولكن ماذا يصيب هؤلاء الصغار ؟ ثم أروه جمهور أطفالهم . حينئذ تحنن يسوع على شقائهم ، وقال : كم بقى للحصاد ؟ فأجابوا : عشرون يوما . فقال يسوع : يجب أن نقطع مدة هذه العشرون

يوما للصوم والصلاة ؛ لأن الله سيرحمكم . الحق أقول لكم : إن الله قد أحدث هذا القحط ، لأنه ابتدأ هنا جنون الناس وخطيئة إسرائيل . إذ قالوا : إننى أنا الله وابن الله .

وبعد أن صاموا تسعة عشر يوما شاهدوا فى ضباح اليوم العشرين الحقول والهضاب مغطاة بالحنطة اليابسة فأسرعوا إلى يسوع وقصوا عليه كل شىء . فلما سمع يسوع ذلك شكر الله وقال : اذهبوا أيها الأخوة واجمعوا الخبز الذى أعطاكم إياه الله . فجمع القوم مقدارا وافرا من الحنطة ، حتى إنهم لم يعرفوا أين يضعوه . وكان ذلك سبب سعة فى إسرائيل » [برنابا ١٣٨: ١-١٦]

المعجزة الحادية والعشرون : التأييد بالملائكة الذين أهلكوا الجنود الرومانية .

«فلما جاء يسوع إلى أورشليم ودخل الهيكل يوم سبت ، اقترب الجنود ليجربوه ويأخذوه . وقالوا : يامعلم أيجوز إصلاء الحرب ؟ أجاب يسوع : إن ديننا يخبرنا[1] أن حياتنا حرب عوان على الأرض . قال الجنود : أفتريد إذاً أن تحولنا إلى دينك ، أو تريد أن نترك جم الآلهة ؛ فإن لرومية وحدها ثمانية وعشرين ألف إله منظور . وأن نتبع إلهك الأحد . ولما كان لايُرى ، فهو لايُعلم أين مقره . وقد لايكون سوى باطل . أجاب يسوع : لو كنت خلقتكم كما خلقكم إلهنا ، لحاولت تغييركم . أجابوا : إذا كان لايُعلم أين إلهك ، فكيف خلقنا ؟ أرنا إلهك ، نكن يهودا . فقال حينئذ يسوع : لو كانت لكم عيون ، لأريتكم إياه ، ولكن لما كنتم عميانا ، فلست بقادر على أن أريكم إياه . أجاب الجنود : حقا لابد أن يكون الإكرام الذى يقدمه لك الشعب قد سلبك عقلك ؛ لأن لكل منا عينين فى رأسه ، وأنت تقول : إننا عميان .

أجاب يسوع : إن العيون الجسدية لاتبصر إلا الكثيف والخارجى ، فلا تقدرون من ثَمَّ إلا على رؤية آلهتكم الخشبية والفضية والذهبية التى لاتقدر أن تفعل شيئا . أما نحن أهل يهوذا ، فلنا عيون روحية . هى خوف إلهنا ودينه . ولذلك لايمكن لنا رؤية إلهنا فى كل مكان . أجاب الجنود : احذر كيف تتكلم لأنك إذا صببت احتقارا على آلهتنا ، سلمناك إلى يد هيرودس ،

(١) أيوب ٧ : ١

الذى ينتقم لآلهتنا القادرة على كل شيء . أجاب يسوع : إن كانت قادرة على كل شيء كما تقولون ، فعفوا لأنى سأعبدها . ففرح الجنود لما سمعوا هذا ، وأخذوا يمجدون أصنامهم . فقال حينئذ يسوع : لا حاجة بنا هنا إلى الكلام بل إلى الأعمال ؛ فاطلبوا لذلك من آلهتكم أن تخلق ذبابة واحدة ، فأعبدها .

فراع الجنود سماع هذا ، ولم يدروا ما يقولون . فقال من ثَمَّ يسوع : إذا كانت لاتقدر أن تصنع ذبابة واحدة جديدة ؛ فإنى لا أترك لأجلها ذلك الإله الذى خلق كل شيء بكلمة واحدة ، الذى مجرد اسمه يروع جيوشا . أجاب الجنود : لنرى هذا ، لأننا نريد أن نأخذك . **وأرادوا أن يمدوا يديهم إلى يسوع .**

فقال حينئذ يسوع : أدوناى صباؤت . ففى الحال **تدحرجت الجنود من الهيكل** ، كما يدحرج المرء براميل من خشب غسلت ، لتملأ ثانية خمرا . فكانوا يلتطمون بالأرض ، تارة برءوسهم ، وطوراً بأرجلهم . وذلك دون أن يمسهم أحد . فارتاعوا وأسرعوا إلى الهرب ، ولم يعودوا يُروا فى اليهودية قط» [برنابا ١٥٢]

المعجزة الثانية والعشرون : وهى فى معرفة ما فى النفس

«حينئذ دعا رئيس الكهنة سرا ، كاهنين شيخين ، وأرسلهما إلى يسوع الذى كان قد خرج من الهيكل وكان جالسا فى رواق سليمان[1] منتظراً ليصلى صلاة الظهيرة . وكان بجانبه تلاميذه ، مع جم غفير من الشعب . فاقترب الكاهنان من يسوع وقالا : لماذا أكل الإنسان حنطة وثمرا ؟ هل أراد الله أن يأكلهما أم لا ؟ وإنما قالا هذا ليجرباه ؛ لأنه لو قال : إن الله أراد ذلك ، لأجابا : لماذا نهى عنها ؟ وإذا قال : إن الله لم يرد ذلك يقولان : إن للإنسان قوة أعظم من الله ، لأنه يعمل ضد إرادة الله . أجاب يسوع : إن سؤالكما كطريق فى جبل ذو جرف عن اليمين وعن اليسار ولكن أسير فى الوسط . فلما سمع الكاهنان ذلك تحيرا ؛ لأنهما أدركا أن يسوع قد فهم قلبيهما .

---

(١) يوحنا ١٠ : ٢٣

ثم قال يسوع : لما كان كل إنسان محتاجا ، كان يعمل كل شيء لأجل منفعته . ولكن الله الذى لايحتاج إلى شيء ، عمل بحسب مشيئته . ولذلك لما خلق الإنسان ، خلقه حرا ، ليعلم أن ليس لله حاجة إليه ، كما يفعل الملك الذى يعطى حرية لعبيده ، ليظهر ثروته ، وليكون عبيده أشد حبا له .

إذاً قد خلق الله الإنسان حرا ، لكى يكون أشد حبا لخالقه ، وليعرف جوده ؛ لأن الله وهو قادر على كل شيء محتاج إلى الإنسان[1] فإنه إذ خلقه بقدرته على كل شيء ، تركه حرا ، بجوده . على طريقة يمكنه معها مقاومة الشر وفعل الخير ، وأن الله على قدرته على منع الخطيئة ، لم يرد أن يضاد جوده . إذ ليس عند الله تضاد . فلما عملت قدرته على كل شيء وجوده ، عملهما فى الإنسان ، لم يقاوم الخطيئة فى الإنسان ، لكى تعمل فى الإنسان رحمة الله وبره .

وآية صدقى : هى أن أقول لكما : **إن رئيس الكهنة قد أرسلكما لتجربانى** . وهذا هو ثمر كهنونة» [برنابا ١٥٥:١٧١]

المعجزة الثالثة والعشرون : وهى فى إبراء الأكمه الذى ولد أعمى .

ومعجزة إبراء الأكمه الذى ولد أعمى ، رواها يوحنا وبرنابا . وسأذكر نص روايتيهما ، ليُعْلَم أن ماروراه يوحنا ، يدل على أن المسيح عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله ، وعلى أنه كان يفعل المعجزات بإذن الله وحده .

نص رواية برنابا عن إبراء المسيح للأكمه :

«ولما اجتاز يسوع من الهيكل بعد أن صلى صلاة الظهيرة ، وجد أكمها . فسأله تلاميذه قائلين : أيها المعلم . من أخطأ فى هذا الإنسان حتى ولد أعمى ؟ أبوه أم أمه ؟ أجاب يسوع : لا أبوه أخطأ فيه ولا أمه . ولكن الله خلقه هكذا ، شهادة للإنجيل . وبعد أن دعا الأكمه إليه ، تفل على الأرض وصنع طينا ووضعه على عينى الأكمه . وقال له : اذهب إلى بركة سلوام واغتسل . فذهب الأكمه ولما اغتسل أبصر ، فبينما كان راجعا إلى البيت قال كثيرون من الذين التقوا به : لو كان هذا الرجل أعمى ، لقلنا بكل تأكيد : إنه هو

(١) مثل احتياج الملك لمن يظهر ثروته ، أى أن الله خلق الخلق ليدلوا على وجوده وقدرته .

الذى كان يجلس على الباب الجميل من الهيكل . وقال آخرون : إنه هو، ولكن كيف أبصر ؟ فسألوه قائلين : هل أنت الأكمه الذى كان يجلس على الباب الجميل من الهيكل ؟ أجاب : إنى أنا هو . ولماذا ؟ قالوا : كيف نلت بصرك ؟ أجاب : إن رجلا صنع طينا تافلا على الأرض ، ووضع هذا الطين على عينى ، وقال لى : اذهب واغتسل فى بركة سلوام . فذهبت واغتسلت ، فصرت الآن أبصر . تبارك إله إسرائيل .

ولما عاد الرجل الذى كان أكمه إلى الباب الجميل من الهيكل ، امتلأت أورشليم كلها بالخبر . لذلك أحضر إلى رئيس الكهنة الذى كان يأتمر مع الكهنة والفريسيين على يسوع . فسأله رئيس الكهنة قائلا : هل ولدت أعمى أيها الرجل ؟ أجاب : نعم . فقال رئيس الكهنة : ألا فأعط مجدا لله ، وأخبرنا أى نبى ظهر لك فى الحلم وأنالك نورا ؟ أهو أبونا إبراهيم أم موسى خادم الله أم نبى آخر ؟ لأن غيرهم لايقدر أن يفعل شيئا نظير هذا . فأجاب الرجل الذى ولد أعمى : إنى لم أر فى حلم . ولم يشفنى لا إبراهيم ولا موسى ولا نبى آخر . ولكن بينما أنا جالس على باب الهيكل أدنانى رجل إليه . وبعد أن صنع طينا من تراب بتفله ، وضع بعضا من ذلك الطين على عينى وأرسلنى إلى بركة سلوام لأغتسل ، فذهبت واغتسلت وعدت بنور عينى . فسأله رئيس الكهنة عن اسم ذلك الرجل . فأجاب الرجل الذى ولد أعمى : إنه لم يذكر لى اسمه . ولكن رجلا رآه ، نادانى . وقال : اذهب واغتسل كما قال ذلك الرجل ؛ لأنه يسوع الناصرى . نبى إله إسرائيل وقدوسه . فقال حينئذ رئيس الكهنة : لعله أبراك اليوم ؟ أى السبت . أجاب الأعمى : إنه أبرانى اليوم . فقال رئيس الكهنة : انظروا الآن كيف أن هذا الرجل خاطىء ؛ لأنه لايحفظ السبت .

أجاب الأعمى : لست أعلم أخاطىء هو أم لا ؟ إنما أعلم هذا وهو : أنى كنت أعمى فأنارنى . فلم يصدق الفريسيون هذا . لذلك قالوا لرئيس الكهنة : أرسل وادع أباه وأمه ؛ لأنهما يقولان لنا الصدق . فدعوا أبا الرجل الأكمه وأمه . فلما حضرا سألهما رئيس الكهنة قائلا : هل هذا الرجل ابنكما ؟ أجابا : إنه ابننا حقا . فقال حينئذ رئيس الكهنة : يقول : إنه ولد

أعمى ، والآن يبصر . فكيف حدث هذا الشيء ؟ أجاب أبو الرجل الذى ولد أعمى وأمه : إنه ولد أعمى حقا ، ولكن لا نعلم كيف نال النور . هو كامل السن ، اسألوه ، يقل لكم الصدق . فصرفوهما ، وعاد الرئيس فقال للرجل الذى ولد أعمى : أعط مجدا لله ، وقل الصدق . وكان أبو الرجل الأعمى وأمه خائفين أن يتكلما ؛ **لأنه صدر أمر من مجلس الشيوخ الرومانى : أنه لايجوز لإنسان أن يتحزب ليسوع نبي اليهود ؛ وإلا فالعقاب : الموت . وهو أمر استصدره الوالى . لذلك قالا : هو كامل السن ، اسألوه .**

فقال حينئذ رئيس الكهنة للرجل الذى ولد أعمى : أعط مجدا لله . قل الصدق ؛ لأننا نعلم أن هذا الرجل الذى تقول إنه شفاك ، خاطيء . أجاب الرجل الذى ولد أعمى : لست أعلم أخاطيء هو أم لا ؟ إنما أعلم هذا : أننى كنت لا أبصر ، فأنارنى . ومن المؤكد أنه منذ ابتداء العالم حتى هذه الساعة ، لم يُنر أكمه . والله لايصيخُ السمع إلى الخطأة . فقال الفريسيون : ماذا فعل لما أنارك ؟ حينئذ تعجب الرجل الذى ولد أعمى من عدم إيمانهم ، وقال : لقد أخبرتكم فلماذا تسألوننى أيضا ؟ أتريدون أنتم أن تصيروا تلاميذ له ؟ فوبخه حينئذ رئيس الكهنة قائلا : إنك ولدت بجملتك فى الخطيئة . أفتريد أن تعلمنا ؟ اغرب وصر أنت تلميذا لهذا الرجل . أما نحن فإننا تلاميذ موسى . ونعلم أن الله كلم موسى ، وأما هذا الرجل فلا نعلم من أين هو . فأخرجوه من المجمع والهيكل . ونهوه عن الصلاة مع الطاهرين بين إسرائيل» [برنابا ١٥٦،١٥٧]

نص رواية يوحنا عن إبراء المسيح للأكمه :

«وفيما هو مجتاز ، رأى إنسانا أعمى منذ ولادته . فسأله تلاميذه قائلين : يامعلم من أخطأ ؟ هذا أم أبواه ، حتى ولد أعمى ؟ أجاب يسوع : لاهذا أخطأ ولا أبواه ؛ لكن لتظهر أعمال الله فيه . ينبغي أن أعمل أعمال الذى أرسلنى مادام نهار . يأتى ليل حين لايستطيع أحد أن يعمل . قال هذا وتفل على الأرض ، وصنع من التُّفل طينا ، وطلى بالطين عينى الأعمى . وقال له : اذهب اغتسل فى بركة سلوَام الذى تفسيره مرسل . فمضى واغتسل وأتى بصيرا . فالجيران والذين كانوا يرونه قبلا أنه كان أعمى . قالو : أليس هذا

هو الذى كان يجلس ويستعطى ؟ آخرون قالوا : هذا هو . وآخرون : إنه يشبهه . وأما هو فقال : إنى أنا هو . فقالوا له : كيف انفتحت عيناك ؟ أجاب ذاك وقال : إنسان يقال له : يسوع . صنع طِينا وطلى عينى ، وقال لى : اذهب إلى بركة سِلُوام واغتسل . فمضيت واغتسلت ، فأبصرت . فقالوا له : أين ذاك ؟ قال : لا أعلم .

فأتوا إلى الفريسيين بالذى كان قبلا أعمى . وكان سبت ، حين صنع يسوع الطين وفتح عينيه . فسأله الفريسيون أيضا : كيف أبصر . فقال لهم : وضع طينا على عينى واغتسلت ، فأنا أبصر . فقال قوم من الفريسيين : هذا الإنسان ليس من الله ؛ لأنه لايحفظ السبت . آخرون قالوا : كيف يقدر إنسان خاطىء أن يعمل مثل هذه الآيات ؟ وكان بينهم انشقاق . قالوا أيضا للأعمى : ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك ؟ فقال : إنه نبى . فلم يصدق اليهود عنه أنه كان أعمى فأبصر ، حتى دعوا أبوى الذى أبصر . فسألوهما قائلين : أهذا ابنكما الذى تقولان : إنه ولد أعمى ؟ فكيف يبصر الآن ؟ أجابهم أبواه وقالا : نعلم أن هذا ابننا وأنه وُلد أعمى . وأما كيف يُبصر الآن فلا نعلم . أوْ من فتح عينيه فلا نعلم . هو كامل السن . اسألوه فهو يتكلم عن نفسه . قال أبواه هذا ؛ لأنهما كانا يخافان من اليهود . **لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا : أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يُخرج من المجمع .** لذلك قال أبواه : إنه كامل السن . اسألوه .

فدعوْا ثانية الإنسان الذى كان أعمى وقالوا له : أعط مجدا لله . نحن نعلم أن هذا الانسان خاطىء . فأجاب ذاك وقال : أخاطىء هو ؟ لست أعلم . إنما أعلم شيئا واحدا : أنى كنت أعمى والآن أبصر . فقالوا له أيضا : ماذا صنع بك ؟ كيف فتح عينيك ؟ أجابهم : قد قلت لكم ولم تسمعوا . لماذا تريدون أن تسمعوا أيضا ؟ ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ . فشتموه . وقالوا : أنت تلميذ ذاك . وأما نحن فإننا تلاميذ موسى . نحن نعلم أن موسى كلمه الله . وأما هذا فما نعلم من أين هو . أجاب الرجل وقال لهم : إن فى هذا عجبا . إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عينى . ونعلم أن الله لايسمع للخطاة . ولكن إن كان أحد يتقى الله ويفعل مشيئته ، فلهذا

يسمع . منذ الدهر لم يسمع أن أحدا فتح عيني مولود أعمى . لو لم يكن هذا من الله ، لم يقدر أن يفعل شيئا . أجابوه وقالوا له : فى الخطايا ولدت أنت بجملتك . وأنت تعلمنا ؟ فأخرجوه خارجا » [يوحنا ٩:١-٢٣] .

الفرق بين الروايتين :

قبل أن تعلم الفرق بين الروايتين . تسأل نفسك : هل تدل رواية يوحنا على ألوهية المسيح ؟ وكيف تدل ؟ وفيها : «لتظهر أعمال الله فيه» – «أعمل أعمال الذى أرسلنى » – «إنه نبى» – «أعط مجدا لله» – «إن الله لا يسمع للخطاة» – «بإن كان أحد يتقى الله ويفعل مشيئته ، فلهذا يسمع» – «لو لم يكن هذا من الله ، لم يقدر أن يفعل شيئا»

وفى رواية برنابا مثلها . ففيها :

«ولكن الله خلقه هكذا ، شهادة للإنجيل » – «أعط مجدا لله» – «والله لايصيخ السمع إلى الخطأة» وبعدما وضح أنه لاتدل الروايتين على ألوهيته ، وإنما على بشريته وإنسانيته وعبوديته لله رب العالمين . نبين الفرق بين الروايتين :

الفرق الأول : فى رواية يوحنا : «لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا : إنه إن اعترف أحد بأنه المسيح ، يُخرج من المجمع» وهذا خطأ من يوحنا – أعنى محرف إنجيله – وذلك لأن اليهود ، عواما وعلماء ، لم يعترف أحد منهم بأن عيسى هو المسيَّا الذى هو المسيح الرئيس ، الذى ينتظروه . وأول اعتراف ظهر منهم للتحريف كان من بولس بعد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء لا فى حياة عيسى نفسه . كما هو مبين فى سفر أعمال الرسل . ورواية برنابا هى الصحيحة فإن التحزب ليسوع نبي اليهود يؤدى إلى تجرؤ اليهود على الرومان . وذلك لأنه يقول : إن المسيا سيزيل دولة روما وسيؤسس مملكة لن تنقرض أبدا . طبقا لنبوءات دانيال .

الفرق الثانى : هو فى نص التعليق على الروايتين .

ففى يوحنا بعد الفراغ من قصة الأكمه : «فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجا . فوجده وقال له : أتؤمن بابن الله ؟ أجاب ذاك وقال : من هو ياسيد لأومن به ؟ فقال له يسوع : قد رأيته ، والذى يتكلم معك هو هو» وفى

برنابا بعد الفراغ من قصة الأكمه : «وذهب الرجل الذى ولد أعمى ، ليجد يسوع . فعزّاه قائلا : إنك لم تبارك فى زمن مّا ، كما أنت الآن» ففى يوحنا : يعترف يسوع بأنه المسيا . فإن «ابن الله» لقب من ألقاب المسيا فى المزمور الثانى لداود عليه السلام . وهذا من صنع المحرفين . فإن يسوع نفسه لم يعترف قط بأنه هو المسيا . ونبوءات التوراة عن المسيا تكذب المحرفين الذين قالوا : إن يسوع هو المسيا . وذلك لأن الأوصاف فى النبوءات لاتدل عليه ، وليس هو من إسماعيل المبارك فيه .

إزالــة شبهــة

وقد شاع وذاع فى الكتب الإسلامية : إن إنجيل يوحنا موضوع لإثبات ألوهية المسيح ، وبنوته لله رب العالمين ، بنوة طبيعية . فهل تدل قصة الأكمه على ما شاع وذاع ؟ إنها لاتدل . وعليه يكون ما أشيع وأذيع ليس من دليل عليه . والحق : أن إنجيل يوحنا مكتوب فى البدء على الحق الواضح الذى لا لبس فيه ولا التواء وهو التبشير بمحمد ﷺ ولما أراد اليهود جعل عيسى هو «المسيح الرئيس» ، حشروا فى إنجيل يوحنا وغيره آيات تدل على أن عيسى هو «المسيح الرئيس» ومن هذه الآيات: أن داود عليه السلام قال عن المسيا المنتظر : **«أنت ابنى»** فكتبوا : أن عيسى هو الابن . يعنون أنه هو «المسيح المنتظر» فظن المسلمون : أنهم يعنون بالابن : البنوة الطبيعية لله . ولهذا الظن قالوا : إن لاهوت المسيح واضح فى إنجيل يوحنا . ومن يعرف النبوءات عن المسيح يجد أنه ليس فيه أى شىء عن اللاهوت .

المعجزة الرابعة والعشرون : وهى فى توقف الشمس لعيسى – عليه السلام – اثنتى عشرة ساعة .

«فقال حينئذ يسوع : إن هذا لصدق ؛ لأن الله قد أكده لى . **ولتقف الشمس ولاتتحرك** ، برهة اثنتى عشرة ساعة ، لكى يؤمن كل أحد : أن هذا صدق . وهكذا حدث ، فأفضى إلى هلع أورشليم واليهودية كلها» [برنابا ١٨٩:١-٣] .

التعليق

هذه المعجزة منسوبة أيضا إلى يشوع بن نون فتى موسى عليهما السلام ففي الأصحاح العاشر من سفره : «حينئذ كلم يشوع الرب ، يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى إسرائيل . وقال أمام عيون إسرائيل : ياشمس دومى على جبعون ، وياقمر على وادى أيَّلون . فدامت الشمس ووقف القمر ، حتى انتقم الشعب من أعدائه» [يش ١٠:١٢-١٣]

المعجزة الخامسة والعشرون : وهى فى إحياء الموتى .

١ - **قال برنابا** : « وبينما كانوا على الطعام إذا بمريم التى بكت عند قدمى يسوع ، قد دخلت إلى بيت نيقوديموس . هذا هو اسم الكاتب . ووضعت نفسها باكية عند قدمي يسوع قائلة : ياسيد إن لخادمك الذى بسببك وجد رحمة من الله أختا ، وأخا منطرحاً مريضا فى خطر الموت . أجاب يسوع : أين بيتك ؟ قولى لى ؛ لأنى أجىء ؛ لأضرع إلى الله لأجل صحته . أجابت مريم : بيت عنيا هو بيت أختى وأخى . لأن سكنى أنا المجدل . فأخى فى بيت عنيا . قال يسوع للمرأة : اذهبى توا إلى بيت أخيك وانتظرينى هناك ؛ لأنى أجىء لأشفيه ، ولاتخافى فإنه لا يموت . فانصرفت المرأة . ولما ذهبت إلى بيت عنيا . وجدت أخاها قد مات فى ذلك اليوم ، فوضعوه فى ضريح آبائهم .

ولبث يسوع يومين فى بيت نيقوديموس ، ومضى فى اليوم الثالث إلى بيت عنيا . ولما قرب من المدينة ، أرسل أمامه اثنين من تلاميذه ليخبروا مريم بقدومه . فخرجت مسرعة من المدينة . ولما وجدت يسوع قالت باكية : لقد قلت ياسيد : إن أخى لايموت ، وقد صار له الآن أربعة أيام وهو دفين . بالبتك جئت قبل أن أدعوك ؛ لأنك لو فعلت لما مات .

وأجاب يسوع : إن أخاك ليس بميت ، بل هو راقد ، لذلك جئت لأوقظه . أجابت مريم باكية : ياسيد إنه يستيقظ من هذا الرقاد يوم الدينونة ، متى نفخ ملاك الله ببوقه . أجاب يسوع : صدقينى يامريم إنه سيقوم قبل ذلك ؛ لأن الله قد أعطانى قوة على رقاده . والحق أقول لك : إنه ليس بميت ؛

فإن الميت إنما هو من يموت دون أن يجد رحمة من الله . فرجعت مريم مسرعة لتخبر أختها مرثا بمجيء يسوع .

وكان قد اجتمع عند موت لعازر ، جم غفير من اليهود من أورشليم ، وكثيرون من الكتبة والفريسيين . فلما سمعت مرثا من أختها مريم عن مجيء يسوع ، قامت على عجل ، وأسرعت إلى الخارج . فتبعها جمهور من اليهود والكتبة والفريسيين ليعزوها ؛ لأنهم حسبوا أنها ذاهبة إلى القبر ، لتبكي أخاها . فلما بلغت مرثا المكان الذى كان قد كلم فيه يسوع مريم قالت باكية : ياسيد ليتك كنت هنا ؛ لأنك لو كنت هنا ، لم يمت أخي . ثم وصلت مريم باكية ، فسكب من ثم يسوع العبرات ، وقال متنهدا : أين وضعتموه ؟ أجابوا : تعال وانظر . فقال الفريسيون فيما بينهم : لماذا سمح هذا الرجل الذى أحيا ابن الأرملة فى نايين آن يموت هذا الرجل ، بعد أن قال : إنه لايموت ؟ ولما وصل يسوع القبر حيث كان كل أحد يبكي قال : لاتبكوا ؛ لأن لعازر راقد وقد أتيت لأوقظه . فقال الفريسيون فيما بينهم : ليتك ترقد هذا الرقاد .

حينئذ قال يسوع : إن ساعتي لما تأت . ولكنني متى جاءت أرقد كذلك ، ثم أوقظ سريعا . ثم قال يسوع أيضا : ارفعوا الحجر عن القبر . قالت مرثا : ياسيد لقد أنتن ؛ لأن له أربعة أيام وهو ميت . قال يسوع : إذاً لماذا جئت إلى هنا يامرثا ؟ ألا تؤمنين بأني أوقظه ؟ قالت مرثا : أعلم أنك قدوس الله الذى أرسلك إلى هذا العالم . ثم رفع يسوع يديه إلى السماء . وقال : أيها الرب إله إبراهيم وإله إسماعيل وإسحق وإله آبائنا ارحم مصاب هاتين المرأتين ، وأعط مجدا لاسمك المقدس . ولما أجاب كل واحد : آمين . قال يسوع بصوت عال : لعازر هلم خارجا . فقام على إثر ذلك الميت . وقال يسوع لتلاميذه : حلوه . لأنه كان مربوطا بثياب القبر مع منديل على وجهه ، كما اعتاد آباؤنا أن يدفنوا موتاهم .

فآمن بيسوع جم غفير من اليهود ، وبعض الفريسيين ؛ لأن الآية كانت عظيمة ، وانصرف الذين لبثوا بدون إيمان ، وذهبوا إلى أورشليم وأخبروا رئيس الكهنة بقيامة لعازر ، وأن كثيرين صاروا ناصريين لأنهم هكذا كانوا يدعون الذين حملوا على التوبة بواسطة كلمة الله التى بشر بها يسوع » [برنابا ١٩١: ٧ إلى ١٩٣]

٢ – **قال يوحنا :**

«وكان إنسان مريضاً وهو لعازر . من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا أختها . وكانت مريم التى كان لعازر أخوها مريضا ، هى التى دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها ؛ فأرسلت الأختان إليه قائلتين : ياسيد هوذا الذى تحبه مريض فلما سمع يسوع قال : هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله . **ليتمجد ابن الله به** . وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر . فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين . ثم بعد ذلك قال لتلاميذه : لنذهب إلى اليهودية أيضا . قال له التلاميذ : يامعلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك ، وتذهب أيضا إلى هناك ؟ أجاب يسوع : أليست ساعات النهار اثنتى عشرة ؟ إن كان أحد يمشى فى النهار لايعثر ؛ لأنه ينظر نور هذا العالم ، ولكن إن كان أحد يمشى فى الليل ؛ يعثر ، لأن النور ليس فيه . قال هذا وبعد ذلك قال لهم : لعازر حبيبنا قد نام ؛ لكنى أذهب لأوقظه . فقال تلاميذه : ياسيد إن كان قد نام فهو يشفى . وكان يسوع يقول عن موته . وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم . فقال لهم يسوع حينئذ علانية : لعازر مات ، وأنا أفرح لأجلكم أنى لم أكن هناك لتؤمنوا . ولكن لنذهب إليه . فقال توما الذى يقال له التوأم للتلاميذ رفقائه : لنذهب نحن أيضا لكى نموت معه .

فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام فى القبر ، وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة ، وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما . فلما سمعت مرثا أن يسوع آت لاقته ، وأما مريم فاستمرت جالسة فى البيت . فقالت مرثا ليسوع : ياسيد لو كنت ههنا لم يمت أخى ؛ لكنى الآن أيضا أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه . قال لها يسوع : سيقوم أخوك . قالت له مرثا : أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير . قال لها يسوع : أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا . وكل من كان حيا وآمن بى فلن يموت إلى الأبد . أتؤمنين بهذا ؟ قالت له : نعم ياسيد . **أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالَم** .

ولما قالت هذا مضت ودعت مريم أختها سراً قائلة : المعلم قد حضر ، وهو يدعوك . أما تلك فلما سمعت قامت سريعا وجاءت إليه . ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية ، بل كان فى المكان الذى لاقته فيه مرثا . ثم إن اليهود الذين كانوا معها فى البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت تبعوها قائلين : إنها تذهب إلى القبر ، لتبكى هناك . فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته ؛ خرت عند رجليه قائلة له : ياسيد لو كنت ههنا لم يمت أخى . فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون ، انزعج بالروح واضطرب وقال : أين وضعتموه ؟ قالو له : ياسيد تعال وانظر . بكى يسوع . فقال اليهود : انظروا كيف كان يحبه . وقال بعض منهم : ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت ؟

فانزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء إلى القبر وكان مغارة ، وقد وضع عليه حجر . قال يسوع : ارفعوا الحجر . قالت له مرثا أخت الميت : ياسيد قد أنتن لأن له أربعة أيام . قال لها يسوع : ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله ؟ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا . ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت . ليؤمنوا أنك أرسلتنى . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجا . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ، ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب .

فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا مافعل يسوع آمنوا به . وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين ، وقالوا لهم عما فعل يسوع . فجمع رؤساء الكهنة والفريسيين مجمعاً . وقالوا : ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة . إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتى الرومانيون[1] ويأخذون موضعنا وأمتنا ؟ فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة : أنتم لستم تعرفون شيئاً ولاتفكرون انه خير لنا أن يموت إنسان واحد من الشعب ولاتهلك الأمة كلها » [يوحنا ١١:١-٥٠]

---

(١) ورد هذا الموضع فى برنابا وفيه الإسماعيليون بدل الرومانيين . وكلام برنابا هو الصحيح لأن الرومان موجودون فى أورشليم من سنة ٦٣ ق . م .

التعليق

فى تلك الروايتين عبارات تدل على أن المسيح كان يعمل بصفته رسولا من الله . ففى يوحنا :

« لأجل مجد الله » – «كل ما تطلب من الله ، يعطيك الله إياه » – «إن آمنت ترين مجد الله» – «أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت . ليؤمنوا أنك أرسلتنى» – «هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة» – «إنسان واحد عن الشعب»

وفى برنابا نفس العبارات :

«لأضرع إلى الله» – «أعلم أنك قدوس الله الذى أرسلك إلى هذا العالم» – «ثم رفع يسوع يديه إلى السماء وقال : أيها الرب . إله إبراهيم وإله إسماعيل وإسحق وإله آبائنا ؛ ارحم مصاب هاتين المرأتين وأعط مجدا لاسمك المقدس»

وهذا يؤكد أن الأناجيل الأربعة – ومنهم يوحنا – لا تدل على أن الله هو المسيح ، ولا على أن المسيح ابن طبيعى لله . وغاية ماتدل عليه من بعدالتحريف : هو تطبيقنبوءة ابن الله عن المسيح المنتظر على عيسى ابن مريم . لا أكثر ولا أقل . وهى نبوءة من نبوءات التوراة عن محمد ﷺ بلغة بنى إسرائيل ، فى المزمور الثانى لداود عليه السلام .

والفرق بين رواية برنابا ورواية يوحنا هو :

١ – أن محرف إنجيل يوحنا وضعوا عبارة «ليتمجد ابن الله به» ليقولوا : إن عيسى هو ابن الله الذى تحدث عنه داود فى المزمور الثانى . أى أنه هو مسيح اليهود الذى ينتظرونه – على زعمهم –

٢ – أن محرف إنجيل يوحنا وضعوا عبارة «أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم» ليجعلوا عيسى مسيح اليهود المنتظر . لأن من نبوءات النبى الآتى إلى العالم ، نبوءة ابن الله فى المزمور الثانى لداود عليه السلام . وههنا يريدون تطبيقها عليه .

٣ – أن رؤساء علماء بنى إسرائيل ائتمروا على قتل عيسى عليه السلام لقوله إن النبى الآتى إلى العالم من نسل إسماعيل عليه السلام وهذا واضح من قول يوحنا – أعنى محرفى إنجيله من بعد موته – : «فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا» كيف يأتى الرومانيون بسبب كلام عيسى عليه السلام ؟

لقد زعموا أنهم سيحتلون بلادهم إذا علموا بأن عيسى مسيح ملك . وعيسى قد قال لهم : «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» فلماذا يخافون منه ؟ ولماذا يأتون لاحتلال البلاد وهم فيها ؟ وحيث قد نفى أنه مسيح ملك ، وحيث أنه نادى باقتراب ملكوت السموات الذى سيتأسس بعد المملكة الرابعة وهى مملكة الرومان ؛ فإن السبب فى إرادة قتله ، يكون لغير هذا السبب . انظر إلى كلام يوحنا وهو «فجمع رؤساء الكهنة والفريسيين مجمعا . وقالوا : ماذا نصنع ؛ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة . إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به ، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمّتنا »

إن عيسى عليه السلام ولد فى سنة ثلاث وستين من احتلال الرومان لموضعهم وهو هيكل سليمان ، ولأمتهم وهى أورشليم «القدس» فاحتلال الرومان لموضعهم وأمتهم قائم بالفعل من قبل ولادته ، فلماذا يقولون يأتى الرومانيون وهم بالفعل مقيمون وجاثمون على صدورهم ؟

فالسبب الحقيقى فى إرادة قتله هو قوله : إن النبى الآتى إلى العالم سيكون من بنى إسماعيل ، لا من بنى إسرائيل .

المعجزة السادسة والعشرون : وهى فى علم ما فى النفس أيضا .

«ولما وصل يسوع القبر حيث كان كل أحد يبكى . قال : لاتبكوا ؛ لأن لعازر راقد ، وقد أتيت لأوقظه . فقال الفريسيون فيما بينهم : ليتك ترقد هذا الرقاد . حينئذ قال يسوع : إن ساعتى لما تأت . ولكن متى جاءت ، أرقد كذلك ، ثم أوقظ سريعا »[برنابا ١٩٣: ١٠-٢٣]

المعجزة السابعة والعشرون : وهى فى شفاء المرضى ، ولعْن الذين كفروا من بنى إسرائيل .

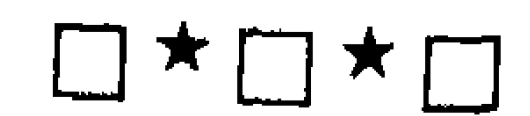
«فلما سمع الكتبة والفريسيون هذا ، تحيروا وانصرفوا تاركين يسوع وتلاميذه فى سلام . فذهبوا إلى بيت سمعان الأبرص . الذى كان أبرأه من البرص . فجمع الأهلون المرضى إلى بيت سمعان ، وضرعوا إلى يسوع لإبراء المرضى . حينئذ قال يسوع وهو عالم أن ساعته قد اقتربت : ادعوا المرضى مابلغوا ؛ لأن الله رحيم وقادر على شفائهم . أجابوا : لانعلم أنه يوجد مرضى آخرون هنا فى أورشليم . أجاب يسوع باكيا : ياأورشليم . ياإسرائيل . إنى أبكى عليك لأنك لا تعرفين يوم حسابك . فإنى أحببت أن أضمك إلى محبة الله خالقك ، كما تضم الدجاجة فراخها تحت جناحيها . فلم تريدى . لذلك يقول الله لك هكذا :

أيتها المدينة القاسية القلب المرتكسة العقل . لقد أرسلت إليك عبدى ؛ لكى يحولك إلى قلبك ، فتتوبين . ولكنك يامدينة البلبلة قد نسيت كل ما أنزلت بمصر وبفرعون حبا فيك ياإسرائيل . ستبكين مرارا عديدة ليبرىء عبدى جسمك من المرض ، وأنت تطلبين أن تقتلى عبدى ؛ لأنه يطلب أن يشفى نفسك من الخطيئة . أتبقين إذاً وحدك دون عقوبة منى ؟ أتعيشين إذاً إلى الأبد ، أو تنقذك كبرياؤك من يدى ؟ لا البتة ؛ لأنى سأحمل عليك بأمراء وجيش فيحيطون بك بقوة ، وسأسلمك إلى أيديهم على كيفية تهبط بها كبرياؤك إلى الجحيم . لا أصفح عن الشيوخ ولا الأرامل . لا أصفح عن الأطفال . بل أسلمكم جميعا للجوع والسيف والسخرية . والهيكل الذى كنت أنظر إليه برحمة . إياه أدمر مع المدينة . حتى تصيروا رواية وسخرية ومثلا ، بين الأمم . وهكذا يحل غضبى عليك وحنقى لايهجع .

وبعد أن قال يسوع هذا ، عاد فقال : ألا تعلمون أنه يوجد مرضى آخرون ؟ لعمر الله إن أصحاء النفس فى أورشليم لأقل من مرضى الجسد ، ولكى تعرفوا الحق أقول لكم : أيها المرضى لينصرف باسم الله مرضكم عنكم . ولما قال هذا ، شفوا حالا» [برنابا ٢٠٣:١٦،٢٠٤:١-٤]

النتيجـة

لقد صنع عيسى بن مريم عليه السلام معجزات بإذن الله ، كما صنع أنبياء من بنى إسرائيل . ودعا عيسى بن مريم عليه السلام الله ليستجيب له كما دعا أنبياء بنى إسرائيل ، ودعا الله الذى دعاه أنبياء بنى إسرائيل . وطلب مجد الله لا مجد نفسه . فلماذا يكون متحليا باللاهوت من بين أنبياء بنى إسرائيل ؟



الفصل الثانى

إخوة الرب

تعبير «إخوة الرب» يطلقه النصارى على إخوة أشقاء لأم ، وأخوات أشقاء لأم ، لعيسى عليه السلام . ثم يختلفون فى إخوة الرب :

أ - هل الأخوة على الحقيقة ؟ أى هم مولودون مثله من مريم رضى الله عنها . ولكن يختلفون عنه فى أن المسيح مولود بدون زرع بشر ، وهم مولودون من زرع بشر ، هو يوسف النجار .

ب - هل الأخوة على المجاز . أى هم من المؤمنين به ، والمناصرون له ؟ وإذا كانت الأخوة على الحقيقة .

أ - فهل هم من يوسف ومريم . وقد ولدوا بعد ولادة المسيح . لأن المسيح هو بكر مريم ؟

ب - هل هم من يوسف من زوجة سابقة له على مريم ؟

جـ - هل هم أولاد خالة له تسمى مريم ؟

أما نصوص الإنجيل . فإنها :

أ - تصرح بولادة المسيح من مريم وهى عذراء بدون زرع بشر ، كما صرح القرآن الكريم .

ب - وتصرح بإخوة أشقاء وأخوات شقيقات للمسيح من أمه بعد ولادته . ولم يصرح القرآن الكريم .

جـ - وتصرح بإخوة له وأخوات على المجاز .

د - وتصرح بأن إخوته لم يؤمنوا بدعوته .

هـ - ثم تصرح بأن بعض إخوته آمنوا به .

وإيمانهم به ، وعدم إيمانهم به هو من باب التناقض فى معانى الأناجيل . أما وجود إخوة حقيقيين له وأخوات حقيقيات له . فإننا نقول للنصارى : هذا إن سلمتم بصحته ، يكون من باب الدلالة على إنسانيته ، لا على إلوهيته .

وها نحن نذكر النصوص ونجادل بها – على ما هو المكتوب . على طريقة إلزام الخصم بما يسلم بصحته –

أولا : النصوص التى تدل على أنهم ولدوا بعد يسوع :

١ – فى الأصحاح الثانى من إنجيل لوقا : «فولدت ابنها البكر ، وقمَّطته وأضجعته فى المذود ، إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل» [لوقا ٢:٧] قوله «**ولدت ابنها البكر**» هو قول يدل على أنها ولدت غيره ، وأما البكر بين أبنائها فهو المسيح .

٢ – فى الأصحاح الأول من إنجيل متى : «فلما استيقظ يوسف من النوم ، فعل كما أمره ملاك الرب واخذ امرأته ، ولم يعرفها ، حتى ولدت ابنها البكر . ودعا اسمه يسوع» [متى ١:٢٤–٢٥] قوله : «**ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر**» يدل على أنه قد عرفها . أى وطئها بعد ولادته ، وما كان قد وطئها قبل ولادته .

ووطؤها بعد ولادته ؛ لا يليق بمنصب الألوهية – كما يدعى النصارى فيه – إذ هو يكون قد وطىء أمًّا إلهية .

٣ – فى الأصحاح الأول من متى : «لما كانت مريم أُمُّه مخطوبة ليوسف ، قبل أن يجتمعا ، وُجدت حبلى من الروح القدس » [متى ١ : ١٨] قوله **قبل أن يجتمعا** يدل على أنهما قد اجتمعا بعد ولادته . أى وطأها ونكحها .

ثانياً : النصوص التى تدل على إنهم إخوة أشقاء وأخوات شقيقات على الحقيقة :

١ – فى الأصحاح الثانى من إنجيل يوحنا : «وبعد هذا انحدر إلى كفر ناحوم هو وأمه وإخوته وتلاميذه» [يو ٢:١٢] قوله «**أمه وإخوته**» يدل على أنه مشى فى البلاد للدعوة إلى الله مع أمه ، وأنها دعت معه إلى الله . ولو أن يوحنا لم يذكر «وتلاميذه» بعد «وإخوته» لدلت إخوته على إخوة مجازية أو أخوة طبيعية . ولاحتمالها المعنيين ، ماكانت تكون نصا قاطعا فى الأخوة الطبيعية .

٢ – فى الأصحاح الثانى عشر من إنجيل متى : «وفيما هو يكلم الجموع

إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه . فقال له واحد : هو ذا أمك وإخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك . فأجاب وقال للقائل له : من هى أمى ؟ ومن هم إخوتى ؟ ثم مد يده نحو تلاميذه . وقال : ها أمى وإخوتى . لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى» [متى ١٢:٤٦-٥٠]

فى هذا النص تجد أن إنسانا يقول لعيسى عليه السلام : إن أمك وإخوتك يطلبونك . وقوله هذا قد يدل على أم مجازية ، وإخوة مجازيين ، ويدل أيضا على أم حقيقية وإخوة حقيقيين . ولاحتماله هذين المعنيين . تجد أن قوله «من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى» قد عيّن أحد المعنيين وهو أن الطالبين له كانوا على الحقيقة ولم يكونوا على المجاز .

٣ - فى الأصحاح السادس من إنجيل مَرْقس : «أليس هذا هو النجار ابن مريم . وأخو يعقوب ويُوسى ويهوذا وسِمعان . أو ليست أخواته ههنا عندنا ؟» [مرقس ٦:٣]

فقد نسبه اليهود إلى يوسف النجار . وهو منسوب إليه مجازا ؛ لأنه لم يعرف أمه حتى ولدت ابنها البكر . ونسبوا إليه أربعة إخوة هم يعقوب ويُوسى ويهوذا وسِمعان . ولو كانت الأخوة مجازية ، فلماذا ذكروا أربعة وقد كان له كثيرون يصنعون إرادة أبيه الذى فى السموات ؟ وفى كتب النصارى أنه له أختان أيضا هما أستير وثامار .

ثالثا : النصوص التى تدل على عدم إيمان إخوته به :

١ - فى الأصحاح السابع من إنجيل يوحنا : «وكان عيد اليهود ، عيد المظال قريبا . فقال له إخوته : انتقل من هنا واذهب إلى اليهودية ، لكى يرى تلاميذك أيضا أعمالك التى تعمل ؛ لأنه ليس أحد يعمل شيئا فى الخفاء ، وهو يريد أن يكون علانية . إن كنت تعمل هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم ؛ لأن إخوته أيضا لم يكونوا مؤمنين به . فقال لهم يسوع : إن وقتى لم يحضر بعدُ . وأما وقتكم ففى كل حين حاضر . لايقدر العالم أن يبغضكم ولكنه يبغضنى أنا ، لأنى أشهد عليه أن أعماله شريرة . اصعدوا أنتم إلى هذا العيد .

أنا لست أصعد بعدُ إلى هذا العيد ؛ لأن وقتى لم يُكمل بعد . قال لهم هذا ومكث فى الجليل» [يوحنا ٧:١-٩]

ففى هذا النص تصريح من يوحنا بعدم إيمان إخوته به ؛ لقوله : «لأن إخوته أيضا لم يكونوا مؤمنين به»

٢ – فى الأصحاح الثالث من إنجيل مرقس : أن المسيح لما صنع معجزات بإذن الله ، اجتمع عليه خلق كثير «ولما سمع أقرباؤه ، خرجوا ليمسكوه ، لأنهم قالوا : إنه مختل» [مرقس ٣:٢١] فأقرباؤه ههنا هم أنسباؤه من سِبطه . والذين خرجوا ليمسكوه عن الدعوة من أقربائه ، لايستبعد أن منهم إخوته الذين لم يؤمنوا به .

رابعا : النصوص التى تدل على إيمان إخوته به :

يقول بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس : إن المسيح بعد قيامته من الأموات ظهر لصفا – وهو بطرس – ثم للاثنى عشر ، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة «وبعد ذلك ظهر ليعقوب» [١ كورنثوس ١٥:٧] ويعقوب هو أخوه – كما يقول النصارى –

خامساً : إبعاد المسيح لمريم عن إخوته لعدم إيمانهم به :

ومكتوب فى إنجيل يوحنا : أن المسيح وهو على الصليب ، رأى أمه واقفة مع يوحنا . فقال لأمه : «ياامرأة هو ذا ابنك . ثم قال للتلميذ : هو ذا أمك . ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته» [يوحنا ٩:٢٦-٢٧] وهذا النص يدل على أن إخوته إلى حين الصلب – كما يزعمون – لم يكونوا على وفاق معه ، ولامع أمه . وإلا ما كان يسلمها إلى يوحنا لتعيش فى كنفه ، وما كانت هى ترضى به .

ولماذا سلمها إلى يوحنا ؟

يقول «إيوالد»: إن العذراء من سبط لاوِى . ولذا لبس المسيح القميص المنسوج الذى يلبسه الكهنة اللاويون [يو ١٩:٢٣] وأن يوحنا البشير لبس أيضا فى شيخوخته مثل هذا القميص . أى أنه سلمها إلى ذى قرابتها .

المناقشات

١ - رأى أبيفانوس . وهو أن إخوته كانوا أولاد يوسف من زوجه الأولى . بدليل : أنه جاء فى الأناجيل المزيفةمايدل عليه . وقد رأيتُ من ضعفه بدليل أنه لم يذكر فى الأناجيل الأربعة ، وبدليل : أنه لو كان ليوسف أولاد من زوجة سابقة ؛ لما اعتبر يسوع وريثا لعرش داود . إذ يكون الأصغر . ودليله الثانى أركُّ من أن يتكلم فيه . وذلك لأن يسوع لم يرث عرش داود . وليس هو الوارث لعرش داود . فإنه كما فى رأى «إيوالد» كان من سبط لاوى ، من نسل هرون ، ولم يكن من سبط يهوذا ، من نسل داود . هذا من جهة نسبه . وأما من جهة أنه ليس وارثا لعرش داود . فذلك لأنه ليس هو المسيا المنتظر .

٢ - رأى إيرونيموس . وهو أن إخوته كانوا أولاد خالة «مريم» من زوجها «حلفى»[1] وعلى هذا الرأى مشكلة تفسيرية وهى أن المسيح وهو على الصليب تبعته «أمه ، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية» فإن الثلاثة ١ - مريم أمه ٢ - وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ٣ - ومريم المجدلية . كن واقفات عند الصليب .

والمشكلة هى فى تفسير «أخت أمه مريم زوجة كلوبا» هل يتم الوقف على «أخت أمه مريم» فيكون المعنى «تبعته أمه وأخت أمه مريم» التى هى زوجة كلوبا وتكون زوجة كلوبا مجهولة الاسم ؟ أم أن مريم أم المسيح ، كانت لها أخت تسمى مريم أيضا ؟ على أية حال فإن «لاتيفوت» قال : «إن رأى إيرونيموس لايرتكن على تقليد أقدم من الجيل الحادى عشر» ويظهر أن «إيرونيموس» نفسه بعد أن عاش فى فلسطين تنازل عن هذا الرأى .

٣ - الرأى الهلفيدى . وهو أن إخوته كانوا أولاد يوسف ومريم . فدليله

(١) «حلفى» له اسم آخر هو «كلوبا» فحلفى هو نفسه كلوبا .

قوى جدا من الأناجيل الأربعة . وهو أنهم رووا : أن المسيح عرف مريم بعد ولادة ابنها البكر[1] – كما يقولون –

ويعترض عليه بعض النصارى باعتراضات ثلاثة :

الأول : أن يسوع وهو على الصليب سلم أمه إلى كفالة يوحنا التلميذ . فلو كان له إخوة أشقاء لما سلمها له .

الثانى : إن أسماء أبناء حلفى مطابقة تماما لأسماء إخوة المسيح .

الثالث : إن كان ليوسف أولاد آخرون من مريم ، لما اعتبر يسوع وارثا لكرسى داود ؛ لأن ابن العصب أحق بالوراثة من ابن التبنى .

وقد رد بعضهم على بعض فى هذا الرأى . فقد قال المعترضون :

١ – تسليم مريم إلى يوحنا ، لاينفى إخوة أشقاء للمسيح . وذلك لأنهم ما كانوا مؤمنين برسالته .

٢ – تطابق الأسماء لأولاد أختين اثنتين . موجود فى أكثر العائلات . واختلاف اسم الأب هو الذى يميز هذا عن ذاك .

٣ – وعلى رأى إيوالد . فإن يسوع سواء كان ابن عصب أو ابن تبنى ، لايحق له إرث كرسى داود . لأنه من اللاويين .

(١) اعلم : أن النص القرآنى وهو ﴿ والتى أحصنت فرجها ﴾ يدل على أن العذراء مريم رضى الله عنها ظلت بلازوج إلى أن ماتت بعد المسيح عليه السلام ويقال : إنها ماتت بعده بثمانية أعوام . فإن إحصانها فرجها معناه : أنها نذرت نفسها لله تعالى . والمنذورة شأنها شأن الراهبات تعيش بلا زوج إلى أن تموت. وفى القرآن أيضا : أن أمها نذرتها لله تعالى . فقد قالت : ﴿ رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً ﴾ وعلى هذا فإننا نحن المسلمين نتفق مع الأرثوذكس والكاثوليك: فى أن مريم لم تتزوج بعد ولادة المسيح ، وأنها بقيت عذراء إلى أن ماتت . ويقول بعض نصارى البروتستانت : إنها تزوجت بعد ولادة المسيح وهى عذراء . ثم لا يعطونها قداسة . فيقولون : أنها كعلبة الكبريت إذا فرغ منها الكبريت فإنها لا تحفظ . أما الكاثوليك فإنهم يعطونها قداسة وشفاعة أكثر من أعطاء الأرثوذكس لها .

هجرة المسيح إلى مصر مع أمه مريم

وسنكذب النصارى الآن فى قولهم بوقوف مريم أمام صليب المسيح ، وتسليمه إياها ليوحنا بدلا عن أخواته . بنصوص من الأناجيل الأربعة عالمين من برنابا وقدامى المؤرخين منهم : أن المصلوب هو يهوذا لا المسيح وذلك :

أولا : روى متى :

أنه لما ولد يسوع فى بيت لحم التى هى فى سبط يهوذا ، أتى مجوس من المشرق إلى أورشليم وسألوا أين هو المولود ملك اليهود ؟ فجمع هيرودُس علماء بنى إسرائيل وسألهم : أين يولد المسيح ؟ أى أين يولد ملك اليهود ؟ فأجابوا بأنه سيولد فى بيت لحم . لأن نبوءة فى سفر ملاخى مكتوب فيها «وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لأن منك يخرج مدبر ، يرعى شعبى إسرائيل» فخاف هيرودس على ملكه وأمر بقتل الأطفال . أما المجوس فإنهم ذهبوا إلى البيت الذى فيه مريم وابنها وقدموا له الهدايا . وانصرفوا إلى بلادهم . وبعدما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا : قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك . لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه . فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودس . لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل : «من مصر دعوت ابنى»

ولما مات هيرودس ، وملك عوضا عنه «أر خيلاوس» ابنه ، رجع يوسف النجار بالمسيح وأمه وسكن فى مدينة «الناصرة» لكى يتم ما قيل بالأنبياء «إنه سيدعى ناصريا»

التعليق

إن كتَّاب الأناجيل كتبوها فى البدء بأمانة وإخلاص نية لبيان الحق . ولكن لما قام بولس بتطبيق نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء قسرا على يسوع . وهى ليست له ، بل لمحمد ﷺ واجتمع النصارى فى مجمع نيقية لإقرار عقيدة التثليث لعب النصارى فى الأناجيل . ووضعوا فيها عبارات للبس الحق بالباطل . وفى هذا الذى أوردناه عن متى تجد مايلى :

١ - إنهم كتبوا أن يسوع هو المسيح المنتظر ملك اليهود . فهل هو حقا مسيح اليهود المنتظر ؟ بالتأكيد ليس هو . وذلك لأن الله قد وعد إبراهيم عليه السلام بمباركة الأمم فى ولديه الكريمين إسماعيل وإسحق . وبدأت بركة إسحق فى الأمم بموسى عليه السلام . وستبدأ بركة إسماعيل فى الأمم بمحمد عليه السلام . فالمسيح المنتظر هو النبى الآتى من إسماعيل - بلغتهم - ويدل على ذلك : أن جميع نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء التى يستدلون هم بها على المسيح المنتظر تنطبق تمام الانطباق على محمد ﷺ - كما بينا فى كتابنا «المسيا المنتظر» وغيره -

٢ - ونبوءة سفر ملاخى لاتنطبق على يسوع ؛ لأنه لم يكن ملكا على إسرائيل . وقال : «مملكتى ليست من هذا العالم» وقال : «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» ولما طلبه أهل نايين للملك ، انصرف إلى الجبل وحده . ولما قال له يهودى : يامعلم قل لأخى يقاسمنى الميراث . قال له : ياإنسان من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ؟ وفوق ذلك فإن سفر ملاخى سفر غير مقدس عند اليهود السامريين . وهم عشرة أسباط من أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر .

٣ - لو كانت ولادة المسيح بوعد إلهى فى بيت لحم . فإن وعد الله لايتخلف . سواء قتلت الأطفال أم لم يقتلوا . فما فائدة قتلهم ؟

٤ - إن هيرودس ليس ملكا على إسرائيل . وإنما كان واليا عليها من قبل

قيصر الرومان «أو غسطس» ومن الممكن عزله فى أى وقت . فلماذا يخاف وهو ليس ملكا أصيلا ، حتى يورثها لبنيه ؟

وها هو ابنه «أرخيلاوس» لما ملك عوضا عنه ، أُرغم على التنازل عن لقب «ملك» فإنه لما مات أبوه ، أرسل الجيش إلى أوغسطس فى روما ليصادق على لقب ملك له ، فلم يوافق وأعطاه لقب «رئيس رُبع»

٥ - كان فى مصر إلى وفاة هيرودس . فكم هى المدة التى قضاها المسيح فى مصر وهو رضيع ؟

إن بدء التاريخ الميلادى مشكوك فيه . وقد قيل : إن المسيح ولد قبل الميلاد بأربع سنوات . ويقول اليهود : إن المسيح قد ولد فى عهد «سمعان بن هلليل والد غمالائيل» فالمدة قد طالت من قبل الميلاد إلى وفاة هيرودس إلى تمليك أرخيلاوس . فضلا عن قول الإنجيل إن محاكمة المسيح قد تمت أمام هيرودس . وأيا كانت المدة . فإن لوقا قد كذبها بقوله : إن المسيح كان فى هيكل سليمان بأورشليم يطلب العلم ، وأن أمه عقب نفاسها ذهبت به إلى أورشليم لتقديم القربان . فكيف تقدم القربان بعد النفاس مباشرة كما يقول لوقا ، وكيف كان فى مصر كما يقول متى ؟

٦ - اقتبس متى قول هوشع وهو «من مصر دعوت ابنى» ليدلل به على صحة ذهاب المسيح إلى مصر . واقتباسه باطل . فإن هوشع يقصد من قوله : أن الله تعالى أخرج اليهود من مصر مع موسى عليه السلام .

٧ - قول متى إن المسيح سكن فى مدينة الناصرة . هو قول باطل . وذلك لأن «الناصرة» كانت من قرى سبط زبولون . وهو من أسباط السامريين . والعداء شديد لايطاق بين العبرانيين والسامريين والمعاملات بينهما مقطوعة . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن يسوع كان من السبط الذى منه يوحنا المعمدان ويوحنا ولد فى قرية «يُطَّة» فى أرض يهوذا ، فى مملكة العبرانيين . ويقول لوقا : إن مريم انطلقت بعد تبشير جبريل لها بيسوع إلى الجبال إلى مدينة يهوذا وسلمت على أليصابات قريبتها . وهذا كله يدل على أن مريم لم تعش فى «الناصرة» وإنما عاشت مع أليصابات قريبتها .

٨ – قول متى : لأنه سيدعى ناصريا . وهكذا مكتوب حسب رأيه فى أسفار الأنبياء هو قول باطل . فإنه من المعلوم أنه لم ترد آية هذا نصها الحرفى فى العهد القديم . وكلمة نصرانى من «نصتر» بمعنى الفرع أو الغصن ، أو من «نصتر» بمعنى الحافظ ، أو من «نصتر» بمعنى المنذور لله تعالى . وقد تكون من «هانصرى» بمعنى الحقير الذى لايُرجى منه خير . واليهود قد لقبوا المسيح بلقب «هانصرى» استهزاء به ، فتفاخر المسيح بهذا اللقب . فغلب عليه وعلى أتباعه .

ومما تقدم يتبين : أن محرفى الأناجيل فى مجمع نيقية أرادوا من التحريف جعل يسوع هو مسيح اليهود المنتظر ، فوقعوا فى تناقض و لم يستطيعوا أن يخفوا الحقيقة . وهى أن النبوءات كلها لاتدل عليه .

ثانيا : روى لوقا :

أ – أنه لما ولد يسوع فى بيت لحم . لم تأت المجوس إليه كما روى متى . وإنما كان رعاة فى بادية يرعون أغناما لهم . وفى الليل ظهر ملاك الرب لحراس الأغنام وقال لهم : «إنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مُخلِّص . هو المسيح الرب» وهذا كذب ليس من لوقا ، بل من وضع المحرفين الذين أرادوا فى مجمع نيقية تحريف الأناجيل ، لتدل على أن مسيح اليهود المنتظر هو يسوع ، لا محمد بن عبد الله ﷺ فإن يسوع لم يخلص اليهود من ذل الأجانب ، فليس هو المسيح الرب . أى ليس هو المسيح الرئيس السيد ، بتعبير دانيال النبى فى الأصحاح التاسع من سفره .

وتسبيحة الرعاة فى أقدم النسخ[1] هى :

المجد لله فى الأعالى

والسلام للناس الذين بهم المسرة على الأرض .

وفى بعض الترجمات ومنها ترجمة اليسوعيين : «الناس الذين سُرَّ الله بهم»

فمن هم هؤلاء الذين سُرَّ الله بهم ؟ هل هم النصارى ؟ كلا ليسوا هم النصارى . فإن النصارى طائفة من اليهود ، والمسيح يسوع لم ينسخ

---

(١) حياة المسيح للدكتور فردريك ص ١٨ .

الناموس . والله غاضب على اليهود . فكيف يسر الله بشعب قد غضب عليه ولعنه ؟ إن الذين بهم المسرة هم الذين عناهم عيسى عليه السلام بالأمة التى تعمل بأثمار الملكوت . فى قوله لليهود : «إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره»

ب - روى لوقا أن مريم بعد ولادة المسيح مباشرة ذهبت به إلى «أورشليم» وروى متى أنها ذهبت به إلى «مصر» يقول لوقا : «ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى ، صعدوا به إلى أورشليم ، ليقدموه للرب ، كما هو مكتوب فى ناموس الرب : أن كل ذكر فاتح رحم يُدعى قدوسا للرب ، ولكى يقدموا ذبيحة كما قيل فى ناموس الرب زوج يمام أو فرخى حمام»

يقول لوقا : إنها ذهبت إلى «أورشليم» وليس إلى «مصر» عند تمام طهرها من النفاس . فكيف فى مدة هى أربعون يوما تذهب إلى «مصر» وتسمع بموت هيرودس ، ثم تعود إلى «الناصرة» ومنها إلى «أورشليم» ؟ كيف يعقل هذا ؟

والنص الذى يشير إليه لوقا بقوله «حسب شريعة موسى» هو فى الأصحاح الثانى عشر من سفر اللاويين وهو : «وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى إسرائيل قائلا : إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا ، تكون نجسة سبعة أيام . كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة . وفى اليوم الثامن يُختن لحم غُرلته . ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها . كل شىء مقدس لاتمس ، وإلى المقدس لاتجىء ، حتى تكمل أيام تطهيرها . وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين ، كما فى طمثها . ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها. ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة ؛ تأتى بخروف حولى ، محرقة وفرخ حمام أو يمامة ، ذبيحة خطية إلى باب خيمة الإجتماع إلى الكاهن .فيقدمهما أمام الرب ، ويكفر عنها ، فتطهر من ينبوع دمها . هذه شريعة التى تلد ذكرا أو أنثى ، وإن لم تنل يدها كفاية لشاة ، تأخذ يمامتين ، أو فرخى حمام . الواحد محرقة والآخر ذبيحة خطية ، فيكفر عنها الكاهن ؛ فتطهر» [لاويين ١٢: ١-٨]

جـ - ويقول لوقا : «وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح . ولما كانت له اثنتا عشرة سنة ، صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد . وبعدما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى أورشليم ويوسف

وأمه لم يعلما . وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم ، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف . ولما لم يجداه ، رجعا إلى أورشليم يطلبانه . وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسا فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم ... الخ»

ويدل كلام لوقا على أن المسيح فى أيام صباه ، كان فى هيكل سليمان بأورشليم مع علماء بنى إسرائيل . فكيف مع هذا تصح رواية متى عن هربه إلى مصر ؟ ويقول الدكتور فردريك . فارار : «وفى هذه السن تحتم أوامر الحاخاميين وعادات الأمة أن يتعلم أى ولد ، مهما كان مركزه صناعة يعول بها نفسه . وفى هذا السن يحرر الطفل من سلطة أبويه ، فلا يقدر أن يبيعاه كعبد ، وفيها يصبح «ابن هاتوراه» أى ابن الناموس . وقبل هذه السن كان يدعى «كاتون» أى الصغير . وأما بعدها فيدعى «جادول» أى البالغ . ومن ثَمَّ يعامل كرجل ويلبس «التفلين» أى الأحراز ، فى يوم سبت ، يسمى لهذه المناسبة « سبت التفلين » ويعتبر أحد كتب الحاخاميين : أن الصبى حتى هذه السن لايتركب إلا من نفس حيوانية «نفش» أما بعد هذه السن فيمتاز بالروح «رواه» التى إن كانت صالحة تنمو حتى يصير فى العشرين الروح العاقلة . وهذه السن أى اكتمال الثانية عشرة من العمر ، هى الحد الفاصل فى تعليم الصبى اليهودى . فيذكر لنا الحاخام يهوذا ابن طيما : أنه كان على الولد اليهودى أن يبدأ عند الخامسة فى درس التوراة ، وفى العاشرة درس المشنة ، وفى الثامنة عشرة يتزوج ، وفى العشرين يقتنى الممتلكات ، وفى الثلاثين القوة ، وفى الأربعين الفطنة . وهكذا إلى نهاية العمر»[1] ا هـ .

فانظر الآن أيها العاقل فى مانقلناه عن متى ولوقا . وتذكر مع ماقلناه أمور :

الأول : أن الأناجيل الأربعة أقرت ظهور المسيح بعد حادثة القتل والصلب ، وأنه أكل مع التلاميذ سمكا وعسلا .

والثانى : أن كتب المؤرخين تدل على أن المسيح وأمه هربا إلى مصر .

والثالث : أن القرآن الكريم نفى قتل المسيح وصلبه .

والرابع : أن الله تعالى يقول فى القرآن الكريم : ﴿**وجعلنا ابن مريم وأمه آية . وآويناهما إلى ربوة . ذات قرار ومعين**﴾[2]

---

(١) ص ٧٣ - ٧٤ حياة المسيح .

(٢) المؤمنون ٥٠

واسأل نفسك بعد هذا كله . هل كان الهرب فى سن الطفولة أم كان بعد حادثة القتل والصلب التى يقول برنابا إنها وقعت على «يهوذا الاسخريوطى» لا على المسيح نفسه كما تقول الأناجيل الأربعة ؟

إن المؤرخين يقولون : إنهما قدما إلى مصر والمسيح يرضع من ثديى أمه . ومكثا فيها سنين[1]. وكلام المؤرخين صحيح فى قدومهما إلى مصر . ولكن بعض المسلمين . وليس جمهورهم يقولون : لم يكن فى أيام الرضاع والفطام . بل بعد أن بلّغ رسالة الله لليهود السامريين والعبرانيين فى أرض فلسطين .

والإيواء لا يكون على الحقيقة إلا عند فقد المعين والناصر . أما مع المعين والناصر فإنه لايسمى إيواء . فقد قال تعالى عن محمد ﷺ **﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾**[2]- على رأى البعض -و والمسيح فى الصغر ، كان مع طلاب العلم المنذورين لله تعالى فى هيكل سليمان بأورشليم يعيش على الأموال المخصصة للمنذورين . وكذلك كانت أمه مريم رضى الله عنها فقد تكفل بها زكريا عليه السلام وهى فى الهيكل . ولما كبر وناوأ علماء بنى إسرائيل وخالفهم وتجرأ عليهم وشتمهم ووصفهم بالرياء والخداع والكذب ، أرادوا قتله . فآواه الله وحفظه إلى حين أجله .

وحيث أن الإيواء يكون فى حالة فقد المعين والناصر ، وحيث أن المؤرخين أجمعوا على مجيئه مع أمه إلى «مصر» وحيث أن المسيح قد شوهد بعد إرادة قتله يأكل مع تلاميذه سمكا وعسلا . فإنه يكون قد جاء إلى مصر مع أمه حالة الكبر ، وبعد الحادثة هكذا يقول بعض المسلمين .

وهروب المسيح هل يدل على كونه رب العالمين متجسدا ؟ وهل يدل على أنه إله ثان من الآلهة الثلاثة ؟ وجلوسه بين المعلمين فى الهيكل هل يدل على ذلك ؟ لا . لا . فإنه إنسان قد كلم اليهود بالحق الذى سمعه من الله . وليس على رأى الجمهور ، بل على رأى البعض أنه قد يكون أخذ أمه وسار بها إلى مصر ، ولم يسلمها لا إلى يوحنا ولا إلى غيره . وغير بعيد أن يخرج منها إلى «الهند» أو إلى أى مدينة غيرها إلى أن يحين أجله[3].

---

(١) يقول بعضهم سنتان وبعضهم خمساً وبعضهم سبعاً . (٢) الضحى ٦

(٣) راجع كتاب محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة وكتاب الفتاوى للشيخ محمود شلتوت .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد : «ومن الأخبار التاريخية خبر لايصح إغفاله فى هذا الصدد ؛ لأنه محل نظر كبير . وهو خبر الضريح الذى يوجد فى طريق «خان يار» بعاصمة «كشمير» ويسمونه هناك «ضريح النبى» أو «ضريح عيسى»

وروى تاريخ الأعظمى الذى دون قبل مائتى سنة : أن الضريح لنبى اسمه «عوس آصاف» ويتناقل أهل «كشمير» عن آبائهم : أنه قدم إلى هذه البلاد قبل ألفى سنة .

وينقل المولى محمد على فى ترجمته للقرآن الكريم عن كتاب عربى يسمى «إكمال الدين» محفوظ من ألف سنة : أن اسم «عوس آصاف» مذكور فيه . وأنه قال عنه : إنه رحالة ساح فى بلاد كثيرة ، وأن كتاب «برلام ديو شافاط» فى صفحة ١١١ يذكر عن «عوس آصاف» أنه صاحب «بشرى» وأنهم يحفظون مثلا من أمثاله فى تعليمه ، يشبه مثل السيد المسيح عن الزراع والبذور .

ولقد أورد المولى محمد على هذا التعليق فى تفسير الآية الكريمة : ﴿**وجعلنا ابن مريم وأمه آية ، وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين**﴾[١] وأورد تعليقا يقرب منه فى تفسير قوله تعالى : ﴿**إنى متوفيك ورافعك إلىّ**﴾[٢] وغيرهما من الآيات القرآنية ، التى تناولت حياة عيسى بن مريم عليه السلام »[٣] ا.هـ .

ومن المؤكد أنه لم يكن للمسيح عيسى عليه السلام إخوة أشقاء أو أخوات شقيقات من أمه مريم . فإنها عاشت بلا زوج إلى أن ماتت . لأنها كانت من النذيرات . والدكتور فردريك . فارار يخالف فى هذا ويقول : «إنه بعد الحمل العجبانى بمخلصنا ، عاش يوسف ومريم ، كزوجين ، وولدا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ، وأخوات لم تسجل أسماؤهن . وعلى هذا الرأى يكون يسوع هو الابن الأكبر . فلما مات يوسف – ويقول التقليد : إن هذا حدث

(١) المؤمنون : ٥٠ . **(٢) آل عمران : ٥٥ .**
(٣) ص ٢١٥ عبقرية المسيح للأستاذ عباس محمود العقاد .

وكان ليسوع تسعة عشر عاما – أصبح يسوع هو الرئيس والعائل لتلك الأسرة اليتيمة»[1] ا.هـ .

والدليل على ذلك :

١ – إن مريم رضى الله عنها كانت منذورة لله من البطن ، نذرا دائما لله . فقد قال تعالى : ﴿**إذ قالت امرأة عمران : رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا ، فتقبل منى . إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت : رب إنى وضعتها أنثى . والله أعلم بما وضعت . وليس الذكر كالأنثى . وإنى سميتها مريم . وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا . كلما دخل عليها زكريا المحراب ، وجد عندها رزقا قال : يامريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله . إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾ [آل عمران ٣٥]

وعند النصارى إنجيل غير معتمد يسمى بإنجيل متى ، يقرر بأن مريم رضى الله عنها لم تكن زوجة ولا مخطوبة ، وإنما كانت من العذارى اللائى نذرن أنفسهن ونذرهن أهلهن لخدمة المعبد . أى كانت من الراهبات اللائى كن يتوفرن على العبادة ، وخدمة المعابد التى يعتكفن فيها . وهذه الطائفة كان يحرم على أفرادها الزواج والاتصال بالرجال كشأن الراهبات النصرانيات فى الوقت الحاضر[2] .

٢ – إن إنجيل مرقس لما روى «أليس هذا هو النجار ابن مريم ... الخ» [مر ٦:٣] خالف لوقا فى قوله : إن المسيح كان فى الهيكل مع المعلمين يسمعهم ويسألهم . ووجوده فى الهيكل بين طلاب العلم مناسب للقب الربى الذى ناداه به تلاميذه ، وللقب المعلم والسيد والحَبر .وإذا ثبت كذب مرقس فى صنعته ، يثبت كذبه فى الأخوة .

٣ – إن الأناجيل التى قالت : إن يوسف النجار قد عرف مريم بعد ولادة ابنها البكر ، وأن يوسف من سبط يهوذا . كذبت فى هذا القول . وذلك لأن

(١) ص ٩٥ حياة المسيح .

(٢) V. Wester marck: Origine et Development des Idees Morales (tra. Fran) T.11, p. 398 نقلاً عن الأسفار المقدسة ص ٨٢ .

مريم من سبط لاوى . وإذا ساغ لها الزواج على أنها لم تكن منذورة ، كان يسوغ لها الزواج من عشيرة سبط أبيها ، لا من سبط يهوذا . حسب ما فى الأصحاح الأخير من سفر العدد .

٤ – وشريعة النذر المنصوص عليها فى التوراة ، تنص على أن الرجل إذا نذر نذرا أو المرأة ، يصير النذر كالفرض فى وجوب الأداء . ففى الأصحاح الثلاثين من سفر العدد : «إذا نذر رجل نذرا للرب ، أو أقسم قسما أن يلزم نفسه بلازم ، فلا ينقض كلامه . حسب كل ما خرج من فمه ، يفعل . وأما المرأة فإذا نذرت نذرا للرب ، والتزمت بلازم فى بيت أبيها فى صباها ، وسمع أبوها نذرها واللازم الذى ألزمت نفسها به فإن سكت أبوها لها ، ثبتت كل نذورها . وكل لوازمها التى ألزمت نفسها به ، تثبت ... الخ» [عد ٣٠:٢–٤] وامرأة عمران قد نذرت لله تعالى ما فى بطنها محررا .

٥ – والمنذور يكون لله تعالى كل أيام انتذاره . فلا يشرب الخمر ، ولا يمر موسى على رأسه ، ويربى خصل شعر رأسه . ويكون مقدسا للرب كل أيام انتذاره [عدد ٦:١– الخ]

٦ – وعيسى عليه السّلام كان منذورا لله من البطن . ولذلك تجد صورته عند النصارى ، فيها شعره منسدل على كتفيه .

٧ – ويحيى عليه السلام كان منذورا لله من البطن . لقول لوقا عنه : «لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لايشرب ، ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس» [لو ١:١٥] والمنذور من البطن لايتزوج طول حياته . أما المنذور إلى مدة ؛ فإلى تمام المدة لايقرب النساء .

نسب المسيح :

وفى إنجيل متى :

١ – أن يوسف النجار خطيب مريم هو ابن يعقوب بن متَّان بن أليعازر ... الخ .

٢ – وأنه ينتهى نسبه إلى سليمان بن داود – عليهما السلام –

وفى إنجيل لوقا :

١ - أن يوسف النجار هو ابن هالى بن متثات بن لاوى ... الخ
٢ - وأنه ينتهى نسبه إلى ناثان بن داود .

وهذا تناقض فى المعنى .

وفى الأناجيل أن يسوع هو ابن داود . يعنون أنه المسيا المنتظر .

وفى إنجيل لوقا : أن مريم قريبة لأليصابات ، وأليصابات من بنات هرون من سبط لاوى . وحيث أنها قريبتها ، فإنها تكون من نفس السبط الذى هى منه . لأنه فى الأصحاح السادس من سفر العدد : «وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى إسرائيل ، تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها ، لكى يرث بنو إسرائيل ، كل واحد نصيب آبائه . فلا يتحول نصيب من سبط إلى سبط آخر ، بل يلازم أسباط بنى إسرائيل كل واحد نصيبه» [عدد ٣٦:٨-٩]

وأما الدليل على قرابتها لأليصابات فهو :

أ - «كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا ، من فرقة أبيًّا ، وامرأته من بنات هرون واسمها أليصابات . وكانا كلاهما بارين أمام الله وسالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ، ولم يكن لهما ولد . إذ كانت أليصابات عاقرا ، وكانا كلاهما متقدمين فى أيامهما» [لوقا ١:٥-٧] ففى هذا النص : أن اليصابات من بنات هرون ، وتزوجت زكريا وهو من سبطها من نسل هرون . فإن فرقة أبيًّا هى من فرق الكهنة الهارونيين كما فى الأصحاح الرابع والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول .

ب - «وهو ذا أليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن ... الخ» [لوقا ١:٣٦] والنسب هو القرابة .

المُقَدَّس للرب

والمقدس للرب لايتزوج طول حياته . وعيسى عليه السلام كان مقدسا للرب . لأنه كان منذورا . ففى شريعة النذر : «إلى كمال الأيام التى انتذر فيها للرب ، يكون مقدسا ، ويربى خصل شعر رأسه» - «إنه كل أيام انتذاره

مقدس للرب» [عدد ٦: ٥-٨] والدليل على أن المقدس لايقرب النساء هو : «فأجاب الكاهن داود وقال : لا يوجد خبز محلل تحت يدى ، ولكن يوجد خبز مقدس . إذا كان الغلمان قد حفظوا أنفسهم **لاسيما من النساء** . فأجاب داود الكاهن وقال له : إن النساء قد مُنعت عنا منذ أمس وما قبله عند خروجى ، وأمتعة الغلمان مقدسة ... الخ» [صموئيل الأول ٢١: ٤-٥] والدليل على أن عيسى كان منذورا : هو أن مرقس حكى عن الروح أنه قال عن المسيح : «أنا أعرفك . من أنت ؟ قدوس الله» [مرقس ١: ٢٤] وأن لوقا حكى أن جبريل قال لمريم : «فلذلك أيضا القدوس المولود منك» [لوقا ١: ٣٥] فقد وصفه بالقدوس . والقدوس هو المنذور . والمنذور لايقرب النساء . فعيسى لايقرب النساء .

وفى سفر الخروج : أن موسى عليه السلام لما قال الله له : «ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب ، لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك ، فيؤمنوا بك» ذهب موسى إلى الشعب وقدَّسهم ليصعدوا معه إلى جبل طور سيناء . «فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب . وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم ، وقال للشعب : كونوا مستعدين لليوم الثالث . لاتقربوا امرأة» [خروج ١٩: ١٤-١٥]

ففى هذا النص أنه لما قدسهم ، منعهم عن قرب النساء .

وفى سفر القضاة أن شمشون كان منذورا لله من البطن إلى يوم موته . ولم يكن من اللاويين ، وإنما كان من سبط دان . وأنه نزل إلى «تمنة» فرأى امرأة من بنات الفسطينيين وأراد أن يتزوجها مع أنه كان منذورا إلى يوم موته . وقال لأبيه : «إياها خذ لى ؛ لأنها حسنت فى عينى ولم يعلم أبوه وأمه أن ذلك من الرب ؛ لأنه كان يطلب علَّة على الفلسطينيين . وفى ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلطين على إسرائيل» [قضاة ١٤: ٤] فطلبُ شمشون الزواج وهو منذور ، يدل على أن الزواج غير محرم على المنذور .

لكن حاكى قصته فى سفر القضاة يعلل طلبه : بأن شهوته هى سبب لإيذاء أهل فلسطين . ويصوغها بأسلوب خرافى يمنع من الوثوق بما فيها.. فقد ذكر فيها أن الفلسطينى خدعه وأعطى مخطوبته لصاحبه . مع أن الخداع من

شيمة بنى إسرائيل ، فقد خدع لابان يعقوب فى ليئة وراحيل . وذكر فيها أن شمشون ذهب إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها . تماما كما فعل يهوذا بن يعقوب عليه السلام مع امرأة فى مدخل عينايم على طريق «تمنة» كما فى الأصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين . وذكر فيها أن شمشون انحلت قوته لما حلقوا شعر رأسه . وكان مربى على سبع خُصل ، وأنه لما عمى ، هز أعمدة المعبد ؛ فوقع سقفه عليه وعلى من فيه . ومع ذلك قضى على بنى إسرائيل عشرين سنة .

وما حكاه لوقا عن يوحنا المعمدان . وصار بما حكاه حصورا لايقرب النساء ، حكى مثله برنابا عن عيسى عليه السلام وصار بما حكاه حصورا لايقرب النساء . ففى بدء إنجيله هكذا :

«بينما كانت هذه العذراء العائشة بكل طهر ، بدون أدنى ذنب ، المنزهة عن اللوم ، المثابرة على الصلاة مع الصوم . يوما مّا وحدها . وإذا بالملاك جبريل ، قد دخل مخدعها وسلم عليها قائلا : ليكن الله معك يامريم . فارتاعت العذراء من ظهور الملاك . ولكن الملاك سكن روعها قائلا : لاتخافى يامريم ، لأنك قد نلت نعمة من لدن الله ، الذى اختارك ، لتكونى أم نبى يبعثه إلى شعب إسرائيل ، ليسلكوا فى شرائعه بإخلاص . فأجابت العذراء : وكيف ألد بنين وأنا لا أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك : يامريم إن الله الذى صنع الإنسان من غير إنسان ، لقادر أن يخلق فيك إنسان من غير إنسان ؛ لأنه لامحال عنده . فأجابت مريم : إنى لعالمة أن الله قدير ، فلتكن مشيئته . فقال الملاك : كونى حاملا بالنبى الذى ستدعينه يسوع . فامنعيه الخمر والمسكر وكل لحم نجس ؛ لأن الطفل قدوس الله . فانحنت مريم بضعة قائلة : ها أنا ذا أمة الله ، فليكن بحسب كلمتك . فانصرف الملاك»[بر ١:٢-١١]

«ولما كان يوسف بارا ، عزم إذ رأى مريم حبلى على إبعادها ؛ لأنه كان يتقى الله . وبينا هو نائم إذا بملاك الله يوبخه قائلا : لماذا عزمت على إبعاد امرأتك ؟ فاعلم : أن ماكون فيها إنما كون بمشيئة الله ، فستلد العذراء ابنا ، وستدعونه يسوع ، وتمنع عنه الخمر والمسكر ، وكل لحم نجس ؛ لأنه قدوس الله من رحم أمه» [بر ٢:٤-١٠]

الفصل الثالث

خداع بولس

فى «بابل» سنة ٥٨٦ قبل الميلاد أعاد علماء بنى إسرائيل كتابة توراة موسى عليه السلام ووضعوا النصوص عن محمد ﷺ بصيغة تحتمل أنه هو ، وتحتمل أنه ليس هو ، فى نظر الأميين منهم . أما فى نظر العلماء فإنها تدل عليه تمام الدلالة ، وتنطبق عليه تمام الانطباق .

ثم لقبوه بألقاب أنبيائهم وعلمائهم وملوكهم لخداع الناس بأن النبى الآتى مثل موسى ، سيكون منهم لا من بنى إسماعيل عليه السلام . ومن أجل ذلك أرسل الله عبده ونبيه عيسى عليه السلام ليفسر نصوص التوراة وأسفار الأنبياء عن محمد ﷺ لبنى إسرائيل عامتهم وخاصتهم وللأمم أيضا تفسيرا حسنا ، ليدخلوا فى دينه متى جاء .

وبعد تفسيره التفسير الحسن الصحيح ؛ علم الناس مدلول النبوءات ، وعلى من تدل . لكنه عليه السلام لم يغير نصوصها تغييرا لفظيا ؛ لأنه ليس له سلطان فى الأرض ، ولأنه لم يكن له إلاّ تصديق التوراة . فالهيمنة عليها ليست إلا للنبى الذى يبشر به . وهو محمد ﷺ

فقد قال تعالى فى القرآن الكريم : ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه . فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق . لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾[1]

---

(١) المائدة ٤٦ - ٤٨

وبعد رفعه إلى السماء . تظاهر فريق من اليهود بالنصرانية . وحرفوها على النحو التالى :

١ - كان هدف عيسى عليه السلام من دعوته هو تفسير نبوءات التوراة لتدل على محمد ﷺ فقال المحرفون : إنه ما كان يقصد بتفسيره إلا نفسه ، ولكنه لم يعلن عن هدفه .

٢ - كل كلام يحيى عليه السلام عن محمد ﷺ قال المحرفون : إنه يقصد به عيسى بن مريم عليه السلام .

٣ - شريعة التوراة تنص على أن النبى الآتى ، له يسمع بنو إسرائيل ويطيعون ، حتى لو أمرهم بنسخ أحكام التوراة كلها . فقال المحرفون : إن عيسى قد نسخ أحكام التوراة .

٤ - نبوءات النبى الآتى فى التوراة ، تدل على أنه سيكون محاربا عظيما ، ومنتصرا على أعدائه ، ورئيسا مطاعا وهم يعلمون أن عيسى عليه السلام لم يكن محاربا ولم يكن رئيسا . فتفادوا النبوءات بقولهم : إنه سيظهر فى نهاية الزمان ليحارب وينتصر ويملك بملك روحى ، لا أرضى . أى أنه لن يظهر بجسده فى نهاية الزمان .

أى أن هؤلاء المحرفين لم يكتفوا بإرجاع نصوص النبوءات عن محمد ﷺ إلى الحال الذى أراده اليهود منها حال صياغتها . وهو أنها تدل وقد لاتدل عليه . بل وصلوا إلى حد النهاية فى التشويش عليها . وذلك بوضعها على من ليست هى له . وهو عيسى عليه السلام .

ورئيس المحرفين فى «بابل» هو عَزْرا الوراق الهارونى . ورئيس المحرفين فى «أورشليم» هو بولس . والأول : وضع النصوص بصيغة الاحتمال . والثانى تمم دلالة النصوص قسراً على المسيح بن مريم وبين أنه به ختمت النبوة إلى يوم القيامة .

وهذه طريقة عَزرا فى كتابة النصوص :

فى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين قال الله لإبراهيم النبى عليه السلام :

أ – امشى بين الناس بالدعوة إلىّ ، وعرفهم بكلامى .

ب – وكن قدوة صالحة للناس فى أعمال الخير .

ولئن مشيت وكنت قدوة . أعطيك الأرض ملكا لتمكن لكلامى فى الأرض . هذا هو الشرط والجزاء .

فطلب إبراهيم عليه السلام من الله تعالى أن يكون ذلك الجزاء لنسله . فأجابه الله إلى طلبه ، ولكن ليس فى كل نسله ، بل فى من يمشى ويكون قدوة . أما الظالم الذى لا يدعو الناس إلى الله ، ولا يكون قدوة حسنة ؛ فإنه لايدخل فى العهد .

ووعد الله إبراهيم بأن يجعل إسحق ابنه سائرا أمامه فى الدعوة . وطلب إبراهيم من الله أن يجعل إسماعيل ابنه سائرا أيضا أمامه فى الدعوة . فاستجاب الله تعالى لطلب إبراهيم . وجعل العهد بينه وبين بنى إسحق وبنى إسماعيل . على أساس أنه سينزل شريعة يقوم بنشرها بنو إسحق بين الناس ، ثم ينزل شريعة يقوم بنشرها بنو إسماعيل بين الناس . وبذلك يكون لبنى إسحق ملك ونبوة ، ويكون لبنى إسماعيل ملك ونبوة .

هذا معنى ماكتبه عزرا . ثم إنه كتب بعده : أن العهد بين الله وبين إبراهيم لم يكن للنبوة والدعوة والقدوة وإنما كان للختان ، ليتميز نسل إبراهيم بقطع القلفة عن سائر الأمم .

ثم عاد إلى العهد بالنبوة والدعوة والقدوة . وقال : إن إسحق مبارك فيه . وإن إسماعيل مبارك فيه . ولكن العهد بالنبوة والدعوة والقدوة . أى بالسير أمام الله هو فى إسحق دون إسماعيل .

ثم شرع يفسر البركة بالملك والنبوة . فالأمى من بنى إسرائيل يقول : **إن إسماعيل محروم من النبوة ، والعالم من بنى إسرائيل يقول : لو كان إسماعيل محروما من النبوة ، ماكان الله يستجيب دعاء أبيه فيه ويعده بالبركة فى نسله . فوعده بالبركة فى نسله ، هو دليل على أنه سيسير أمام الله بين الناس فى كل مكان .**

ويقول العالم من بنى إسرائيل : إن أولاد إبراهيم من قطورة وهم زِمران ويَقشان ومَدان ومديان ويَشباق وشوحا ، ليست لهم بركة . أى ليست لهم نبوة . فلو كان إسماعيل محروما من النبوة ، لكان قد وضعهم فى عداد بنى قطورة وما كان يساويه بإسحق فى البركة .

وطريقة بولس :

هو أنه يحضر فى ذهنه نص النبوءة عن النبى الآتى من إسماعيل لتبدأ من وجوده بركة إسماعيل فى الأمم . ويقول : إن هذه النبوءة تدل على عيسى عليه السلام .

أ – قال فى العهد والبركة : إن إسماعيل محروم من النبوة . وأن بركة إسحق فى الأمم لاتبدأ من موسى عليه السلام إلى مجىء محمد ﷺ بل تبدأ من عيسى عليه السلام إلى يوم القيامة . ووضع هذا فى الأصحاح الرابع من رسالته إلى أهل غلاطية .

ب – ونبوءة سفر التثنية وهى : «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى . له تسمعون» قال كما قال اليهود فيها والنصارى : إنها تدل على مجىء المسيح الرئيس الذى هو المسيا . ثم قال : إن المسيح الرئيس هو عيسى عليه السلام وقد قاومه بعض اليهود فى عدة مدن . منها مدينة «تسالونيكى»

ففى الأصحاح السابع عشر من سفر أعمال الرسل : «فدخل بولس إليهم حسب عادته ، وكان يحاجُّهم ثلاث سبوت من الكتب ، موضحا ومبينا : أنه كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات . وأن هذا هو المسيح يسوع الذى أنادى لكم به» .

وفى الثامن عشر من سفر الأعمال : «فلما جاء ساعد كثيرا بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا ؛ لأنه كان باشتداد يُفحم اليهود جهرا مبينا بالكتب : أن يسوع هو المسيح»

جـ – وقال يوحنا المعمدان عن محمد ﷺ : «يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه ، أنا عمدتكم بالماء ،

وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس» [مرقس ١:٧-٨] فادعى بولس أن الذى يتحدث عنه يوحنا المعمدان هو يسوع المسيح . مع أن يسوع دعا باقتراب ملكوت السموات كما دعا يوحنا . يقول كاتب سفر أعمال الرسل : «فحدث فيما كان أَبُلُّوس فى كورنثوس . أن بولس بعدما اجتاز فى النواحى العالية ، جاء إلى أَفَسُس فإذ وجد تلاميذ قال لهم : هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟ قالوا له : ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس . فقال لهم : فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا : بمعمودية يوحنا . فقال بولس : إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلا للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده . أى بالمسيح يسوع .

فلما سمعوا ، اعتمدوا باسم الرب يسوع . ولما وضع بولس يديه عليهم ، حلّ الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون . وكان جميع الرجال نحو اثنى عشر» [أعمال ١٩:١-٧]

د - ونبوءة ابن الله ، طبقها بولس على عيسى عليه السلام ، ففى الأصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل : «وكان شاول مع التلاميذ الذين فى دمشق أياما ، وللوقت جعل يَكرز فى المجامع بالمسيح : أن هذا هو ابن الله» - «وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققا : أن هذا هو المسيح» [أعمال٩:١٩،٢٠،٢٢]

وخدع بولس النصارى فى الناموس .

فإن عيسى عليه السلام كان مصدقا للتوراة غير مهمين عليها ؛ لقوله : «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء» [متى ٥:١٧] وكان هو خاضعا للناموس . فقد ختنته أمه فى اليوم الثامن لولادته حسب الناموس. وذهبت إلى أورشليم للتطهير من نفاسها بعد ثلاثة وثلاثين يوما من ختانه حسب الناموس. ففى الأصحاح الثانى من لوقا : «ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى ، سمى يسوع ، كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن . ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى، صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب ، كما هو مكتوب فى ناموس الرب : أن كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوسا للرب ، ولكى يقدموا ذبيحة كما قيل فى ناموس الرب : زوج يمام أو فرخى حمام» [لوقا ٢:٢١-٢٤]

وهذا هو نص ناموس الرب من الأصحاح الثانى عشر من سفر اللاويين :

« وكلم الرب موسى قائلا : كلم بني إسرائيل قائلا : إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا ، تكون نجسة سبعة أيام كما فى أيام طمث علتها ، تكون نجسة . وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته . ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها . كل شيء مقدس لاتمس وإلى المقدس لاتجيء ، حتى تكمل أيام تطهيرها ... الخ»

وهذا الذى صرح بأنه غير ناسخ للناموس ، وبأنه جرت عليه أحكام الناموس . قد ألغى بولس كلامه وفعله . فقال :

«قولوا لى أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس : ألستم تسمعون الناموس ؟ فإنه مكتوب : أنه كان لإبراهيم ابنان . واحد من الجارية والآخر من الحرة . لكن الذى من الجارية وُلد حسب الجسد ، وأما الذى من الحرة فبالموعد . وكل ذلك رمز ، لأن هاتين هما العهدان . أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر ؛ لأن هاجر جبل سيناء فى العربية ، ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة ؛ فإنها مستعبدة مع بنيها . وأما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعا ، فهى حرة ؛ لأنه مكتوب : افرحى أيتها العاقر التى لم تلد . اهتفى واصرخى أيتها التى لم تمخض . فإن أولاد الموحشة أكثر من التى لها زوج . وأما نحن أيها الأخوة فنظير إسحق أولاد الموعد . ولكن كما كان حينئذ الذى ولد حسب الجسد يضطهد الذى حسب الروح ، هكذا الآن أيضا . لكن ماذا يقول الكتاب : اطرد الجارية وابنها ؛ لأنه لايرث ابن الجارية مع ابن الحرة . إذًا أيها الأخوة لسنا أولاد جارية . بل أولاد حرة .

فاثبتوا إذاً فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ، ولاترتبكوا أيضا بنير عبودية . ها أنا بولس أقول لكم : إنه إن اختتنتم لاينفعكم المسيح شيئا ، لكن أشهد أيضا لكل إنسان مختتن : أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس . قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس . سقطتم من النعمة . فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر ؛ لأنه فى المسيح يسوع ، لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة ، بل الإيمان العامل بالمحبة » [غلاطية ٤:٢١ الخ] ذلك هو خداع بولس . وها أنذا أبين مراده فأقول :

١ – قال : إن نسل إسماعيل عليه السلام نسل للعبودية ، ونسل العبودية لا يأتى منه نبى ولاتكون منه ملوك على الشعوب . أى لابركة لإسماعيل عليه السلام . الاّ بالملك . على نفسه كما يحكم العبيد أنفسهم . وهذا هو غرضه السيىء .

٢ – قال : إن نسل إسحق عليه السلام نسل للنبوة وللمُلك . ونسل الملك يكون منه الأنبياء والملوك .

واستدل على حرمان إسماعيل من النبوة بدليلين :

الأول : ماجاء فى سفر إشعياء وهو : «افرحى أيتها العاقر التى لم تلد ... الخ» [أشعياء ٥٤]

والثانى : ماجاء فى سفر التكوين وهو : «اطرد الجارية وابنها لأنه لايرث ابن الجارية مع ابن الحرة» والدليلان عليه . لا له . فإن قول إشعياء يريد به مكة المكرمة . لأنها لم يظهر فيها نبى ذو شريعة مثل ماظهر موسى فى بنى إسرائيل . فالعاقر إشارة إليها وليس إشارة إلى أورشليم وقول الكتاب اطرد الجارية معناه : أن تسكن هاجر بعيدا عن سارة . وليس معناه أن إسماعيل محروم من إرث إبراهيم فإنه فى نفس النص قال : «بإسحق يُدعى لك نسل وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك» [تكوين ٢١:١٢–١٣]

تبكيت

روى لوقا فى إنجليه : «ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى ، سمى يسوع ؛ كما تسمى من الملاك ، قبل أن حبل به فى البطن ، ولما تمت أيام تطهيرها ، حسب شريعة موسى ؛ صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب»

هذا الذى ختنوه فى اليوم الثامن وقطعوا لحم غرلته هل هو الله ربّ العالمين ؟ هل هو إله أم إنسان ؟

تصحيح خطأ :

ولقد ذكر محقق «مقامع هامات الصلبان» عن غيره مانصه :

«لقد عزل «بولس» المسيح من اليهود ، وجعله مسيحا ، غير «المسيا» الذى

ينتظرونه لخلاصهم ! وذلك ليستطيع أن يجعل منه الإله الذى تجسد ، ثم صلب من أجل خلاص العالم ، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم . وبهذا يضمن لدعوته مجالا . يتحرك بها فى الامبراطورية الرومانية . بين الرومان والشعوب الخاضعة لدولتهم . وبهذا أيضا يفسح المجال لأمل اليهود فى مسيح منتظر بعد يسوع الذى صلبوه»[1] .

يريد أن يقول :

١ - إن اليهود ينتظرون المسيح الذى هو المَسِيا .

٢ - إن بولس جعل عيسى مسيحا غير المسيح الرئيس .

٣ - إن بولس جعل عيسى مصلوبا من أجل خطايا العالم .

والحق : أن اليهود ينتظرون مسيحا واحدا إلى هذا الزمان . وقد استدلوا على مجيئه من نبوءة الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . وهى «يُقيم لك الرب إلهك نبيا ... الخ»

والمسيح المنتظر هو نفسه المسيا . فأصل الكلمة «ها ماشيح» بالعبرانية . و «ها» تساوى الألف واللام فى اللغة العربية . وفى الآرامية «ماشيح» وفى اليونانية «مسيح» وفى اللغات التى لاتنطق الحاء ، جاءت «مسيا» وهى فى التراجم العربية : «مسيا» ففى إنجيل يوحنا : «قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى ؛ فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شىء» [يو ٤:٢٥]

وبولس هو الذى جعل عيسى عليه السلام مسيح اليهود الذى هو المسيا ، الذى ينتظرونه لخلاصهم ، ولم يجعله مسيحا غير المسيا والدليل على ذلك : أن نبوءة سفر التثنية التى استدلوا بها على مجىء المسيح الذى هو المسيا ، يقول النصارى فيها : إنها تنطبق على عيسى عليه السلام . ويقولون : لا مسيح من بعد عيسى إلى يوم القيامة .

وبولس نفسه خدع النصارى بأنه صار منهم ، ولما وثقوا به «للوقت جعل يَكْرِز فى المجامع بالمسيح : أن هذا هو ابن الله» وابن الله هى نبوءة عن المسيا

---

(١) ص ٥٥ بين الإسلام والمسيحية/ مكتبة وهبة بالقاهرة .

الرئيس . ثم صار يحير يهود دمشق : أن عيسى هو «المسيح الرئيس» ليقفل باب النبوة فى وجه بنى إسماعيل عليه السلام .

ففى الأصحاح التاسع عشر من سفر أعمال الرسل : «أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب . فتقدم إلى رئيس الكهنة ، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات ، حتى إذا وجد أناساً من الطريق ، رجالا أو نساء ، يسوقهم موثقين إلى أورشليم . وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق ، فبغتة أبرق حوله نور من السماء .فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلا له : شاول . شاول . لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من أنت ياسيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذى أنت تضطهده . صعب عليك أن ترفس منا خس . فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب : قم وادخل المدينة . فيقال لك : ماذا ينبغى أن تفعل . وأما الرجال المسافرون معه ، فوقفوا صامتين ، يسمعون الصوت ولاينظرون أحدا . فنهض شاول عن الأرض . وكان وهو مفتوح العينين لايبصر أحداً . فاقتادوه وأدخلوه إلى دمشق . وكان ثلاثة أيام لايبصر ، فلم يأكل ولم يشرب .

وكان فى دمشق تلميذا اسمه حنانيا . فقال له الرب فى رؤيا : ياحنانيا . فقال : ها أنذا يارب . فقال له الرب : قم واذهب إلى الزقاق الذى يُقال له المستقيم ، واطلب فى بيت يهوذا رجلا طرسوسيا اسمه شاول ؛ لأنه هو ذا يصلى . وقد رأى فى رؤيا رجلا اسمه حنانيا داخلا وواضعا يده عليه لكى يبصر . فأجاب حنانيا : يارب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل : كم من الشرور فعل بقديسيك فى أورشليم . وههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يُوثق جميع الذين يدعون باسمك . فقال له الرب : اذهب . لأن هذا لى إناء مختار . ليحمل اسمى أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل ؛ لأنى سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى .

فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع عليه يديه . وقال : أيها الأخ شاول قد أرسلنى الرب يسوع الذى ظهر لك فى الطريق الذى جئت فيه ، لكى تبصر وتمتلىء من الروح القدس . فللوقت وقع من عينيه شىء ؛ كأنه قشور فأبصر فى الحال ، وقام واعتمد . وتناول طعاما فتقوى .

وكان شاول مع التلاميذ الذين فى دمشق أياما . وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح : أن هذا هو ابن الله . فبهت جميع الذين كانوا يسمعون ، وقالوا : أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم . وقد جاء إلى هنا ، ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة ؟ وأما شاول فكان يزداد قوة ، ويحير اليهود الساكنين فى دمشق محققا : أن هذا هو المسيح» [ع ٩:١-٢٢]

يريد الكاتب أن يقول :

إن شاول الذى هو بولس كان عدوا للنصارى الأوائل ، وأنه وهو ذاهب إلى دمشق ، ليجر النصارى الى السجن ؛ أبرق حوله نور من السماء ، وظهر له الرب يسوع المسيح فى هالة من النور . وناداه بقوله : لماذا تضطهد أتباعى يابولس ؟ من الصعب أن تفنيهم . فقال بولس : من هو هذا الذى ينادينى ؟ فقال له : أنا يسوع – وكان هذا كله بعد رفع المسيح إلى السماء – وحينئذ خاف بولس وقال : ياسيد لقد رجعت عن الكفر بك . وها أنذا مستعد لأن أكون معهم . فماذا أفعل ؟ فقال له : ادخل دمشق . وقابل «حنانيا» وهو يقربك من أتباعى ويشهد لك بالصلاح . فدخل دمشق وقابله .

وكان يسوع قد ظهر فى حلم الليل لحنانيا ، وقال له : اذهب إلى جماعة من يهود سبط يهوذا ، ساكنين فى زقاق المستقيم ، فإنك ستجد فيه شاول . فخذه وقربه إلى أنصارى واشهد له بالصلاح .

فلما شهد له ووثقه حنانيا ، خدع النصارى وأضلهم بأن المسيح الذى كان ينتظره اليهود هو يسوع . وما كنا له بعارفين .

وقد كذب بولس فى هذا القول . وذلك لأن نبوءة «النبى المنتظر» فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . فيها أن الآتى سيكون مماثلا لموسى . وفى التوراة أنه لن يظهر مماثل لموسى فى بنى إسرائيل . وعيسى من بنى إسرائيل ؛ فلا يكون هو النبى المسيح .

وقد كرر المحقق نفس كلامه السابق . وزاد عليه : أن علماء الأديان يقولون عن بولس : «إنه نقل المسيحية من ديانة محلية خاصة باليهود إلى ديانة

عالمية ، لجميع الأمم»[1]

والحق : أن المسيحية لم تكن ديانة محلية خاصة باليهود ، ولم تكن اليهودية أيضا ديانة محلية خاصة باليهود . وذلك لأن المسيح لم يكن صاحب ديانة يريد أن يقرها فى اليهود أو فى غير اليهود ، أو فيهم وفى الأمم . إنه لم يكن صاحب ديانة . فقد كان مقرا لديانة موسى ومثبتا لها .وإنما كان صاحب خبر .وصاحب الخبر الذى يريد إذاعته ، لايفرق بين سامع وسامع . والخبر هو : أن محمدا رسول الله سوف يأتى من بعده . ومحمد دينه مغاير لدين موسى ، ودينه عام لجميع أمم الأرض . فإذاعة الخبر بمجيئه تتطلب إذاعته فى جميع أمم الأرض . وهذا هو معنى الإنجيل . فمعناه هو البشرى بخبر سار . وكان اليهود يذيعون بين الناس أنهم ينتظرون نبيا ، ليحررهم من ذل الأجانب ، وليخلصهم من الهوان . فبشرهم المسيح بمقدمه . ولما بشرهم به فرحوا به واستبشروا . ولكن لما عرَّفهم بأنه سيأتى من بنى إسماعيل . أرادوا قتله . ومن أجل ذلك أمر حوارييه بأن ينطلقوا إلى الأمم ، ليذيعوا هذا الخبر السار . وهذا هو معنى قوله عليه السلام لهم : «اذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» [مرقس ١٦:١٥]

وبولس جعلها عالمية كما قال المسيح . ولكنه لم يجعلها بالخبر كما قال المسيح ، بل جعلها بديانة منفصلة عن ديانة موسى ، وشوَّش على الخبر . فالمسيح قال : «ما جئت لأنقض الناموس» [متى ٥:١٧] وقال عن محمد ﷺ : «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ؛ وأنا أطلب من الآب ، فيعطيكم مُعزياً[2] آخر ؛ ليمكث معكم إلى الأبد» [يو ١٤:١٥-١٦] وبولس قال : «فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت . التى هى ظل الأمور العتيدة ، وأما الجسد فللمسيح . لايخسركم أحدُ الجعالة ، راغبا فى التواضع وعبادة الملائكة ، متداخلا فى مالم ينظره ، منتفخا باطلا من قبل ذهنه الجسدى ، غير متمسك بالرأس الذى منه كل الجسد بمفاصل وربط ، متوازرا ومقترنا ينمو نموا من الله . إذًا إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم ؛ فلماذا كأنكم عائشون فى العالم ، تفرض عليكم فرائض . لاتمس

---

(١) ص ٦٨ بين الإسلام والمسيحية .

(٢) أحمد = periklytos .

ولاتذق ولاتجس ...الخ» [كولوسّى ٢:١٦-]

وديانة اليهود من موسى عليه السلام إلى سبى بابل كانت لليهود وللأمم . واليهود هم الذين حرفوها وجعلوها خاصة لهم من دون الناس . والدليل على عمومها إلى أن تنسخ على يد محمد ﷺ : هو أن الله تعالى عاهد إبراهيم بعهد ، وهو أن يسير أمامه فى الدعاء إليه ، لا إلى آلهة أخرى ، وأن يكون قدوة فى فعل الخيرات . وفى مقابل ذلك يبارك الله جميع أمم الأرض فى نسله ويكون منهم ملوك على الأمم ، وأئمة يعلمون أحكام الله . وقد سار إبراهيم أمام الله وكان ﴿**أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه**﴾[1] وجاهد بسيفه ورمحه وغلمانه ، عباد الأوثان ، ونزع من قلوب الناس حب الأوثان . وبمثل مافعل ، فعل بنو إسحق من بعده . فقد دعا موسى عليه السلام أهل مصر للدخول فى الإسلام على وفق التوراة ، وحارب أهل سيناء ، لنفس الغرض ، وقال لبنى إسرائيل : ﴿**ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم**﴾[2] إلى مجىء محمد ﷺ وقد دخلوها فى زمان طالوت وداود عليهما السلام ، وأسلم الناس على أيديهما على وفق التوراة . وسليمان عليه السلام دعا إلى الله ملكة سبأ وهددها بالحرب إن لم تسلم – وهى ليست يهودية – و ﴿**قالت : رب إنى ظلمت نفسى ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**﴾[3]

وبولس أرجع اليهود إلى الأصل . أرجعهم إلى ماقبل سبى بابل . ولكن على مالم يأذن به الله .

وفى مقامع هامات الصلبان : شبهة على المسلمين أوردها القس بقوله : وكتب فى كتابكم : ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله . فيقتلون ويُقتلون . وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن**﴾[4] وليس فى التوراة هذا الوعد .

وقد علق الأستاذ الدكتور المحقق بأن موسى عليه السلام قد حارب ،

---

(١) النحل ١٢٠ – ١٢١ (٢) المائدة ٢١ .
(٣) النمل : ٤٤ . (٤) التوبة : ١١١ .

وبأن الإنجيل متناقض فى هذا الوعد . هذا هو ما علَّق به . وعندنا : أن نص الوعد مذكور فى التوراة . فى العهد المبرم بين الله وبين إبراهيم فى السير أمامه . والإنجيل غير متناقض فى هذا الوعد ؛ فإن المسيح لم ينسخ أى حكم من أحكام التوراة . وقد قال لهم : «من له كيس فليأخذه ومزود كذلك . ومن ليس له فليبيع ثوبا ويشتر سيفا» [لوقا ٢٢:٣٦]

وقال القسيس : إن القرآن يقول : إن مريم ابنة عمران ، وأنها أخت هرون . وليست أم المسيح بأخت هرون ولا بابنة عمران .

وقال المحقق : إن الأقرب هو أنه كان لها أخ يسمى هرون من صلحاء بنى إسرائيل . فذكرت به . وقال : لقد عرف فى التاريخ رجلان باسم عمران : عمران والد موسى وهرون ، وعمران بن ماثان والد مريم . وكان من نسل سليمان بن داود وهم من سبط يهوذا . وهو المذكور فى آية آل عمران . فتكون مريم بنت عمران بن ماثان . وقد جانبه الصواب فى الرد على القسيس ، فى الموضعين . فإن مريم منسوبة إلى عمران رئيس العائلة . ومضافة إلى هرون عليه السلام لأنها كانت من ذريته . وهرون من سبط لاوى . وعمران بن ماثان من ابتداع المفسرين . وليس له سند تاريخى . فالسند التاريخى : هو أن الأب المباشر لمريم : يواخيم ويترجم يهوياقيم . وأمها حنَّة . والقرآن ينسبها إلى الجد الأعلى . وقد أشار إلى ذلك كتاب الفصل فى الملل والآراء والنحل . وفى كتابنا «يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية» وغيره توضيح وبيان .

وبولس هو الذى غير نسب عيسى من هرون إلى داود . لأن اليهود العبرانيين يزعمون أن المسيح المنتظر ، سيكون من سبط يهوذا ، من نسل داود . فغير نسبه ، ليقول : إنه هو المسيح الموعود به ، ولامسيح غيره إلى يوم الدين .

ويقول محقق الكتاب : إن التوراة خلت من ذكر يوم القيامة ، وأن ماورد فى أسفار الأنبياء عن يوم القيامة . فهو مما اقتبسه اليهود عن أتباع زرادشت . يقول : «وإذا تصفحنا الأسفار التى عاش مؤلفها بعد فترة الأسر ، حيث اتصل

اليهود بالإيرانيين ، اتباع زرادشت ؛ نجد فيها إشارات إلى الحياة الأخرى بما فيها من ثواب وعقاب . إشعياء ٤٠ : ٦٦ حزقيال ٤٦ : ٤٨»[1] واعلم : أن ٤٠ فى إشعياء ينتهى برقم ٣٠ و ٤٦ فى حزقيال ينتهى برقم ٢٤ وبغض النظر عن هذا ؛ فإن النص عن يوم القيامة واضح فى التوراة السامرية ، ومحتمل لجزاء فى الدنيا أو فى الأخرى فى التوراة العبرانية . وما ظُن أنه من إشعياء يشير إلى القيامة عنده وعند «الدكتور حسن ظاظا» تبين أنه يشير إلى رجوع اليهود من سبى بابل .

وعلماء بنى إسرائيل يصرحون فى التلمود وفى كتب تفسير التوراة بأن الجزاء الأخروى للجسد وللروح معا . ولكن بولس قد جعله للروح فقط . وعلى هذا يسير النصارى فى معتقدهم عن البعث . كما هو مبين فى الأصحاح الخامس عشر من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس .

الصلب والفداء

أما عن صلب المسيح لفداء العالم من الخطايا . فاعلم :

١ – أن التوراة تصرح بأن الله قد خلق الإنسان حرا ، كما يقول المعتزلة .

٢ – وبولس هو الذى قال بالجبر .

٣ – وعيسى عليه السلام صرح بأن الله قد خلق الإنسان حرا .

٤ – والتوراة تصرح بأن كل إنسان مسؤول عن أعماله .

٥ – والإنجيل يصرح بأن كل إنسان مسؤول عن أعماله .

وعلى ذلك كله . كيف يُعقل الصلبُ لِلْفداء ؟

يقول عيسى عليه السلام : «أما كون الإنسان حرا . فواضح من كتاب موسى ؛ لأن إلهنا عندما أعطى الشريعة على جبل سيناء ، قال هكذا : ليست وصيتى فى السماء لكى تتخذ لك عذرا قائلا : من يذهب ليحضر لنا وصية الله ؟ ومن ياترى يعطينا قوة لنحفظها ؟ ولا هى وراء البحر ، لكن تَعِدَ

(١) ص ١١٠ بين الإسلام والمسيحية وص ١٠٩

نفسك – كما تقدم – بل وصيتي قريبة من قلبك ، حتى تحفظها متى شئت .
قولوا لى : لو أمر هيرودس شيخا أن يعود يافعا ، ومريضا أن يعود صحيحا .
ثم إذا هما لم يفعلا ذلك ، أمر بقتلهما ؛ أفيكون هذا عدلا ؟ أجاب التلاميذ :
لو أمر هيرودس بهذا ، لكان أعظم ظالم وكافر .

حينئذ تنهد يسوع وقال : أيها الأخوة ماهذا إلا ثمار التقاليد البشرية ؛ لأنه بقولهما : إن الله قدر فقضى على المنبوذ بطريقة لايمكنه معها أن يصير مختاراً ، يجدفون على الله كأنه طاغ وظالم ؛ لأنه يأمر الخاطىء أن لايخطىء وإذا أخطأ أن يتوب . على أن هذا القدر ينزع من الخاطىء القدرة على ترك الخطيئة ، فيسلبه التوبة بالمرة» [برنابا ١٦٤:١٣-٢٢] .

وهذا هو نص التوراة الذى استدل به المسيح عليه السلام :

«إن هذه الوصية التى أُوصيك بها اليوم ، ليست عسرة عليك ولابعيدة منك . ليست هى فى السماء حتى تقول : مَنْ يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها ، لنعمل بها . ولاهى فى عبر البحر حتى تقول : من يعبر لأجلنا البحر ويأخذنا لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها . بل الكلمة قريبة منك جدا فى فمك وفى قلبك ، لتعمل بها» [تثنية ٣٠:١١-١٤]

وفى إنجيل متى يقول عيسى عليه السلام : «فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها ؛ أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ؛ فنزل المطر وجاءت الأنهار ، وهبت الرياح ، ووقعت على ذلك البيت ، فلم يسقط ؛ لأنه كان مؤسسا على الصخر» [متى ٧:٢٤-٢٥]

وبولس قال بالجبر وصرح به ، وفسر نص التوراة الذى استدل به المسيح ، تفسيرا ملتويا . فقال : «لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن به . لأن موسى يكتب فى البر الذى بالناموس : إن الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها . وأما البرُّ الذى بالإيمان . فيقول هكذا : لاتقل فى قلبك من يصعد إلى السماء . أى ليحدر المسيح . أو من يهبط إلى الهاوية . أى ليصعد المسيح من الأموات . لكن ماذا يقول : الكلمة قريبة منك فى فمك وفى قلبك . أى كلمة الإيمان التى نكرز بها . لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع ، وآمنت بقلبك : أن الله أقامه من الأموات : خلصت» [رومية ١٠:٤-٩]

يريد أن يقول : إن الإيمان بالمسيح ربا مصلوبا يكفى فى دخول الجنة . وليس من فائدة من العمل الصالح لاعلى شريعة موسى ولا على وصايا المسيح . وهذا مضاد لفكر المسيح نفسه ؛ فإنه قد جعل مدار النجاة فى الآخرة على الإيمان والأعمال معا .

□★□★□

الفصل الرابع

تعزية إسرائيل

إن الله تعالى لم يجعل بركة إسحق عليه السلام إلى يوم القيامة ، وإنما جعلها إلى حين مجيء محمد ﷺ حامل بركة إسماعيل عليه السلام . وذلك لأن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام : «سِرْ أمامي وكن كاملا فأجعل عهدى بينى وبينك وأُكثرك كثيرا جدا» [تك ١٧:١-٢] أى امشى فى الناس بالدعوة إلىَّ وعرفهم بشرائعى وأحكامى فيهم . وجاهد بالسيف فى سبيلى ثم حدد نسله الذى سيسير بالدعوة من بعده فقال :

أ - «وقال الله لإبراهيم : ساراى امرأتك لاتدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارة . وأباركها . وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أمما . وملوك شعوب منها يكونون» [تك ١٧:١٥-١٦]

ب - «وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله ... وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة» [تك ١٧:١٨-٢٠]

فالعهد بين الله تعالى وبين إبراهيم هو :

١ - فى الدعوة إلى الله تعالى بالكلمة وبالسيف

٢ - وفى القدوة الحسنة .

٣ - وأن وارث إبراهيم فى الدعوة هو نسل إسحق وإسماعيل .

٤ - وأن إسماعيل مثل أبيه فى الدعوة والعهد ؛ لقوله عنه : « ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا» ولقوله عن إبراهيم : «وأكثرك كثيرا جدا»

والبركة هى أ - الملك ب - والنبوة .

وقد بدأت البركة فى بنى إسحق من موسى عليه السلام ؛ فإنه أخرج

بنى إسرائيل من مصر ، ووحّدهم ، وترأس عليهم . ونزلت عليه التوراة . ودعا الأمم وجاهد فى سبيل الله . وملك بنو إسرائيل على الأمم ، وورثوا أرض الكافرين . كما حكى الله عنهم فى القرآن الكريم : **﴿وإذ قال موسى لقومه : ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم . إذ جعل فيكم أنبياء ، وجعلكم ملوكا ، وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين﴾**(١) وكان كل نبى من بعد موسى ، على شريعة موسى لا ينقضها ولا ينسخها . وظلوا فى الأمم غالبين مرة ومغلوبين مرة ، إلى أن تمت أيام بركة إسحق عليه السلام .

وقد دعا إسحق بعد أبيه إبراهيم إلى الله . وأكد الله له وعده لإبراهيم بأن يورثه مشارق الأرض ومغاربها ، إذا سار أمامه فى الدعوة وكان قدوة . فقال له : «تغرب فى هذه البلاد ، فأكون معك وأباركك ؛ لأنى لك ولنسلك أُعطى جميع هذه البلاد ، وأفى بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم أبيك . وأكثر نسلك كنجوم السماء ، وأعطى نسلك جميع هذه البلاد ، وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أن إبراهيم سمع لقولى ، وحفظ ما يُحفظ لى : أوامرى وفرائضى وشرائعى» [تك ٢٦:٣-٥]

وكان إسحق يدعو إلى الله ويبنى دور العبادة فى كل مكان تطؤه قدماه - ودار العبادة تسمى بالمذبح - ففى سفر التكوين : «ثم صعد من هناك إلى بئر سبع . فظهر له الرب(٢) فى تلك الليلة . وقال : أنا إله إبراهيم أبيك . لاتخف . لأنى معك وأباركك وأكثر نسلك ، من أجل إبراهيم عبدى . فبنى هناك مذبحا ، ودعا باسم الرب» [تك ٢٦:٢٣-٢٥]

ثم بارك إسحق ابنه يعقوب ، لاعيسُو . بقوله : «فليعطك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمر . ليُستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيدا لإخوتك وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنك ملعونين ، ومباركوك مباركين» [تك ٢٧:٢٨-٢٩] وأكد على بركته بقوله : «والله القدير يباركك ويجعلك مثمرا ويكثرك ، فتكون جمهورا من الشعوب ، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك» [تك ٢٨:٣-٤]

---

(١) المائدة ٢٠ .
(٢) ملاك الرب .

فأصبح المقابل لإسماعيل فى البركة من آل إسحق : هو يعقوب – المسمى أيضا بإسرائيل – وكان لإسماعيل اثنا عشر ولدا . منهم قيدار الذى جاء منه محمد ﷺ . وقد دلت التوراة على مجيء نبى من بعد موسى من إخوة بنى إسرائيل ، له يسمع بنو إسرائيل ويطيعون . وهذا النبى هو محمد ﷺ لتبدأ من ظهوره بركة إسماعيل ، ولتنتهى من ظهوره بركة إسحق التى يحملها بنو إسرائيل من موسى عليه السلام .

ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية :

«يُقيم لك الرب إلهك نبيا . من وسطك . من إخوتك . مثلى . له تسمعون . حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب ، يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا ؛ لئلا أموت . قال لى الرب : قد أحسنوا فى ماتكلموا .

أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك . وأجعل كلامى فى فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى . أنا أطالبه . وأما النبى الذى يُطغى ، فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى . فيموت ذلك النبى .

وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى . فلا تخف منه» [تثنية ١٨:١٥-٢٢]

وهذا النبى الآتى :

أ – **يطلق عليه اليهود والنصارى لقب «المسيا المنتظر» أو لقب «المسيح الرئيس»**(١)

ب – **ويقول اليهود : إنه إلى اليوم لم يظهر .**

ج – **ويقول النصارى : إنه عيسى بن مريم عليه السلام .**

ويقول المسلمون كلهم : إنه محمد ﷺ

---

(١) راجع كتاب المسيا المنتظر نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .

د – ودلالة هذه النبوءة على محمد ﷺ واضحة تمام الوضوح . فإن بنى إسماعيل إخوة لبنى إسحق ، لقوله عن إسماعيل : «وإمام جميع إخوته يسكن» [تك ١٦:١٢]

ولقوله : «لن يقوم فى بنى إسرائيل مثل موسى» [تث ٣٤:١٠] ومن أوصاف النبى الآتى أن يكون مثل موسى .

فالمسيا المنتظر هو محمد ﷺ بلغة أهل الكتاب .

فانظر الآن بعد هذا التمهيد . فى تعزيـة بنى إسرائيل .

إنهم على وشك مُلك سيضيع قريبا ، وشريعة ستنسخ قريبا . ذلك لأن دانيال النبى فى الأصحاح التاسع من سفره قد حدد سبعين أسبوعاً لانتهاء أ – الملك ب – والشريعة فى بنى إسرائيل . وأيضا فى الأصحاح الثانى والسابع قد حدد زوال الملك ونسخ الشريعة بعد المملكة الرابعة . وهى مملكة الرومان . فمن هو المعزى لهم فيما يضيع منهم ؟ إن النبى الآتى من بنى إسماعيل سيكون هو المعزى لهم فى ضياع ملكهم ونبوتهم . ولذلك كانوا يسمون سنوات مجيئه بسنوات التعزية .

ففى الأصحاح الخامس عشر من مرقس عن يوسف الذى من الرامة : «كان هو أيضا منتظرا ملكوت الله » [مر ١٥ : ٤٣]

وفى الأصحاح الثانى من إنجيل لوقا : «وكان رجل فى أورشليم اسمه سِمعان .وهذا الرجل كان بارا تقيا ، ينتظر تعزية إسرائيل» [لو ٢ : ٢٥] أى ينتظر المسيا ، مسيح الرب .

وفى سفر إشعياء أن الله سيعزى بنى إسرائيل ، بمعنى أنه سيعيد إليهم فرحهم بمجدهم الضائع منهم . ففى الأصحاح السادس والستين : «لأنه هكذا قال الرب : ها أنذا أدير عليها سلاما كنهر ، ومجد الأمم كسيل جارف ، فترضعون ، وعلى الأيدى تُحملون ، وعلى الركبتين تدللون . كإنسان تعزيه أمه . هكذا أعزيكم أنا ، وفى أورشليم تُعزوْن» [إش ٦٦ : ١٢-١٣]

وفى الأصحاح الخامس عشر من سفر أعمال الرسل : أن تلاميذ المسيح أرسلوا رسالة إلى «أنطاكية» فلما وصلت الرسالة إلى أصحابها وقرأوها «فرحوا

لسبب التعزية» [أع ١٥ : ٣١]

وفى إنجيل يوحنا تجد مُعزيِّين ، أحدهما عيسى عليه السلام ، وثانيهما محمد ﷺ

ففى الأصحاح الرابع عشر يتحدث عيسى عليه السلام عن نبى الإسلام فيقول : **«إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب ، فيعطيكم معزيا آخر ، يمكث معكم إلى الأبد»** [يو ١٤ : ١٥-١٦] قوله «آخر» يدل على أول . أى أن المسيح يقول : أنا الآن أعزيكم . وسيأتى من بعدى من يعزيكم أيضا . فالمعزى الأول ليس هو المعزى الثانى . وإذا كان المعزى الثانى إنسانا ، فإن الأول يكون إنسانا مثله . فلماذا يقول النصارى بألوهية المسيح وهو مُعَزٍّ مثل آخر سيأتى من بعده ؟

والمعزى ترجمة كلمة «بَاراكليت» بفتح الباء . ومعناها : الآتى عوضا عن المسيح ، ليعزى بنى إسرائيل فى ضياع ملكهم ونبوتهم . أى فى انتهاء بركة إسحق عليه السلام . وكلمة «بِيراكْليت» بكسر الباء . كلمة عبرانية ترجمتها «أحمد» وهو فى اليونانية «بِيراكْليتوس» والنصارى ينطقونها بفتح الباء . وحذفوها من التراجم العربية للإنجيل ، ووضعوا بدلها «المعزى»

والمعزى عندهم هو الإله الثالث فى الثالوث المقدس . ويقولون : إنه نزل فى يوم الخمسين ، وغيَّر ألسنة التلاميذ إلى ألسنة الأقوام التى سيسيرون إليها للدعوة إلى اقتراب ملكوت السموات . ومن يقرأ النص كله لايصدقهم فيما قالوا . وذلك لأن من أوصافه أن يعلمهم ويذكرهم بكل ما قاله لهم المسيح .

والروح لما نزل فى يوم الخمسين لم يتكلم بكلمة واحدة . ومن يقرأ التوراة يجد فيها : أن الله لاشريك له فى الملك ، وليس كمثله شيء . ومن يقرأ الإنجيل يجد فيه ذلك أيضا . فضلا عن ذلك فعلامات تأسيس ملكوت السموات لم تكن قد ظهرت . فالحروب بين الأمم لم تقم ، والإنجيل لم ينتشر بعد ، ولم يظهر مسحاء كذبة ، ولم تقع زلازل ولابراكين ولم ينقض الهيكل ، ولم تحدث اضطهادات لتلاميذ المسيح ، ولم يقفوا بين الولاة والحكام ... إلى آخر العلامات المذكورة عن تأسيس الملكوت ومجيء ابن الإنسان .

وهذا هو النص على نزول الروح القدس فى يوم الخمسين :

«ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة . وصار بغتة من السماء صوت ، كما من هبوب ريح عاصفة ، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين . وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى ، كما أعطاهم الروح أن ينطقوا ... الخ» [أع ٢ : ١-]

المُعَزِّى هو المسِّيا :

والذى سيعزى بنى إسرائيل فى ضياع ملكهم ونبوتهم هو «المسيا» وقد بين عيسى عليه السلام أنه لن يكون من اليهود ، لأن داود نفسه دعاه بسيده . والابن لايكون سيدا لأبيه . وبين أنه سيكون من إسماعيل عليه السلام لنص التوراة على بركة له . وقد كان «المعزى» فى المؤتمر الذى عقد مع «البابا بانوا الثانى عشر» يُبحث على أنه من أسماء «المسيا»

وقد كان اليهود يخدعون العالم بأن النبى الآتى من نسل إسماعيل سيكون منهم ، وذلك بوضع ألقاب أنبيائهم عليه . وقد أزال عيسى عليه السلام خداعهم . فقد حكى عنه كتاب الأناجيل : أنه قال : إن المسيا لن يكون من نسل داود عليه السلام وحكى عنه بَرْنابا مانصه :

«ولما جاء النهار صعد يسوع إلى الهيكل مع جم غفير من الشعب . فاقترب منه رئيس الكهنة قائلا : قل لى يايسوع : أنسيت كل ما كنت قد اعترفت به من أنك لست الله ولا ابن الله ولامسيا ؟ أجاب يسوع : لا البتة لم أنس ؛ لأن هذا هو الاعتراف الذى أشهد به أمام كرسى دينونة الله فى يوم الدينونة لأن كل ماكتب فى كتاب موسى صحيح كل الصحة ؛ فإن الله خالقنا أحد ، وأنا عبد الله وأرغب فى خدمة رسول الله الذى تسمونه مسيا .

قال رئيس الكهنة : فما المراد إذاً من المجىء إلى الهيكل بهذا الجم الغفير ! لعلك تريد أن تجعل نفسك ملكا على إسرائيل ؟ احذر من أن يحل بك خطر . أجاب يسوع : لو طلبت مجدى ورغبت فى نصيبى فى هذا العالم ، لما هربت ،

لما أراد أهل نايين أن يجعلونى ملكا . حقا صدقنى أنى لست أطلب شيئا فى هذا العالم . حينئذ قال رئيس الكهنة : نحب أن نعرف شيئا عن مسيا . وحينئذ اجتمع الكهنة والكتبة والفريسيون نطاقا حول يسوع .

أجاب يسوع : ما هو ذلك الشىء الذى تريدون أن تعرفوه عن مسيا ؟ لعله الكذب . حقا إنى لا أقول لك الكذب ؛ لأنى لو كنت قلت الكذب ، لعبدتنى أنت والكتبة والفريسيون ، مع كل إسرائيل . ولكن تبغضوننى وتطلبون أن تقتلونى ؛ لأنى أقول لكم الحق . قال رئيس الكهنة : نعلم الآن أن وراء ظهرك شيطانا ؛ لأنك سامرى ولاتحترم كاهن الله . أجاب يسوع : لعمر الله ليس وراء ظهرى شيطان ولكن أطلب أن أخرج الشيطان فلهذا السبب يثير الشيطان على العالم . لأنى لست من هذا العالم ، بل أطلب أن يمجد الله الذى أرسلنى إلى العالم . فأصيخوا السمع لى أخبركم بمن وراء ظهره الشيطان . لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته إن من يعمل بحسب إرادة الشيطان ، فالشيطان وراء ظهره . وقد وضع عليه لجام إرادته ويديره أنَّى شاء ، حاملا إياه على الإسراع إلى كل إثم . كما أن اسم الثوب يختلف باختلاف صاحبه . وهو هو الثوب نفسه . هكذا البشر يختلفون على كونهم من مادة واحدة ، بسبب أعمال الذى يعمل فى الإنسان .

إذا كنت قد أخطأت ، كما أعلم ذلك ، فلماذا لم توبخونى كأخ بدلا من أن تبغضونى كعدو ؟ حقا إن أعضاء الجسد تتعاون متى كانت متحدة بالرأس ، وأن ما انفصل منها عن الرأس فلا يغيثه ؛ لأن يدى الجسد لاتشعران بألم رجلى جسد آخر ، بل برجلى الجسد الذى هى متحدة به . لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته : إن من يخاف ويحب الله خالقه ، يرحم من يرحمه الله ، الذى هو رأسه . ولما كان الله لايريد موت الخاطىء ، بل يمهل كل أحد للتوبة ، فلو كنتم من ذلك الجسد الذى أنا متحد فيه ، لكنتم لعمر الله تساعدوننى لأعمل بحسب مشيئة رأسى .

إذا كنت أفعل الإثم ، وبخونى يحببكم الله ؛ لأنكم تكونون عاملين بحسب إرادته ولكن إذا لم يقدر أحد أن يوبخنى على خطيئة فذلك دليل على أنكم لستم أبناء إبراهيم ، كما تدعون أنفسكم ، ولا أنتم متحدون بذلك الرأس الذى

كان إبراهيم متحدا به . لعمر الله إن ابراهيم أحب الله بحيث أنه لم يكتف بتحطيم الأصنام الباطلة تحطيما ، ولا بهجر أبيه وأمه ، ولكنه كان يريد أن يذبح ابنه طاعة لله .

أجاب رئيس الكهنة : إنما أسألك هذا ولا أطلب قتلك . فقل لنا : من كان ابن إبراهيم هذا ؟ أجاب يسوع : إن غيرة شرفك يا ألله تؤججنى ، ولا أقدر أن أسكت . الحق أقول : إن ابن إبراهم هو إسماعيل الذى يجب أن يأتى من سلالته مسيا ، الموعود به إبراهيم أن به تتبارك كل قبائل الأرض[1]

فلما سمع هذا رئيس الكهنة ، حنق وصرخ : لنرجم هذا الفاجر ؛ لأنه إسماعيلى وقد جدف على موسى وعلى شريعة الله . فأخذ من ثَمَّ كل من الكتبة والفريسيين مع شيوخ الشعب حجارة ، ليرجموا يسوع ، فاختفى عن أعينهم وخرج من الهيكل . ثم إنهم بسبب شدة رغبتهم فى قتل يسوع ، أعماهم الحنق والبغضاء ، فضرب بعضهم بعضا حتى مات ألف رجل ، ودنسوا الهيكل المقدس . أما التلاميذ والمؤمنون الذين رأوا يسوع خارجا من الهيكل لأنه لم يكن محتجبا عنهم . فتبعوه إلى بيت سمعان . فجاء من ثم نيقوديموس إلى هناك ، وأشار على يسوع أن يخرج من أورشليم ، إلى ماوراء جدول قدرون قائلا : ياسيد إن لى بستانا وبيتا وراء جدول قدرون ، فأضرع إليك إذاً أن تذهب إلى هناك مع بعض تلاميذك ، وأن تبقى هناك إلى أن يزول حقد الكهنة ؛ لأنى أقدم لك كل ما يلزم . وأنتم ياجمهور التلاميذ امكثوا هنا فى بيت سمعان وفى بيتى ؛ لأن الله يعول الجميع . ففعل يسوع هكذا ، ورغب فى أن يكون معه الذين دعوا أولا رسلا فقط» [برنابا ٢٠٦ - ٢٠٨]

علامات مجىء المُعزِّى :

سأنقل ههنا نص رواية مرقس . وهى :

«وفيما هو خارج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه : يامعلم . انظر ما هذه الحجارة وهذه الأبنية . فأجاب يسوع وقال له : أتنظر هذه الأبنية

---

(١) تكوين ١٨:٢٢ «ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت لقولى»

العظيمة . لايترك حجر على حجر لاينقض . وفيما هو جالس على جبل الزيتون تُجاه الهيكل ، سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس ، على انفراد : قل لنا : متى يكون هذا ؟ وما هي العلامة عندما يتم جميع هذا ؟ فأجابهم يسوع وابتدأ يقول : انظروا لايضلكم أحد . فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين إنى أنا هو ، ويُضلون كثيرين . فإذا سمعتم بحروب وبأخبار حروب فلا ترتاعوا . لأنها لابد أن تكون . ولكن ليس المنتهى بعد ؛ لأنه تقوم أمة على أمَّة ، ومملكة على مملكة ، وتكون زلازل فى أماكن ، وتكون مجاعات واضطرابات . هذه مبتدأ الأوجاع . فانظروا إلى نفوسكم . لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وتجلدون فى مجامع ، وتوقفون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم . وينبغى أن يُكْرَز أولا بالإنجيل فى جميع الأمم .

فمتى ساقوكم ليسلموكم ، فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا . بل مهما أعطيتم فى تلك الساعة فبذلك تكلموا . لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس . وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى . ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص .

فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة حيث لاينبغى . ليفهم القارىء . فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال ، والذى على السطح فلا ينزل إلى البيت ولايدخل ليأخذ من بيته شيئا . والذى فى الحقل فلا يرجع إلى الوراء ليأخذ ثوبه . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام . وصلُّوا لكى لايكون هربكم فى شتاء ؛ لأنه يكون فى تلك الأيام ضيق ، لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التى خلقها الله إلى الآن ولن يكون . ولو لم يُقصِّر الرب تلك الأيام لم يخلص جسد . ولكن لأجل المختارين الذين اختارهم قصَّر الأيام . حينئذ إن قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا أو هو ذا هناك ، فلا تصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات وعجائب . لكى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا . فانظروا أنتم . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شىء .

وأما فى تلك الأيام بعد ذلك الضيق . فالشمس تظلم والقمر لايعطى

ضوءه . ونجوم السماء تتساقط ، والقوات التي في السموات تتزعزع . **وحينئذ يبصرون ابن الإنسان** آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد . فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح ، من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء . فمن شجرة التين ، تعلموا المثل . متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقا ، تعلمون أن الصيف قريب . هكذا أنتم أيضا . متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ، فاعلموا : أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم : لايمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله . السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامى لايزول . وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن ، إلا الآب .

انظروا . اسهروا . وصلوا ؛ لأنكم لاتعلمون متى يكون الوقت .

كأنما إنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبيده السلطان ، ولكل واحد عمله ، وأوصى البواب أن يسهر . اسهروا إذاً . لأنكم لاتعلمون متى يأتى رب البيت . أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحا . لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياما . وما أقوله لكم أقوله للجميع . اسهروا» [مرقس ١٣]

البيـــان

إنه لما خرج من هيكل سليمان فى «القدس» – أورشليم – أراه تلاميذه أبنية الهيكل المزخرفة بالحجارة الحسنة وقالوا له : متى يهدم الهيكل ؟ يعنون متى تزال الشعائر والطقوس اليهودية ؟ على يد النبى الآتى المماثل لموسى عليه السلام متى يكون هذا ؟

فقال : إن هذا سيتم بعد حدوث علامات . منها :

١ – ظهور أنبياء كذبة ٢ – وقيام حروب بين الأمم ٣ –وحدوث زلازل ومجاعات واضطرابات ٤ –واضطهاد الأمم لتلاميذ المسيح وأتباعه ٥ – وانتشار الإنجيل فى جميع الأمم ٦ – وحدوث رجسة خراب فى أرض الهيكل – وهى مذكورة فى الأصحاح التاسع من سفر دانيال –

وفى وقت مجىء النبى الآتى المماثل لموسى عليه السلام سيدخل أصحابه

أرض الهيكل بقتال عنيف «وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام» وسيرحم الله الناس من القتال الشديد من أجل أصحاب النبى الآتى حتى لايهلك منهم كثيرون .

ثم وصف المسيح عليه السلام أيام القتال بين المسلمين وبين المدافعين عن أورشليم القدس بأنها ستكون أياماً عصيبة لاتطاق من شدة الهول . وعبر بعبارات مجازية تشبيهية هى كسوف الشمس وخسوف القمر . وحينئذ يبصرون «ابن الإنسان» الذى هو محمد ﷺ آتيا إلى القدس أورشليم – وأتباعه هم المرادون ههنا نيابة عنه . لأنهم الفاتحون للبلاد نيابة عنه – وإذ يأتى يأتى فى سحاب ، أى يأتى مرتفعا متعظما منصورا . بقوة كثيرة من الأصحاب الملائكة[1]. وإذ يدخلون المدينة المقدسة عندهم ، يرسلون بالأمان إلى المختبئين فى الأديرة والكهوف من اضطهاد اليهود والرومان . يرسلون بالأمان فيجمعون مختارى الله من جهات الأرض الأربع الأصلية – أى من كل مكان – وضرب مثلا بشجرة التين . وشبه مجىء ابن الإنسان بثمرها ، وعلاماته بورقها . أى أنه إذا ظهرت الأوراق فى الشجرة تعلمون أن الثمر سيظهر . ويعلمون أيضا من الثمر أنهم فى فصل الصيف . وكذلك إذا تمت العلامات وتمت أسابيع رجسة الخراب التى عبر عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس ؛ يعرفون أن محمدا يأتى .

وعبر المسيح عن قرب ظهور ابن الإنسان بقوله إنه قريب على الأبواب . وأكد على مجيئه بقوله « السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لايزول »

وقال : إنه لا يعلم الغيب إلا الله وحده . وملائكة السماء لاتعلمه ، والنبى الآتى ﷺ المعبر عنه ههنا بالابن ، لايعلمه أيضاً . ثم حث المسيح أتباعه على النظر فى الإنجيل . لئلا يغفلوا عن علامات ابن الإنسان وأوصافه ، فإنهم إذا غفلوا ، لايفرقون بين النبى الحقيقى وأدعياء النبوة . وإذا ساروا مع من يجهلونه ، فإنهم يهلكون «وما أقوله لكم أقوله للجميع» إلى يوم ظهوره .

فسنوات التعزية متى تكون ؟

هل تكون بعد رفع المسيح إلى السماء بأربعين يوما ، أو بعشرة أيام ،

(١) عبر عن الأصحاب بالملائكة لشبههم بهم فى الطهر والصلاح .

أو بخمسين يوما أو بمائة عام ، أو فى عيد الحصاد ؟ إن النصارى يزعمون :
١ – أن المسيح بعد حادثة الصلب ، ظهر أربعين يوما لتلاميذه .
٢ – ثم قال لهم لاتبرحوا من أورشليم حتى ينزل من يعزيكم .
٣ – ثم فى عيد الحصاد الذى يلى عيد الفصح بخمسين يوما ، نزل «المعزى الروح القدس» من السماء على التلاميذ ، وبلبل ألسنتهم وابتدأ يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا . وهذا كله مبين فى أول سفر أعمال الرسل .

فهل يجوز لأحد أن يصدق زعمهم هذا فى معنى سنوات التعزية ؟

إن سنوات التعزية هى سنوات ظهور المسيا صاحب ملكوت السموات – وهذا شيء متفق عليه بين أهل الكتاب – وكيف يترك عيسى الدنيا ثم ينزل بعد عشرة أيام ليعزى ويقيم مملكة لاتنقرض أبدا ؟ لقد كان موجودا ولم يعزى . وإلى الآن لم يظهر للتعزية . وفى مدة الأيام العشرة لم تقع علامة من العلامات التى أخبر عن وقوعها . فلماذا يزعمون أنه هو المسيا والسنوات ليست سنينه ؟ فضلا عن ذلك . فإن عيسى نفسه لم يصرح بأنه هو المسيا . فإن بطرس لما قال له : أنت المسيح «انتهرهم كى لايقولوا لأحد عنه» [مرقس ٨ :٣٠] كيف ينتهرهم إذا كان هو؟ وما فائدة نبوته إذا كان لم يعلن عن نفسه ؟

ثم انظر ماذا قال بعدُ ؟ لقد قال : «إن من استحى بى وبكلامى فى هذا الجيل الفاسق الخاطىء ؛ فإن ابن الإنسان يستحى به ، متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين . وقال لهم : الحق أقول لكم : إن من القيام ههنا قوما لايذوقون الموت ، حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة » [مرقس ٨ : ٣٨ –]

يقول : من صعُب عليه إظهار صدق كلامى بسبب الخوف من اليهود الفاسقين الخاطئين ؛ فإنه إذ يصعب عليه الإيمان بالنبى الآتى ، سيكون مرذولا ومحتقرا فى ملكوت السموات . ملكوت ابن الإنسان المؤيد من الله . فإنه إذا ظهر بصحبة أتباعه القديسين الصالحين ، الشبيهين بالملائكة فى الطهر والصلاح ، سيميز الأشرار ويهلكهم . ثم عبر عيسى عليه السلام عن قرب

ظهور ملكوت السموات بكلام إنشائى جميل ، يدل بطريق الكناية عن قرب زمانه . وهو أن الجيل المعاصر سيدرك يومه . وهو لايقصد الجيل المعاصر له . فإن سنوات أسابيع دانيال لاتتم فيه ، وإنما يقصد الكناية عن قرب زمانه . على طريقة بنى إسرائيل فى التعبير عن المعانى .

سَنَةُ الـرب المقبولـة

وقد كتب علماءُ بنى إسرائيل فى أسفار الأنبياء نبوءاتٍ عن «المَسِيَّا المنتظر» Messiah ووصفوه بالصفات التى وصفه بها موسى عليه السلام . وكتبوا عن أُمَّته : «أنهم نسلٌ باركه الرب» أو «إنهم ذرية باركها الرب» وكتبوا أن أمته ستأكل «ثروة الأمم» وسيكونون «ملوكا» على الشعوب . وكل إنسان على ملّته سيكون «كاهن الرب» عوضا عن بنى إسرائيل ، الذين كانت الكهانة – أى الإمامة فى الدين – محصورة فى اللاويين فقط .

وعلماء بنى إسرائيل يعنون بما كتبوا : نسل إسماعيل المبارك فيه ، ولكنهم لا يكتبون فى أول النبوءة أىّ نص عن إسماعيل . فلذلك يظن الأُمّيون : أن المسيا قد يكون من اليهود ، وأنه سيأتى لمساكين صهيون .

وقد أرسل الله تعالى عيسى عليه السلام ليشرح للعلماء وللأميين من بنى إسرائيل : نصوص النبوءات التى كتبها أسلافهم عن المسيا . شرحاً حسنا على وجهها الصحيح فشرحها وبيَّن انطباقها على محمد ﷺ ومحرفو الأناجيل من بعده ، عملوا على ضد ما شرح وبين . فقالوا وكتبوا : إن النبوءات فى التوراة وأسفار الأنبياء ، كان المسيح يطبقها على نفسه ، لا على محمد ﷺ

ومثال ذلك :

يقول إشَعياء فى الأَصحاح الحادى والستين من سفره نبوءة عن المَسِيا : « روح السيد الرب علىَّ ؛ لأن الرب مسحنى لأُبشر المساكين . أرسلنى لأعصب مُنكسرى القلب ، لأُنادى للمسبيِّين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق . لأُنادىَ بِسَنَةٍ مقبولة للرب ، وبيوم انتقام لإلهنا . لأُعزِّىَ كل النائحين ، لأجعل لنائحى صِهْيَوْن ، لأعطيهم جمالا ، عوضا عن الرماد ، ودهن فرح عوضا عن النوح ، ورداء تسبيح عوضا عن الروح اليائسة ،

فيُدعْون أشجار البرِّ ، غرس الرب ، للتمجيد .

ويبنون الخرب القديمة ، يقيمون المُوحشات الأُوَل ، ويُجدِّدون المدن الخربة ، مُوحشات دوْر فدور . ويقفُ الأجانب ، ويرعوْن غنمكم ، ويكون بنو الغريب حرَّاثيكم وكراميكم . أما أنتم فتُدعون كهنة الرب ، تُسمَّوْن خدَّام إلهنا . تأكلون ثروة الأمم ، وعلى مجدهم تتأمَّرون .

عوضا عن خزيكم : ضِعفان . وعوضاً عن الخجل يبتهجون بنصيبهم . لذلك يرثون فى أرضهم ضعفين . بهجةٌ أبدية تكون لهم . لأنى أنا الرب مُحب العدل ، مبغض المختلس بالظلم . وأجعل أجرتهم أمينة ، وأقطع لهم عهدا أبدياً ، ويُعرف بين الأمم نسلهم وذريتهم فى وسط الشعوب . كل الذين يروْنهم ، يعرفونهم : أنهم نسل باركه الرب .

فرحاً أفرح بالرب . تبتهج نفسى بإلهى ؛ لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص . كسانى رداء البِرِّ . مثل عريس يتزيَّن بعمامة ، ومثل عروس تتزين بحليها . لأنه كما أن الأرضَ تُخرجُ نباتها ، وكما أن الجنة تُنبت مزروعاتها ؛ هكذا السيد الرب يُنبت بِرًّا وتسبيحا أمام كل الأمم» [إش ٦١ : ١ - ١١]

ذلك النص يدل على المسيا المنتظر . وهو سيأتى من إسماعيل عليه السلام وذلك لقوله : «يرثون فى أرضهم ضعفين» فإن الابن البكر فى شريعة موسى يرث من الأب ضعفىْ نصيب غير البكر [تث ٢١ : ١٧] وإسماعيل وارث للبركة ، وأيضاً : هو بكر إبراهيم . ولقوله : «إنهم نسل باركه الرب» والبركة تُفسَّر بالملك وبالنبوة .

ومحرفو الإنجيل كتبوا فى إنجيل لوقا : أن عيسى عليه السلام دخل فى يوم السبت مجمعا لليهود فى مدينة «الناصرة» وقرأ عليهم نبوءة إشعياء هذه عن المسيا ، وطبقها على نفسه . والسامعون لم يصدقوا قوله .

ففى الأصحاح الرابع : «وجاء إلى الناصرة ، حيث كان قد تربَّى . ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت ، وقام ليقرأ . فدُفع إليه سفر إشَعياء النبى . ولما فتح السفر ، وجد الموضع الذى كان مكتوبا فيه : رُوحُ الرب علىَّ . لأنه مسحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب ، لأنادى للمأسورين بالإطلاق ، وللعمى بالبصر ، وأرسل المنسحقين فى الحرية ، وأكْرِز بِسنَة الرب المقبولة . ثم طوى السِّفر وسلمه إلى الخادم ، وجميع الذين فى المجمع

كانت عيونهم شاخصة إليه . فابتدأ يقول لهم : إنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم» [لو ٤ : ١٦ - ٢١]

وقال مَرْقس عن السامعين : إنهم « إذ سمعوا ، بُهتوا ، قائلين : من أين لهذا هذه ؟ وما هذه الحكمة التى أُعطيتْ له ، حتى تجرى على يديه قوَّات مثل هذه ؟ أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويُوسِى ويهوذا وسِمعان ؟ أو ليست أخواته ههنا عندنا ؟» [مر ٦ : ٢ - ٣]

وموضع التحريف فى هذا النص : هو أنهم يريدون أن يقولوا : إن سَنَة الرب المقبولة هى سنة مجىء المسيا ، وأنه هو يسوع الذى يُدعى المسيح . وأنه هو الذى سيُعَزِّى كل النائحين على فقدان العدل . أما قولهم : إنها هى سنة مجىء المسيا فقول صحيح ، وأما أنه هو يسوع فقول باطل :

أولاً : لأن المسيح لم يكن من اليهود السامريين ، حتى يسكن فى « الناصرة» ويتربَّى فيها . وإنما كان من اليهود العِبرانيين ، الساكنين فى « يُوطاة» بالقرب من مدينة الخليل ، المسماة سابقا بـ «حَبْرون» وقد وضحنا هذا فى كتابنا «يوحنا المعمدان»

وثانيا : إن سنة الرب المقبولة ، حددها دانيآل بأنها تكون بعد سبعين أسبوعاً من وقت خراب أورشليم على يد الرومان . وقد خربها أدريانوس سنة ١٣٢ بعد الميلاد .

وثالثاً : إن المسيا سيكون محارباً ومنتصراً ، والمسيح لم يكن ، لا محاربا ولا منتصراً .

ورابعاً : قولهم : « أليس هذا هو النجار» ؟ يدل على أن المسيح كان نجاراً . وهذا باطل ؛ لأنه كان فى الهيكل مع المعلمين يسمعهم ويسألهم . كما قال لوقا .

ونذكر ههنا من مواضع النقد الأربعة ، الموضع الثانى . لبيان السنة المقبولة التى ستتم فيها تعزية بنى إسرائيل عن ضياع ملكهم ونبوتهم . هل هى سنة يسوع ، أم سنة محمد - عليهما السلام -؟

يقول دانيآل : «سبعون أسبوعاً ، قُضيتْ على شعبك وعلى مدينتك المقدسة ؛ لتكميل المعصية ، وتتميم الخطايا ، ولكفارة الإثم ، وليُؤتى بالبرِّ الأبدى ، ولختم الرؤيا والنبوة ، ولمسح قدوس القدوسين» [دا ٩ : ٢٤]

والأسبوع فى لسانهم سبع سنين ٧٠ × ٧ = ٤٩٠ + ١٣٢ سنة وهى

سنة هدم أدريانوس لهيكل سليمان = ٦٢٢ وعمر بن الخطاب رضى الله عنه تسلم القدس من النصارى – وهم شيعة من اليهود – فى نفس المدة بالتاريخ الميلادى .

ولذلك جاء فى كتب النصارى : أن عمر بن الخطاب لما كان واقفا مع البطريرك صفر نيوس ، وهو يسلمه مفاتيح القدس – أورشليم – قيل : حقاً هذا ما أشار إليه النبى دانيآل[1].

فسنة الرب المقبولة تتم مع محمد ﷺ ولا تتم مع عيسى عليه السلام .

الصوت الصارخ فى البرية :

ويقول إشَعياء فى الأصحاح الأربعين من سِفْره : «عَزُّوا . عَزُّوا شعبى . يقول إلهكم . طيِّبوا قلب أورشليم ، وناد وها بأن جهادها قد كمُل ..

صوت صارخ فى البَرِّية : أَعِدُّوا طريق الرب . قوِّموا فى القفر سبيلاً لإلهنا . كل وِطاء يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويصيرُ المعوجُّ مستقيماً ، والعراقيب سهْلاً . فيُعلنُ مجدُ الرب ، ويراه كل بشر جميعا ؛ لأن فم الرب تكلم» [إش ٤٠ : ١ – ٥]

وقد أرسل الله تعالى يوحنا المعمَدَان ليخبر بنى إسرائيل بمجىء رسول الرب الذى هو المنسيا من بعده . وأرسل معه عيسى عليه السلام لنفس الخبر . فيكونان معا ممهدان الطريق لرسول الله ﷺ وهذا معروف من دعوتهما معا بقولهما لبنى إسرائيل : « توبوا ؛ فإنه قد اقترب ملكوت السموات»

فانظر الآن فى الأناجيل . تجد فى واحد منهما : أن يسوع يمهد الطريق للمسيا المنتظر ، محمد رسول الله . وتجد فى أربعة : أن المعمدان يمهد الطريق للمسيا المنتظر ، يسوع رسول الله . فمن هو الصوت الصارخ فى البرية ؟ ومن هو المسيا ؟

يقول متى : «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يَكْرِزُ فى برية اليهودية قائلاً : توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات ؛ فإن هذا هو الذى قيل

---

(١) راجع الجزء الثانى من كتاب البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل – نشر دار البيان العربى بمصر .

عنه بإشَعياء النبى القائل : صوت صارخ فى البرية : أعدُّوا طريق الرب ، اصنعوا سُبله مستقيمة» [متى ٣ : ١ - ٣]

ويقول يوحنا كاتب الإنجيل عن المعمدان :

« وهذه هى شهادة يوحنا ، حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر ، وأقر : أنى لست أنا المسيح . فسألوه : إذًا ماذا ؟ إيلياء أنت ؟ فقال : لست أنا . **ألنبى أنت** ؟ فأجاب : لا . فقالوا له : من أنت ؟ لنعطى جوابا للذين أرسلونا . ماذا تقول عن نفسك ؟ قال : أنا صوت صارخ فى البرية . قوِّموا طريق الرب ، كما قال إشَعياء النبى» [يو ١ : ١٩ - ٢٣]

يشهد يوحنا المعمدان بأنه ليس هو «النبى الأُمى» الذى أخبر عنه موسى فى سفر التثنية . وهذا يدل على أن هذا «النبى» لم يكن قد ظهر من قبله . وليس هو يسوع ، فيكون هو محمد رسول الله ﷺ .

وقال بَرْنابا : «إن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ، ليتسقَّطوه بكلامه ، لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة ، يسألونه قائلين : من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال : الحق أنى لست مسيا . فقالوا : أأنت إيلياء ، أو إرمياء ، أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع : كلا . حينئذ قالوا : من أنت ؟ قلْ ؛ لنشهد للذين أرسلونا . فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها ، يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب ، كما هو مكتوب فى إشَعياء . قالوا : إذا لم تكن المسيح ولا إيلياء ، أو نبيا مَّا ، فلماذا تبشر بتعليم جديد ، وتجعل نفسك أعظم شأنا من مَسيًّا ؟ أجاب يسوع : إن الآيات التى يفعلها الله على يدى ؛ تُظهر أنى أتكلم بما يريد الله ، ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ؛ لأنى لست أهلاً أن أحل رباطات جرموق ، أو سيور حذاء رسول الله ، الذى تسمونه مسيا» [بر ٤٢ : ٣ - ٨]

وعلى ما تقدم . فإنه إذا قال المسيح عن غيره : « مُعَزِّيًا آخر» فهل يكون هو خاتم النبيين ؟ وإذا كان هو خاتم النبيين ، فمتى وكيف تتحقق بركة إسماعيل ؟ وما معنى « آخر » ؟

مجامع بنى إسرائيل

والمجمع الذى كان يَكْرِز فيه علماء بنى إسرائيل فى يوم السبت – وهو كالمسجد عندنا نحن المسلمين – مكان للصلاة اليومية والأسبوعية . كان عبارة عن بناء بسيط متسع مستطيل ، وفى نهايته مكان الْقِبْلة ، واتجاهها عند السامريين نحو جبل جِرزِّيم ، وعند العِبرانيين نحو جبل صِهيون . ومن جهة القِبلة ، كان يجلس على الكراسى العشرة الأولى ، الرجال « البطلانيم » أى رجال الفراغ ، أو متقدمى الشيوخ ، ويسمون أيضاً «زكنيم» وكانوا يواجهون المجتمعين ، وكان لهم فى مجمع الاسكندرية إحدى وعشرون كرسيا مذهبا ، ذا مساند . وفى مقدمة البطلانيم كان يجلس «روش هاك كنيسيث» أو رئيس المجمع . وكانت مقاعد الرجال فى جهة ، ومقاعد النساء ، وراء حاجز فى الجهة الأخرى . وهنَّ مُلَثَّمات بحجب طويلة . وفى جانب كانت «الطبهة» أو التابوت ، وهو صندوق من الخشب الملون ، الذى يحتوى على الأسفار المقدسة ، وفى الجانب الآخر «البيمة» أو المقعد العالى للقارىء أو الواعظ .

ويلى البطلانيم فى المكانة « الخزان » أو الكاتب الذى كان واجبه حفظ الكتب المقدسة ، ثم « الشيلاك» وهو ما يماثل حامل الصولجان ، و«البرناسيم» أى الرعاة . رعاة المجمع ، الذين يقيمون شعائر العبادة .

وبعد الصلاة كان يُقرأ من الكاهن اللاوى فصلان واحد من الناموس الذى هو أسفار موسى الخمسة ، ويدعى «براشاه» وفصل من أسفار الأنبياء ، ويُدعى «هافتراه» وكان لأسفار الأنبياء ملف واحد . أما الناموس فملفان . وكان كل درس أسبوعى يُفك من على الملف الأيمن ، ويطوى على الأيسر ، حتى إذا ما فتح السِّفر فى السبت التالى ، تكون القراءة المخصصة ظاهرة فى الحال . وكانت القراءة فى الغالب بالعبرية ، ولكن تترجم بواسطة المترجم . إما للآرامية التى كانت لغة التخاطب ، أو إلى اليونانية ، وكانت مفهومة فى كل فلسطين .

وكانت الموعظة تسمى «دراش» وكان عيسى عليه السلام يجلس وهو يعظ ، ولكن كان القارىء والسامعون يقفون عند تلاوة الناموس .

الفصل الخامس

الناسوت واللاهوت

خدع بولس النصارى فى نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء عن النبى المنتظر ، وذلك بالتشويش على تفسير يحيى وعيسى عليهما السلام لها . ولكن هل خدعهم فى عقيدة التثليث ؟ هذا غير صحيح نسبته إليه . فالذى صحت نسبته إليه فقط هو خداعهم فى النبوءات وفى إلغاء الناموس . أما عقيدة التثليث بقسميها أ - التجسد ب - والتعدد فلم يخدعهم فيها بولس . وإنما أجبروا عليها فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م أي بعد هلاك بولس بسنين عديدة . وذلك لأن الأناجيل الأربعة الموجودة اليوم محرفة فى النبوءات فقط . وليس فيها نصوص عن تثليث التجسد أو تثليث التعدد . وفى سفر أعمال الرسل نصوص عن خطوات بولس فى تحريف النبوءات ، وليس فيه عن التثليث من شىء .

وحيث لاتوجد مخطوطات للعهد الجديد - الذى هو الأناجيل والرسائل - من قبل القرن الرابع . أى من قبل تحريف العقيدة ؛ فإنه لايكون من المستبعد أن يعتقد معتقد إضافة نصوص من بعد المجامع النصرانية الأولى تشير إلى التجسُّد أو إلى التعدد . فالنسخة السينية التى كانت موجودة ببطرسبورج ونقلت إلى المتحف البريطانى سنة ١٩٣٥ م والتى اكتشفها تشندرزوف سنة ١٨٤٤ م ترجع أقدميتها للجيل الرابع . والنسخة الاسكندرية الموجودة بالمتحف البريطانى ، ترجع أقدميتها إلى منتصف الجيل الخامس . والنسخة الفاتيكانية المحفوظة بالفاتيكان ، ترجع أقدميتها إلى الجيل الرابع . والنسخة الافرائمية الموجودة بالمكتبة الأميرية بباريس ، ترجع أقدميتها إلى الجيل الخامس [1]

(١) ص ١٩ حياة المسيح لفردريك . فارار

ويقول الدكتور على عبد الواحد وافى ، عن رسائل الحواريين : « لم تعتمد هذه الرسائل جميعها إلا فى سنة ٣٦٤ م أما قبل ذلك فكان كثير منها موضع شك فى صحة حقائقها ، وصحة نسبتها إلى أصحابها عند كثير من المسيحيين ؛ حتى إن مجمع نيقية نفسه ، وهو من أكبر مجامعهم المسكونية ، لم يعتمد إلا رسالتين اثنتين من هذه الرسائل . وهى رسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا الأولى ، ورفض ماعداها »[1]

وأول نص على تأليه الابن الوحيد[2] ، مع الله تعالى كان فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م فقد أصدر المجمع هذا القرار : «إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تَحْرم (أى تحكم بالحرمان والطرد) كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لاشىء ، أو من يقول : إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الله الآب . وكل من يقر أنه خلق أو من يقول إنه قابل للتغير »

وسبب هذا القرار : هو أن نبوءة ابن الله عن المسيا المنتظر ، لم يقدر المحرفون للديانة على تأويل لها ، ليبعدوها عن محمد ﷺ فارتضوا أن يقولوا : إنه ابن أزلى مغاير لله . ولكن الأرثوذكس فى مجمع خليقدونية لم يرتضوا المغايرة . وقالوا : إن الله انقلب إلى مسيح . وإلى اليوم لم يعطوا تأويلا للابن ، إلا أنه هو الله نفسه ظهر فى صورة ابن . ولم يقولوا بالمغايرة بينهما كما قال الكاثوليك .

وأما «الروح القدس» فإن عيسى عليه السلام قال عن محمد رسول الله ﷺ كلاما كثيرا ، وسماه «بيراكليت» أى «أحمد» ووصفه بالروح القدس . أى أحمد المنتسب إلى الله القدوس الطاهر ، لا إلى الشياطين التى أرواحها نجسة . ومن كلامه : «وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ، ويذكركم بكل ماقلته لكم» [يوحنا ١٤ : ٢٦]

وكما فعل النصارى فى نبوءة «ابن الله» المذكورة فى المزمور الثانى ، فعلوا فى نبوءة الروح القدس . فالأرثوذكس قالوا : إن الله انقلب إلى مسيح بقوة

---

(١) ص ٩٤ الأسفار المقدسة .

(٢) المنبأ عنه فى المزمور الثانى .

الروح القدس . فالله والمسيح والروح : واحد . والكاثوليك قالوا : إن الروح القدس منفصل عن الله ، ومنفصل عن الابن ، وهى محاولة منهم للتضليل فى «بيركليت» الذى هو اسم أحمد ﷺ

ففى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م ألَّهوا الروح القدس . ومن هو الروح الذى ألهوه ؟ هو الروح الذى وصف به المسيح. «بيراكليت» وعلى ذلك فمن يبحث عن أصل أقنوم الروح ، يتوجب عليه بحث كلمة «بيركليت» وهى الآن مُغيرة إلى «بِاركليت» ومترجمة بـ «المعزّى» والمعزى من ألقاب المَسِيًّا عندهم .

«قال تيموثاوس – بطريرك الاسكندرية – فى مجمع القسطنطينية : ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله . وليس روح الله شيئا غير حياته . فإذا قلنا : إن روح القدس مخلوق ؛ فقد قلنا : إن روح الله مخلوق . وإذا قلنا : إن روح الله مخلوق ، فقد قلنا : إن حياته مخلوقة ، وإذا قلنا : إن حياته مخلوقة ، فقد زعمنا أنه غير حى ، وإذا زعمنا أنه غير حى ، فقد كفرنا . ومن كفر به ، وجب عليه اللعن»

فالتثليث – كما ترى – هو للتضليل فى حقيقة محمد ﷺ فنبوءة ابن الله ، جعلوها أقنوما . ونبوءة الروح القدس ، جعلوها أقنوما . والله رب العالمين جعلوه أقنوما . فالتثليث فى الأصل هو تحريف معانى نبوءات عن النبى المنتظر . ويدلك على ماقلنا :

الدليل الأول : نص نبوءة المزامير عن «ابن الله» فإنها بإجماع اليهود والنصارى والمسلمين نبوءة عن النبى المنتظر الملقب بلقب المسيا .

والدليل الثانى : نص نبوءة إنجيل يوحنا عن «الروح القدس» فإن «بيركليت» بكسر الباء بإجماع اليهود والنصارى والمسلمين هى اسم «أحمد»

فكيف يقول بعض الدارسين لعلم مقارنة الأديان : إن التثليث مقتبس من العقائد الوثنية القديمة ؟

أما ما جاء فى الأناجيل عن حياة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام

من ختانه وأكله وشربه ومشيه ووعظه وما شابه ذلك من أفعال الآدميين ، فإن النصارى يقولون فى ذلك كله : إن عيسى كان مكونا من أ – جسد ب – وروح . وأفعال الآدميين قد فعلها بموجب الناسوت . أى الجسد . واللاهوت لم يتأثر بشىء من الحر والبرد وسائر أنواع المكاره . وليس على تبريرهم هذا دليل من التوراة ولا من الأناجيل .

ولما أُلزم النصارى بأن المسيح ليس إلها ، وليس هو الإله ، لأنكم رويتم فى أناجيلكم أنه قتل وصلب . أجابوا : بأن القتل والصلب كانا على الناسوت دون اللاهوت

وقد ردَّ عليهم صاحب المنتخب الجليل بقوله : «يمتنع ذلك على اليعقوبية القائلين : إن المسيح قد صار بالاتحاد طبيعة واحدة . إذ الطبيعة الواحدة ، لم يبق فيها ناسوت متميز عن لاهوت . والشىء الواحد لايقال مات و لم يمت ، وأهين و لم يهن . وأما الزوم القائلون بأن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعتين ، فيقال لهم : فهل فارق اللاهوت ناسوته عند القتل ؟ فإن قالوا : فارقه ؛ أبطلوا دينهم ؛ فلم يستحق المسيح الربوبية عندهم إلا بالاتحاد . وإن قالوا : لم يفارقه ؛ فقد التزموا ماورد على اليعقوبية . وهل قتل اللاهوت مع الناسوت؟ وإن فسروا الاتحاد بالتدرع . وهو أن الإله جعله مسكنا له وبيتا ، ثم فارقه عند ورود ماورد على الناسوت ؛ أبطلوا ألوهيته فى تلك الحالة . وقلنا لهم : أليس قد أهين ؟ وهذا القدر يكفى فى إثبات النقيصة ، إن لم يأنف اللاهوت لسكنه أن تناله هذه النقائص . فإن كان قادرا على نفى النقائص ؛ فقد أساء مجاورته ، ورضى بنقيصته . وذلك عائد بالنقص عليه فى نفسه . وإن لم يكن قادرا ، فذلك أبعد له عن عز الربوبية»[1]

معنى الكلام

١ – إن اليعقوبية – وهم الأرثوذكس – يقولون : إن الله تعالى لما حلَّ فى بطن مريم بقوة الروح القدس ، وصار نطفة وعلقة ومضغة ثم خرج طفلا .

(١) ص ٤٠–٤١ المنتخب الجليل

لم يخرج المسيح من البطن بطبيعته الإنسانية ، بل خرج بطبيعة إلهية ، آخذة صورة إنسانية . كجبريل عليه السلام إذا تشكل فى صورة دحية الكلبى – وهكذا يقولون – فالرائى لايرى إلا واحدة بطبيعة واحدة . وعلى هذا المذهب . لو كان القتل قد وقع على المسيح ذاته . فإنه يكون واقعا على الله نفسه . لأن المسيح هو الله على هذا المذهب .

٢ – إن الروم – وهم الكاثوليك والبروتستانت – يقولون : إن المسيح فيه طبيعة إنسانية كاملة ، بحسب جسده ، وله طبيعة إلهية كاملة ، بحسب حلول اللاهوت فيه . فالرائى يرى جسدا . وهذا الجسد ليس بلا روح بل بروح لايعرف أنها روح إلهية . وسواء كانت إلهية أو آدمية . فإن بها قوام الجسد . وعلى هذا الخلو لايكون إلها . لأن شرط الألوهية عندهم اتحاد الناسوت باللاهوت . وإن كانت الروح لم تفارقه حال القتل ، فإنه يلزم على قولهم إهانة اللاهوت . وإن قالوا : إن الروح الإلهى كان يتعشقه كالمصروع من حين لآخر . أى أن يسوع كان إنسانا بروحه الإنسانية ، ثم إن الروح الإلهى كان يمر عليه أحيانا ويلبس جسده ، كما يلبس الشيطان جسد إنسان ويصرعه على الأرض . فهذا هو مذهب «نسطور» المرفوض من النصارى كلهم .

طبيعة المسيح عند النصارى

يقول الدكتور على عبد الواحد وافى . فى اختلاف النصارى فى طبيعة المسيح مانصه :[1]

«اختلفوا فى طبيعة المسيح . هل طبيعته طبيعة واحدة ، لأنه إله ، أم إن له طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة إنسية لأنه ابن الله وابن الإنسان معا ؟ (فقد جاء من مريم ؛ ومريم من البشر) فيكون بذلك قد اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت على حد تعبيرهم .

وقد أخذت بالمذهب الأول ، وهو أن للمسيح طبيعة واحدة ، وهى

---

(١) كتاب الأسفار المقدسة ص ١٠٨-١١٤ .

الطبيعة الإلهية ، ثلاث كنائس صغيرة من الكنائس التى سمت نفسها الأرتودكسية : إحداها الكنيسة الأرتودكسية فى مصر والحبشة (وتسمى نفسها الأرتودكسية المرقسية نسبة إلى الرسول مرقص صاحب الانجيل ، لأن بطاركتها يعتبرون أنفسهم خلفاء لهذا الرسول ، ورئيسها الحالى هو البابا كيرلس السادس ، رئيس الكرازة المرقسية وبطريارك مصر وأثيوبيا ومعظم مناطق أفريقيا . ومع أن مسيحى الحبشة خاضعون لرياسة الكنيسة المصرية المرقسية فإنهم قد استقلوا أخيرا بعض الاستقلال فى شئونهم الدينية) وثانيتها الكنيسة الأرتودكسية السريانية التى يرأسها بطريرك السريان ويتبعها كثير من مسيحى أسيا ، وثالثتها الكنيسة الأرتودكسية الأرمنية . ومع أن الأرمن يتفقون مع الكنيستين السابقتين فى القول بالطبيعة الواحدة للمسيح فإنهم يختلفون عنهما فى بعض التقاليد والطقوس ، ولهم بطاركة يرأسونهم . ولا يندمجون مع الكنيسة السريانية ولا مع الكنيسة المصرية . وبذلك انفصلت هذه الكنائس الثلاث عن بقية كنائس المسيحيين . وقد لخص هذا المذهب صاحب كتاب «خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر» فى العبارة الآتية : «إن كنيستنا المستقيمة الرأى (هذه ترجمة لكلمة الأرتودكسية) ، ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية والسريانية الأرتودكسية تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم ، أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس ، وأن الأقنوم الثانى أقنوم الابن تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء ، مصيرا هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال . وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ...»

وقد أقر هذا المذهب معظم المجتمعين فى مجمع إفسوس الثانى **Ephèse** الذى انعقد فى منتصف القرن الخامس الميلادى ، واكتسب قوة بعد أن انتصر له فى القرن السادس الميلادى داعية قوى الحجة ، بليغ الأثر ، جرىء فى الجهر برأيه ، اسمه يعقوب البرادعى ، حتى لقد أطلق على هذا المذهب اسم «المذهب اليعقوبى» نسبة اليه ، وأطلق على المعتنقين لهذا المذهب إسم اليعاقبة أو اليعقوبيين ، وإن كان هذا المذهب قد نشأ قبل ظهور يعقوب البرادعى بأمد طويل ، ولا أدل على ذلك من أنه قد أخذ بهذا الرأى معظم المجتمعين فى مجمع إفسوس الثانى الذى انعقد فى منتصف القرن الخامس الميلادى

وأخذت بالمذهب الآخر ، وهو أن للمسيح طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة إنسية أى اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت ، جميع الكنائس الأخرى . وتقرر هذا المذهب فى صورة حاسمة فى مجمع خليكدونية Calcédoine المنعقد سنة ٤٥١ فقد انتهى هذا المجمع بعد خلاف كبير بين أعضائه الى القول بأن للمسيح طبيعتين لاطبيعة واحدة ، وأن الألوهية طبيعة وحدها والناسوت طبيعة وحدها التقتا فى المسيح . ويلخص ابن البطريق قرار مجمع خليكدونية اذ يقول : «قالوا إن مريم العذراء ولدت إلها ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية. ومع الناس فى الطبيعة الإنسانية وشهدوا أن للمسيح طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد .... ولعنوا المجمع الثانى الذى كان بإفسوس» (أى مجمع إفسوس الثانى الذى قرر معظم أعضائه أن المسيح طبيعة واحدة كما سبق بيان ذلك ، وتسميه الكنيسة الكاثوليكية «مجمع اللصوص»)

وقد انتصر لمذهب ازدواج الطبيعتين الامبراطور الرومانى ، بل إنه هو الذى عمل على اجتماع مجمع خليكدونية لينتهى إلى تقرير هذا الرأى فى صورة حاسمة ومن ثم يطلق على هذا المذهب اسم المذهب الملكى أو الملكانى نسبة إلى الملك أى امبراطور روما . وقد أخطأ الشهرستانى إذ قرر أن هذا المذهب ينسب إلى شخص اسمه «ملكا»[1]

ومن قبل مجمع خليكدونية كان هذا المذهب قد تقرر ، وان لم يكن فى صورة حاسمة ، فى مجمع آخر هومجمع إفسوس الأول الذى انعقد سنة ٤٣١ م للفصل فى أمر نستور وبدعته (وكان نستور هذا nostorius بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨ م ومكث فى هذا المنصب أربع سنين وشهرين) فقد ذهب نستور الى القول بأن مريم العذراء لم تلد الإله ، بل ولدت الانسان فقط ، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثانى اتحادا مجازياً لأن الإله وهبه المحبة والنعمة فصار بمنزلة الابن . فللقضاء على هذا المذهب الذى ينكر ألوهية المسيح من أصلها وإن كان يقول بالأقانيم الثلاثة انعقد مجمع إفسوس الأول سنة ٤٣١ وقدر لعن نستور وطرده ، وكتب معظم أعضائه صحيفة

(١) انظر ص ٢٢٢ من الجزء الأول من الشهرستانى «الملل والنحل» طبعة مصطفى الحلبى سنة ١٩٦١

قرروا فيها أن مريم العذراء ولدت إلهنا وربنا يسوع المسيح ، وأن المسيح إله حق وإنسان ذو طبيعتين»

غير أن النسطوريين قد انحازوا فى عصورهم الأخيرة إلى الرأى القائل بامتزاج اللاهوت فى الناسوت ، أى إلى القول بالطبيعتين ، فانحرفوا بذلك عن المذهب الأصلى لزعيمهم ، وأصبحوا متفقين فى ذلك مع الكنيسة الكاثوليكية . ويقيم معظمهم الآن فى بلاد العراق والموصل .

وقد ظلت الكنائس التى تقول بالطبيعتين متحدة فى جمع آرائها المتعلقة بشخص المسيح إلى أن ظهر فى القرن السابع الميلادى (سنة ٦٦٧) يوحنا مارون ، فذهب إلى أن المسيح ، مع أنه ذو طبيعتين ، له مشيئة واحدة وإرادة واحدة وهى المشيئة الإلهية والإرادة الإلهية لالتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد إلهى وذو الابن أو الكلمة . وقد شايعه فى هذا الرأى بعض مسيحى آسيا . ولم ترق هذه المقالة فى نظر بابوات روما رؤساء الكنيسة الكاثوليكية ، فأوعزوا إلى الامبراطور أن يجمع مجمعاً ليقرر أن المسيح ذو طبيعتين وذو مشيئتين بعد أن استوثقوا من أن الامبراطور يشاركهم هذا الرأى ، فاجتمع لذلك مجمع القسطنطينية السادس سنة ٦٨٠ م وكان مؤلفاً من ٢٨٩ أسقفاً وانتهى الى اصدار قرار بكفر يوحنا مارون ولعنه وطرده وكفر كل من يقول بالمشيئة الواحدة ، وقرر «أننا نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الآب والإله فى أقنوم واحد ووجه واحد ، يعرف تاماً بناسوته تاماً بلاهوته فى الجوهر الذى هو ربنا يسوع المسيح ، بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين فى أقنوم واحد .... فهو يعمل مايشبه الانسان أن يعمله فى طبيعته وما يشبه الإله أن يعمله فى طبيعته .... وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها بمشيئتين غير متضادتين»

وقد نزلت بعد ذلك بأصحاب المذهب المارونى القائل بالمشيئة الواحدة اضطهادات شديدة ، فأخذوا يفرون بدينهم من بلد إلى بلد إلى أن انتهى بهم المطاف فى جبل لبنان ، واشتهروا بلقب المارون . وظلوا مستقلين فى شئونهم الدينية الى أن قربتهم اليها كنيسة روما فأعلنوا فى سنة ١١٨٢ الطاعة لها مع بقائهم على مذهبهم القائل بالمشيئة الواحدة . ولاتزال هذه الطائفة متوطنة

فى جبل لبنان ، وإن كان قد هاجر منها عدد كبير الى قارة أمريكا وغيرها ، ولها بطريرك خاص (هو الآن البطريرك المعوشى) وإن كان يقر بالرياسة لبابا الكنيسة الكاثوليكية بروما .

وقد ظلت الطوائف القائلة بالطبيعتين والمشيئتين متفقة فى آرائها الى أن نشب بينها فى منتصف القرن التاسع خلاف بشأن الأقنوم الذى انبثق منه روح القدس . فذهب بعض هذه الطوائف الى أن انبثاق روح القدس كان من الآب وحده ، وذهب بعضها الآخر الى أن انبثاقه كان من الآب والابن معا .

وكان على رأس المنادين بالرأى الأخير ، وهو أن روح القدس منبثق من الآب والابن معا ، رئيس كنيسة روما . وقد عقد لذلك فى سنة ٨٦٩ مجمعا فى القسطنطينية ، وأصدر هذا المجمع قراراً بأن روح القدس منبثق من الآب والابن معا . واشتهر هذا المجمع باسم «المجمع الغربى اللاتينى» وكان على رأس المنادين بالرأى الأول ، وهو أن روح القدس منبثق من الآب وحده ، بطريرك القسطنطينية ، وقد عقد بدوره مجمعاً آخر فى القسطنطينية سنة ٨٧٩ ، وأصدر هذا المجمع قراراً بأن روح القدس منبثق من الآب وحده . واشتهر هذا المجمع باسم «المجمع الشرقى اليونانى»

وكان ذلك سبباً فى انقسام الكنائس القائله بالطبيعنين والمشيئتين إلى كنيستين رئيستين : (إحداهما) الكنيسة الشرقية اليونانية ويقال لها كذلك الكنيسة الشرقية فقط وكنيسة الروم الأرثوذكسية ، وهى التى يذهب أتباعها إلى أن روح القدس منبثق عن الآب وحده . والمشايعون لها أكثرهم فى الشرق فى بلاد اليونان وتركيا وروسيا والصرب وغيرها ، ولهم بطاركة أربعة : أولهم بطريرك القسطنطينية وهو كبيرهم (وهو الآن البابا أثينا جوزراس) ويليه بطريرك الاسكندرية للروم الأرتودكس ، ثم بطريرك أنطاكية ، ثم بطريرك أورشليم . وثمة مناطق تخضع للكنيسة الشرقية وتخضع لمجامع وأسقفيات مستقلة كالمجمع الروسى وأسقفية أثينا وأسقفية قبرص (التى يتولى رياستها الآن الأسقف مكاريوس ، وهو فى الوقت نفسه رئيس الدولة)

(وثانيتهما) الكنيسة الغربية اللاتينية ، ويقال لها كذلك الكنيسة الغربية فقط ، وكنيسة روما ، والكنيسة الكاثوليكية ، وقد تسمى كذلك الكنيسة

البطرسية أو كنيسة بطرس لأن مشايعيها يعتقدون أن مؤسسها هو الرسول بطرس كبير الحواريين ، وأن بابواتها خلفاؤه من بعده (ورئيسها الحالى هو الباب بولس السادس ، وهو فى الوقت نفسه رئيس دولة الفاتيكان) وهى التى تذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الآب والابن معا . والمشايعون لهذه الكنيسة أكثرهم فى الغرب فى بلاد ايطاليا وفرنسا وبلجيكا واسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية وبلاد أخرى كثيرة . وحتى فى البلاد التى يتبع معظم أهلها كنيسة الروم الأرتودكسية يوجد مسيحيون كاثوليك يتبعون كنيسة روما ويرأسهم بطاركة كاثوليك خاضعون لرياسة بابا روما . وحتى فى مصر نفسها يوجد مسيحيون كاثوليك يتبعون هذه الكنيسة ويرأسهم بطريرك (ورئيسهم الحالى الأنبا أسطفانوس الأول سيداروس بطريرك الأقباط الكاثوليك) ويبلغ عدد الكاثوليك التابعين لهذه الكنيسة الآن زهاء ستمائة مليون .

ولما أحيط به رئيس كنيسة روما من تقديس بين مشايعيه وعند الملوك ورؤساء الدول ، ولكثرة معتنقى مذهبه ، تتساهل الكنيسة الشرقية فتعترف له بالتقدم لا بالسلطان . وتتابع كنيسة روما فى عهد رئيسها الحالى ما سار عليه رئيسها السابق من العمل على التقريب بين الكنائس المسيحية جميعاً وخاصة بينها وبين الكنيسة الشرقية التى تعتبر أكبر كنيسة بعد كنيسة روما .

وقد عقد بابا روما الحالى سنة ١٩٦٣ مجمعا مسكونيا كان من أهم أغراضه تحقيق الوحدة المسيحية والتقريب بين كنائس المسيحيين ، وخاصة بين الكنيستين الكبيرتين الغربية والشرقية . وخلاصة ذلك أن الكنيسة الأرتودكسية فى مصر والحبشة والكنيستان الأرتودكسيتان الأرمنية والسريانية قد انفصلت عن بقية الكنائس لقولها بالطبيعة الواحدة للمسيح (طبيعة واحدة إلهية) وأن كنيسة المارونيين بلبنان قد انفصلت كذلك عن بقية الكنائس لقولها بالمشيئة الواحدة أى إن المسيح وإن كان له طبيعتان ليست له إلا مشيئة واحدة هى المشيئة الإلهية ، وأن من عدا هؤلاء وأولئك من طوائف المسيحيين يقولون بالطبيعتين والمشيئتين ، وهم القسم الأكبر من المسيحيين .

غير أنهم مع اتفاقهم فى القول بالطبيعتين والمشيئتين قد اختلفوا فيما يتعلق بالأقنوم الذى انبثق منه روح القدس أهو الآب وحده أم الآب والابن معا .

وانقسموا لذلك الى كنيستين : الكنيسة الشرقية اليونانية أو كنيسة الروم الأرتودكس التى يقول أتباعها بانبثاق روح القدس عن الآب وحده ، والكنيسة الغربية اللاتينية التى يقول أتباعها بانبثاق روح القدس عن الآب والابن معا»[1] أ.هـ .

ألوهية المسيح

وقد قال الأستاذ الدكتور مؤلف الأسفار المقدسة : إن الأناجيل الأربعة تقرر ألوهية المسيح ، وأن أكثر الأناجيل صراحة فى تقرير ألوهية المسيح وملحقاتها هو إنجيل يوحنا . يقول مانصه : «وأما العقائد التى تشتمل عليها هذه الأناجيل ، فتدور كلها حول المسيح وتقرر ألوهيته وبنوته للآب ، وأن الإله عبارة عن ثلاثة أقاليم (جمع أُقنوم – بضم الهمزة – أى الأصل . وهو تعريب لكلمة Hypostases من اليونانية Hypo, stasis بمعنى الأصل المركب) وهى الآب والابن وروح القدس . وأن المسيح قد صلب ليكفر بذلك الخطيئة الأزلية peche originel وهى الخطيئة التى ارتكبها آدم . إذ عصى ربه وأكل من الشجرة ، والتى انتقلت بطريق الوراثة إلى جميع نسله ، وكانت ستظل عالقة بهم إلى يوم يبعثون ، لولا أن افتداهم المسيح بدمه ، وأن المسيح قد قام من قبره بعد صلبه بثلاثة أيام ، وظل مع حوارييه وأنصاره أربعين يوما ، ثم رفع إلى السماء ، حيث جلس على يمين أبيه ، يصرف شئون العالم ، وسيتولى هو يوم القيامة حساب الناس على ما فعلوه فى الحياة الدنيا ، فيجزى المحسن بإحسانه والمسيىء بإساءته . وأكثر الأناجيل صراحة فى تقرير ألوهية المسيح وملحقاتها هو إنجيل يوحنا .

وأما فيما يتعلق بشؤون الشريعة ؛ فإنه يفهم من هذه الأناجيل : أن المسيحية قد أقرت شريعة اليهود ، المقررة فى العهد القديم ، ولم تستثن من ذلك إلا ماورد عن المسيح نص بنسخه أو تعديله ... الخ[2]»

---

(١) الأسفار المقدسة ص ١٠٨-١١٤

(٢) ص ٧٠-٧١ الأسفار المقدسة .

وقال من قبل ذلك : «أسفار العهد القديم قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه أو جحيمه»[1]

والرد عليه :

١ - أما أن التوراة قد خلت من ذكر اليوم الآخر . فإنها لم تخل من ذكر اليوم الآخر . والنص عليه فى تثنية ٣٢ : ٣٤ - ٣٥ وفى مثل عش الطائر . وفى سفر أيوب ١٩:٢٥ - ٢٧ وقد ذكرنا النصوص فى كتابنا نقد التوراة وفى تقديمنا لكتاب نفخ الروح والتسوية للإمام الغزالى أبو حامد . وسنذكر بعضها فى هذا الفصل .

٢ - وأما أن المسيح قد نسخ نصوصا تشريعية من العهد القديم . فإن المسيح قد جاء مصدقا للتوراة غير مهيمن عليها . والذى هو غير مهيمن لاينسخ .

٣ - وأما أن المسيح هو الذى سيتولى حساب الناس يوم القيامة . فليس فى الأناجيل الأربعة نصوص على ذلك . والنصوص التى فيها عن هذا الأمر هى «لابن الإنسان» وهذا الأمر مبين فى هذا الكتاب ، وفى كتاب «البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل»

٤ - ومكتوب فى الأناجيل الأربعة : أن المسيح قد قتل وصلب . ولكن ليس فيها أنه قتل وصلب من أجل آدم عليه السلام فقد صرح المسيح بأن كل امرىء بما كسب رهين [متى ٧]

٥ - وألوهية المسيح غير مقررة فى الأناجيل الأربعة . وإنجيل يوحنا الذى قال : إنه أكثر الأناجيل صراحة فى تقرير ألوهية المسيح، هو خال من ألوهية المسيح . ويبدو أن ظاهر بدء إنجيله هو الذى أفهمه ذلك . وهو : «فى البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله» والمعنى الصحيح هو : أن الكلمة[2] هى «المَسِيًّا» أى أن الله أزلا قدر فى سابق علمه أن يوجد المسيا بكلمته . والمسيا كان عند الله . أى قدر الله وجوده وكتبه عنده فى

---

(١) ص ٢٩ الأسفار المقدسة وص ٧٠ أيضا .

(٢) راجع كتاب المسيا المنتظر - مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة..

كتاب الخلق والتدبير . وكان الكلمة الله . على معنى أن الكلمة لتكلمه بكلام الله ، يكون هو الله متكلما . وذلك على عادة بنى إسرائيل فإنهم يقولون على الملاك الذى يتكلم نيابة عن الله : إنه الله متكلماً . أى أنه لكلامه بكلام الله ، الذى صار نائباً عنه ؛ عُدَّ كأنه هو . وهذا المعنى تكرر فى الأناجيل كثيراً . فقد قال المسيح لتلاميذه : «الذى يسمع منكم ، يسمع منى . والذى يرذلكم يرذلنى . والذى يرذلنى يرذل الذى أرسلنى» [لوقا ١٠:١٦] وفى إنجيل يوحنا نفسه ، نفس المعنى : «الحق الحق أقول لكم : إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى ، فله حيـاة أبدية ولا يأتى إلى دينونة ، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» [يوحنا ٥:٢٤] «ولست أفعل شيئا من نفسى ، بل أتكلم بهذا ، كما علمنى أبى» [يو ٨ : ٢٨] أى كما علمه الله «الحق الحق أقول لكم : الذى يقبل من أرسله ؛ يقبلنى . والذى يقبلنى ؛ يقبل الذى أرسلنى» [يو ١٣ : ٢٠]

٦ – وأما البنوة للآب . فهى بنوة مجازية . لأنه مكتوب فى التوراة : أن كل فرد من بنى إسرائيل : أنه ابن الله ، وإله بمعنى السيد . وعيسى عليه السلام من بنى إسرائيل ، من نسل هرون من سبط لاوِى . وعلى حسب الناموس ؛ فإنه يلقب بلقب ابن الله وبلقب إله . على المعنى المجازى . ففى سفر التثنية : «أنتم أولاد للرب إلهكم . لاتخمشوا أجسامكم ، ولاتجعلوا قرعة بين أعينكم ، لأجل ميْت ؛ لأنك شعب مقدس للرب إلهك . وقد اختارك الرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» [تث ١٤:١-٢] وفى سفر الخروج : «فقال الرب لموسى : انظر . أنا جعلتك إلها لفرعون . وهرون أخوك يكون نبيك . أنت تتكلم بكل ما آمرك . وهرون أخوك يكلم فرعون ... الخ» [خر ٧: ١-] وفى الزبور : «أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم . لكن مثل الناس تموتون ، وكأحد الرؤساء تسقطون» [مز ٨٢:٦-٨]

ولما أراد اليهود رجم عيسى عليه السلام لأنه قال عن معجزاته : «أبى الذى أعطانى إياها ، هو أعظم من الكل ، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى» دافع عن نفسه بأنه يقول : إن الله أبوه على عادة بنى إسرائيل «أجابهم يسوع : أليس مكتوبا فى ناموسكم : أنا قلت إنكم آلهة ؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله . ولايمكن أن يُنقض المكتوب . فالذى قدسه

الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له : إنك تجدف ؛ لأنى قلت : إنى ابن الله ؟»
[يو ١٠:٢٩-]

وفى سفر أعمال الرسل وأناجيل الأبوكريفا ماينفى ألوهية المسيح . ففى الأصحاح الخامس من سفر أعمال الرسل : «إن كان هذا الرأى ، أو هذا العمل من الناس ، فسوف يَنتقض . وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه ؛ لئلا توجدوا محاربين لله أيضا» [أع ٥:٣٨-٣٩]

وفى إنجيل طفولية المسيح :

«كان الصبيان مجتمعين على سطح عال ، يلعب بعضهم مع بعض . فازدحموا ووقع منهم واحد . ومات . فقال بعضهم لبعض : قولوا : إن يشوع قتله . فأُخذ مريم ويوسف ويشوع ، لقتل الصبى ، وحملوا إلى الوالى ، وشهد الصبيان الذين كانوا معه عليه بقتله . فقال الوالى : العين بالعين ، والسن بالسن ، والنفس بالنفس ، وأسلم يشوع ليقتل .

فقال يشوع للحاكم : إن أنا ناديت هذا الميت ، فقام وأقر بأنى لم أقتله ؛ ما الذى تفعل بالذين شهدوا بالكذب ؟ قال له الوالى : إن أنت فعلت هذا ، كنت أنت البرىء وهم الفسقة . فقال يشوع للصبى : توزا . توزا . أنا دفعتك ؟ فقام الصبى وقال : هو شيئُ . ياسيدى يشوع ما أنت الذى دفعتنى ، ولا كنتَ أيضا ثَمَّ وقت مادفعونى . والذى دفعونى هم : أدى ورهبى ووردىَ ومردى وموسى . وهم الذين شهدوا عليك بالمحال .

وقرب يشوع من توزا ، وأوقفه على رجليه قائما . وأخجل أعداءه ، وأفرح به أهله وأولياءه . وعجب منه كل من شاهده ، وقالوا : حقا إن الله مع هذا الصبى . أتراه ما الذى يكون منه ؟ لأنه كان ابن اثنتا عشرة سنة ، لما عمل هذه الآية»[1] .

فقولهم : **«حقاً إن الله مع هذا الصبى»** يدل على أن الأناجيل خالية من ألوهية المسيح .

---

(١) إنجيل طفولية المسيح ص ١٢٠-١٢٢

وقال مؤلف الأسفار المقدسة : إن التوراة خلت من ذكر يوم القيامة — وكرر كلامه فى كتابه أكثر من مرة — وقال الدكتور محمد شامة محقق مقامع هامات الصلبان : « وإذا تصفحنا الأسفار التى عاش مؤلفوها بعد فترة الأسر ، حيث اتصل اليهود بالإيرانيين ، أتباع زرادشت ؛ نجد فيها إشارات إلى الحياة الأخرى ، بما فيها من ثواب وعقاب . إشَعياء ٤٠ : ٦٦ وحِزقيال ٤٦ : ٤٨»

والحق : أن الأسفار الخمسة لم تخل من ذكر يوم القيامة ، ولم تخل أسفار الأنبياء أيضا . وإلاَّ ما كان علماء بنى إسرائيل يُصرحون به فى كتبهم . إذ كيف يصرحون بما لم يقل به موسى ؟

وأول دليل فى أسفار موسى الخمسة على إحياء الموتى : هو فى العهد المبرم بين الله تعالى وبين إبراهيم عليه السلام فى السير أمامه ، للدعاء إلى دينه ، والقتال فى سبيله لمحو عبادة الأوثان . فإن مقابل السير ، هو الجزاء . والجزاء لا يكون فى الدنيا فقط ، لمن يُقتل فى سبيل الله . وعليه . فإنه تكون الحياة الآخرة هى حياة المجازاة . وهذا المعنى مستفاد أيضاً من مثل عش الطائر . فى الأصحاح الثانى والعشرين من سفر التثنية . فإنه إذا أطلق الأم وأخذ الأولاد ، يكون له خير . فهب أنه أخذ الأولاد وأطلق الأم ، ومات لتوّه . فمتى يحصل على الخير الموعود به ؟ ولابد أن يحصل عليه . وإذ هو قد مات . فلابد أن يحصل عليه فى الآخرة ؛ لقوله : « أطلق الأم وخذ لنفسك الأولاد ، لكى يكون لك خير »

وعلماء بنى إسرائيل يقولون : إن مقابل سير إبراهيم أمام الله ، هو إرث بنيه من إسحق وحده ، أرض كنعان . وقولهم باطل . وذلك لأنه على قولهم لا يكون جزاء لمن قاتلوا وقتلوا من زمان إبراهيم إلى زمان طالوت وداود ، فهما اللذان دخلا أرض كنعان . وعلى قولهم لا يكون جزاء لكل نسل إبراهيم ، من إبراهيم إلى مجيء موسى عليه السلام ، وعلى قولهم لا تكون مجازاة لإدريس عليه السلام فإنه سار مع الله ، مثل ما سار إبراهيم فى الدعاء إلى الله ومحو عبادة الأوثان . كما فى الأصحاح الخامس من سفر التكوين وهو « وسار أخنوخ مع الله »

وفى سبى بابل أعاد اليهود كتابة توراة موسى ، ووضعوا النص فيها على يوم القيامة . وبعد العودة إلى فلسطين ، غيَّر العِبرانيون النص إلى صيغة تحتمل

الجزاء فى الدنيا وتحتمل الجزاء فى الآخرة . وقد شهد عليهم السامريون بذلك . والنص هو : « أليس ذلك مكنوزاً عندى ، مختوما عليه فى خزائنى ؟ لى النقمة والجزاء فى وقت تزلُّ أقدامهم » [تث ٣٢ : ٣٤] والنص السامرى هو « إلى يوم الانتقام »

أما فى **أسفار الأنبياء** . فهذه طائفة ننقلها من كتابنا « ملكوت الله فى إنجيل برنابا » مع نصين متشابهين من توراة موسى :

١ – لما أبصر داود عليه السلام مجد الجنة بعين البصيرة ، وقارن بين نعيمها الحسى والمعنوى ، ونعيم الدنيا ؛ وجد أن نعيم الدنيا فى جنب نعيم الجنة قليل ، وقال : « لا تنظرى فيما بعدُ إلى هذا العالم ياعينى ، لأن كل شىء فيه باطل ، وليس فيه شىء جيد »

٢ – وقال إشعياء النبى فى مجد الجنة : « لم تر عينا إنسان ، ولم تسمع أذناه ، ولم يدرك قلب بشر ، ما أعده الله للذين يحبونه »

٣ – وقال أيوب عليه السلام : « أعلم : أن إلهى حى ، وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى وروحى »

٤ – وقال إشَعياء عن نعيم الجنة فى الآخرة ، على لسان الله تعالى : « يجلس خدمى على مائدتى فى بيتى ، ويتلذذون بابتهاج مع حبور ، ومع صوت الأعواد والأراغن ، ولا أدعهم يحتاجون شيئاً مَّا ، أما أنتم أعدائى فتطرحون خارجا عنى . حيث تموتون فى الشقاء ، وكل خادم لى يمتهنكم »

٥ – وقال أيوب عليه السلام عن عذاب الجحيم فى الآخرة : « أرض ظلام ، مثل دُجى الموت ، وبلا ترتيب ، وإشراقها كالدجى »

٦ – وقال إشَعياء النبى عن عذاب الجحيم فى الآخرة : « إن لهيبهم لا ينطفىء ، ودودهم لا يموت »

٧ – وقال داود عليه السلام عن عذاب الجحيم فى الآخرة : « يُمطر على الأشرار فخاخا ، نارا وكبريتا . وريح السموم نصيب كأسهم »

٨ – وفى الأصحاح الثانى عشر من سفر المكابيين الثانى : أن يهوذا المكابى : « جمع من كل واحد تقدمة ، فبلغ المجموع ألفى درهم من الفضة ؛ فأرسلها إلى أورشليم ، ليقدم بها ذبيحة عن الخطيئة ، وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه ؛ لاعتقاده قيامة الموتى ؛ لأنه لو لم يكن مترجياً قيامة الذين سقطوا ؛

لكانت صلاته من أجل الموتى باطلا وعبثا . وهو رأى مقدس تَقَوى ، ولهذا قدم الكفارة عن الموتى ، ليحلوا من الخطيئة »

٩ – وفى الأسفار الخمسة : أن يعقوب عليه السلام أَبى أن يتعزَّى على فقد يوسف « وقال : إنى أنزل إلى ابنى نائحاً إلى الهاوية » ويقول الآباء اليسوعيون فى التعليق على قوله : « وفى هذه الآية برهان قاطع يثبت بقاء النفس عقيب الوفاة »

١٠ – وفى سفر العدد : « يُضم هرون إلى قومه » يقول اليسوعيون : « أى إلى رهطه . وفى هذه الآية بيِّنة واضحة تثبت إيمان العبرانيين ببقاء النفس بعد موت الجسد »

١١ – وفى زبور داود عليه السلام : «تقبضُ أرواحهم فيموتون ، وإلى ترابهم يعودون ، تُرسل روحك فيُخلقون ، وتُجدد وجه الأرض »

١٢ – ويتحدث داود عليه السلام عن فرار المرء فى يوم القيامة من أخيه وأمه وأبيه ، وعن أن المجرم لا يقدر على فداء نفسه فيقول : « لا يفتدى أحدٌ أخاه أصلا ، ولا يُعطى لله كفارةً عنه . إذ فداء نفوسهم ثمين ، حتى لا يُحصَلُ عليه إلى الأبد . أفيحيا أيضاً على الدوام ولا يُعاين الفساد ، بل يُعاينه . الحكماء يموتون ، وكذلك الجاهل والغبى . يهلكون ويُخلِّفون غناهم لآخرين . قبورهم منازلهم مدى الدهر ، ومساكنهم إلى جيل فجيل . وقد دعوا البلاد بأسمائهم . كان الإنسان فى كرامة فلم يفهم . فماثل البهائم وتشبَّه بها . هذا هو طريقهم وجهلهم .وأعقابهم يرتضون بهم . سِلاه . جُعلوا فى الجحيم كالغنم ... الخ»

١٣ – وفى سِفر الحكمة : « أما نفوس الصديقين فهى بيد الله ، فلا يمسها العذاب . وفى ظن الجهال أنهم ماتوا . وقد حُسب خروجهم شقاء ، وذهابهم عنا عطبا . أما هم ففى السلام . ومع أنهم قد عوقبوا فى عيون الناس ؛ فرجاؤهم مملوء خلوداً ... »

تلك نصوص من الكتب المقدسة تدل على يوم القيامة ، وعلى أن البعث سيكون بالجسد وبالروح معاً .

وعلماء بنى إسرائيل يصرحون بذلك :

١ – يقول موسى بن ميمون : « إن أنفس الفضلاء – على رأينا – مخلوقة ، ولا تعدم أبدا ، وعلى بعض آراء من يتبع ظواهر « المدرشوت » فإن جثثهم

أيضا تكون منعمة دائما ، أبد الآبدين ، كاعتقاد من شهر اعتقادهم فى أهل الجنة »[1]

ويقول سُعديًّا الفيومى : « مدة مقامها متفرقة. تكون إلى أن تجمع جميع النفوس ، التى أوجبت الحكمة من البارىء خلقها . وذلك يكون إلى آخر مقام الدنيا ، فإذا تم عددها ، واجتمعت ؛ جمع بين النفوس وأجسامها »[2]

وصرح عيسى عليه السلام بالبعث الروحى والجسدى : فى قوله : « وإن أعثرتك يدك فاقطعها ؛ خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان ، وتمضى إلى جهنم ، إلى النار التى لا تُطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ ... » وفى قوله : « خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يُلقى جسدك كله فى جهنم » [متى ٥ : ٣٠]

وفى إنجيل برنابا : أن بطرس قال للمسيح : أيذهب جسدنا الذى لنا الآن إلى الجنة ؟

أجاب يسوع : احذر يا بطرس من أن تصير صَدُّوقيًّا . فإن الصدوقيين يقولون : إن الجسد لا يقوم أيضا ، وأنه لا توجد ملائكة ؛ لذلك حرم على جسدهم وروحهم الدخول فى الجنة . وهم محرومون من كل خدمة الملائكة فى هذا العالم . أنسيتم أيوب النبى وخليل الله ، كيف يقول : أعلم أن إلهى حى ، وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى ، وسأرى بعينى الله مُخلِّصى ؟

وفى إنجيل متى : أن الصدُّوقيين سألوا المسيح عن امرأة كان لها سبعة أزواج . ففى القيامة لمن من السبعة تكون ؟ وأجاب : بأن جنة الحياة الآخرة ليس فيها تناسل ولا حسد ولا غل ولا حقد ، ولذلك سيكون الجميع كملائكة الله .

خداع بولس بالبعث الروحى :

ولا يصح لإنسان أن يتكلم عن البعث الروحى عند النصارى ، إلاَّ إذا تكلم عن ملكوت السموات وأمثال ملكوت السموات . وذلك لأن بولس

---

(١) ص ٣٥٦ دلالة الحائرين

(٢) الأمانات والاعتقادات ص ٢٦٤

يريد بالبعث الروحى ، التشويش على ملكوت السموات . فإن ملكوت السموات هو مُلك محمد ﷺ ونبوته على الأرض بعد المملكة الرابعة كما قال النبى المعظم دانيآل . فبماذا شوَّش بولس ؟ زعم أن الملكوت لعيسى عليه السلام . وكيف يكون له وهو لم يحارب ولم ينتصر ولم يكن له سلطان على الأرض ؟ احتال على ذلك بقوله : إنه سينزل فى آخر الزمان من السماء ليؤسس الملكوت على قلوب أتباعه ، نزولا روحيا ، كنزول الملائكة على قلب المؤمن لتثبيت إيمانه . وهذا هو الملكوت فى نظره . وعلى نظريته هذه ، قال : إن استمرار الإيمان فى القلوب الذى ظهر بظهور المسيح سيكون مستمرا إلى أن يحيى الله الموتى من لدن آدم بالأرواح فقط وعندئذ تنضم جميع الأرواح معا من لدن آدم إلى آخر نفس . ويدخل النار من يدخل ، ويدخل الجنة من يدخل. أرواحاً لا أجساداً .

يقول فى رسالته إلى أهل كورنثوس :

« لكن يقول قائل : كيف يُقام الأموات ؟ وبأى جسم يأتون ؟ ياغبىّ . الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت ، والذى تزرعه . لست تزرع الجسم الذى سوف يصير ، بل حبة مجردة ، ربما من حنطة أو أحد البواقى ، ولكن الله يعطيها جسما ، كما أراد . ولكل واحد من البزور جسمه . ليس كل جسد جسدا واحدا ، بل للناس جسد ، وللبهائم جسد آخر ، وللسمك آخر وللطير آخر . وأجسام سماوية ، وأجسام أرضية . لكن مجد السماويات شىء ومجد الأرضيات آخر . مجد الشمس شىء ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر ؛ لأن نجما يمتاز عن نجم فى المجد . هكذا أيضا قيامة الأموات . يُزرع فى فساد ويُقام فى عدم فساد . يزرع فى هوان ويقام فى مجد ، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة ، يُزرع جسما حيوانيا ، ويقام جسما روحانيا . يُوجد جسم حيوانى ، ويوجد جسم روحانى . هكذا مكتوب أيضا : صار آدم الإنسان الأول نفسا حية ، وآدم الأخير روحا محييا ، لكن ليس الروحانى أولا ، بل الحيوانى ، وبعد ذلك الروحانى . الإنسان الأول من الأرض : ترابى ، الإنسان الثانى : الرب من السماء . كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضا ، وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضا ، وكما لبسنا صورة الترابى ، سنلبس أيضا صورة السماوى .

فأقول هذا أيها الأخوة : إن لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت ا لله ،

ولا يرث الفساد عدم الفساد [١ كور ١٥ : ٣٥ - ٥٠]

لاحظ قوله : « إن لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله » وتذكر قول المسيح نفسه في رواية متى : « تعالوا يا مباركي أبي ، رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم » فالمسيح جعل وراثة الملكوت للذين سيزيلون دولة الرومان ، وضرب الأمثلة الكثيرة لاقتراب ملكوت السموات ، ومنها مثل الأمة الإسلامية وهو : « بماذا نُشبه ملكوت الله ؟ أو بأى مثل نمثله ؟ مثل حبة خردل : متى زُرعت فى الأرض ، فهى أصغر جميع البزور التى على الأرض ، ولكن متى زرعت ، تطلع وتصير أكبر جميع البقول ، وتصنع أغصاناً كبيرة ، حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها » [مرقس ٤ : ٣٠ - ٣٢]

وقد أشار الله تعالى إليه فى القرآن بقوله : ﴿ **ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه ؛ فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه** ﴾ [١].

العنـاية الإلهيـة

والعناية الإلهية عند أهل الكتاب هى القضاء والقدر ، أو الجبر والقُدَر عندنا نحن المسلمين . وقبل حساب المرء فى يوم الدين . لابد أن يعرف هل هو مسير أم مخير ؟ لأنه إذا عرف أنه مسير ، ربما يقول لله وقت الحساب : أنا مجبر على أعمالى منك ، فلماذا تحاسبنى ؟ وإذا عرف أنه مخير ، ستفيض عيناه من الدمع إذا انصرف من أمام الله إلى النار .

وكان علماء الفَريسيين يُراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ، وكانوا أصحاب حيل ومكر وخبث وخداع ؛ وعالِمٌ هذا شأنه ، إذ يعظ الناس ويباركهم ، سيقولون عنه بألسنتهم : إنه فاسق . فلكى يدرءوا عن أنفسهم إهانات الناس لهم ، قالوا : إننا مجبرون على أفعالنا من قبل أن نخلق من بطون أمهاتنا . وقالوا مثله لما حرفوا التوراة فى « بابل » قالوا : هذا ما أراده الله . ولا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه .

ولكن عيسى عليه السلام بيَّن لهم : أن فى كتاب موسى عليه السلام آيات تدل على أن الله تعالى قد خلق الإنسان حُرًّا ؛ فلماذا تقولون بالجبر ؟

وعندئذ سأله تلميذ من تلاميذه عن معنى قول النبى عاموس وهو : « هل تحدث بلية فى مدينة والرب لم يصنعها ؟» [عا ٣ : ٦] أى أن الله خالق الشر

(١) الفتح ٢٩

ومقدره . وسئل عن أن الله قسَّى قلب فرعون ومنعه من الإيمان ؛ ليهلكه . ورد بقوله : « إنما يقول الله هذا لكى لا يعتقد الإنسان أنه خلص بفضيلته ، بل ليدرك أن الحياة ورحمة الله قد منحهما له الله من جوده ، ويقوله ليتجنب البشر الذهاب إلى أنه توجد آلهة أخرى سواه ، فإذا هو قسى قلب فرعون فإنما فعله ، لأنه نكَّل بشعبنا وحاول أن يبغى عليه بإبادة كل الأطفال الذكور من إسرائيل »

قالوا له : إذا كان الله لم يقدر ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ، فلماذا أنبأ عن المسيا الرئيس ، ولما يأت ؟

وأجاب بقوله : « إنى أشرح لكم الآن ذلك النزر القليل الذى وهبنى الله معرفته ، بشأن سبق هذا الاصطفاء نفسه :

يزعم الفريسيون : أن كل شيء قدر على طريقة لا يمكن معها لمن كان مختاراً ، أن يصير منبوذاً ، ومن كان منبوذا ، لا يتسنى له بأية وسيلة كانت ، أن يصير مختارا ، وأنه كما أن الله قدر أن يكون عمل الصلاح هو الصراط الذى يسير فيه المختارون إلى الخلاص ، هكذا قدر أن تكون الخطيئة هى الطريق الذى يسير فيه المنبوذون إلى الهلاك .

لُعِن اللسان الذى نطق بهذا ، واليد التى سطرته ؛ لان هذا إنما هو اعتقاد الشيطان . فيمكن للمرء على هذا أن يعرف شاكلة فَريسى هذا العصر ، لأنهم خدمة الشيطان الأمناء . فماذا يمكن أن يكون معنى سبق الاصطفاء سوى أنه إرادة مطلقة ، تجعل للشيء غاية ، وسيلة الوصول إليها فى يدء المرء ، فإنه بدون وسيلة لا يمكن لأحد تعيين غاية ، فكيف يتسنى لأحد تقدير بناء بيت ، وهو لا يُعوزه الحجر والنقود ليصرفها فقط ، بل يعوزه موطىء القدم من الأرض ؟ لا أحد البتة . فسبق الاصطفاء لا يكون شريعة الله بالأَوْلى ، إذا استلزم سلب حرية الإرادة التى وهبها الله للإنسان بمحض جوده »

فمن المؤكد أننا نكون إذ ذاك ، آخذين فى إثبات مكرهة ، لا سبق اصطفاء . أما كون الإنسان حرا : فواضح من كتاب موسى ؛ لأن إلهنا عندما أعطى الشريعة على جبل سيناء قال هكذا[1] : ليست وصيتى فى السماء لكى

---

(١) تثنية ٣٠ : ١١ – ١٤

تتخذ لك عذرا قائلا : مَنْ يذهب ليحضر لنا وصية الله ... »

والنصارى يقولون : بأن المرء مجبر على جميع أفعاله ، وأنه كالريشة فى مهب الهواء ، لا إرادة له ولا اختيار ، كما يقول الفَريسيون من اليهود سواء بسواء . ودليلهم على الجبر ، ليس من كلام المسيح عيسى عليه السلام ، وإنما هو من كلام بولس . المذكور فى الرسالة إلى أهل رومية[1].

الإيمَان والأعمَال :

وفى كتاب موسى عليه السلام أن أ – الإيمان ب – والأعمال . هما معا يدخلان الجنة . والإيمان وحده لا يكفى . والعمل الذى هو ركن فى الديانة ، هو العمل بشرائع التوراة ، سرا وعلانية .

وقال عيسى عليه السلام بما قال به موسى ، سواء بسواء . فقد قال لتلاميذه : « وأما من عمل و علَّم ، فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات » [متى ٥ : ١٩] وقال الحواريون بقوله : ففى الأصحاح الثانى من رسالة يعقوب : « أنت تؤمن أن الله واحد . حسنا تفعل ، والشياطين يؤمنون ويقشعرُّون . ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل : أن الإيمان بدون أعمال ميت ؟ ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال » [يعقوب ٢ : ١٩ – ٢١] أما بولس محرف دعوة عيسى عليه السلام فإنه قد ألغى الأعمال ، واعتبره شرط كمال فى التفاضل بين الناس فى الجنة ، ولم يعتبره شرط صحة لدخول الجنة « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع ، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خَلَصْت » هذا هو قوله .

والنص الذى استدل به المسيح من توراة موسى على أن الله قد خلق الإنسان حرا . وهو : « إن هذه الوصية التى أُوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ، ولا بعيدة منك . ليست هى فى السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها ؛ لنعمل بها ، ولا هى فى عبر البحر حتى تقول : من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها ، بل الكلمة قريبة منك جدا ، فى فمك وفى قلبك لتعمل بها »

---

(١) راجع فصل العناية الإلهية فى كتابنا ملكوت الله فى إنجيل برنابا

[تث ٣٠ : ١١ - ١٤] هذا النص فسره بولس على الإيمان وحده . هكذا : « وأما البر الذى بالإيمان فيقول هكذا : لا تقل فى قلبك من يصعد إلى السماء ، أى ليحدر المسيح ، أو من يهبط إلى الهاوية أى ليصعد المسيح من الأموات . لكن ماذا يقول ؟ الكلمة قريبة منك فى فمك وفى قلبك . أى كلمة الإيمان التى نكرز بها » [رو ١٠ : ٦ - ٨]

والنص الذى استدل به المسيح على أن الله يضل من يشاء لنفسه الضلال ، وهو تقسية الله لقلب فرعون ، قال بولس : إنه يدل على الجبر صراحة « لأنه يقول لموسى : إنى أرحم من أرحم ، وأتراءف على من أتراءف . فإذًا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ، بل لله الذى يرحم » [رو ٩ : ١٥ - ١٦]

تصحيح خطأ :

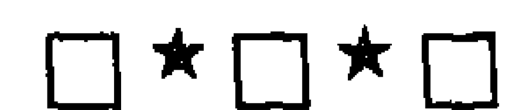
وقد اشتهر أن «بُولُس » هو الذى قال بالتثليث . والحق : أن بولس لم يخدع النصارى بالتثليث ، ولم يؤثر عنه القول فيه . وإنما هو خدعهم فى تطبيق نبوءات التوراة التى هى لمحمد ﷺ بقوله : إنها تدل على يسوع الذى يُدعى المسيح فى مجيئه الثانى . والقول المنسوب إليه وهو «الله ظهر فى الجسد» قال كريباخ : إن لفظ «الله» غلط والصحيح ضمير الغائب . فيكون المعنى إن سر التقوى هو ظهر فى أجساد المتقين .

وقال بولس : إن نبوءات التوراة تدل على نسخ شريعة موسى إذا ظهر النبى المنتظر ، وحيث قد قلنا : إنه هو يسوع ؛ فإن التوراة تكون قد نُسخت على يديه . يقول : «لأنه إن تغير الكهنوت ؛ فبالضرورة يصير تغير للناموس أيضاً » [عب ٧ : ١٢]

وقد اعترف بولس بأن رب العالمين هو الله وحده ، ولا شريك له فى الملك ، ولا يُرى ولا يقدر أحد أن يراه . ومن كلامه : «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم » [عب ٦ : ١٠] ويقول لتيموثاوس : «أوصيك أمام الله الذى يحيى الكل ، والمسيح يسوع ، الذى شهد لدى بيلاطس البنطى بالاعتراف الحسن : أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم ، إلى ظهور ربنا يسوع المسيح ، الذى سيبينه فى أوقاته : المبارك العزيز الوحيد ، ملك الملوك ورب الأرباب الذى وحده له عدم الموت ، ساكنا فى نور لا يُدنى منه ، الذى لم

يره أحد من الناس ، ولا يقدر أحد أن يراه ، الذى له الكرامة والقدرة الأبدية » [١ تيمو ٦ : ١٣ - ١٦]

وأما قول بولس : « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء بأنواع وطرق كثيرة ؛ كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه ، الذى جعله وارثا لكل شى » [عب ١: ١ - ٢] فمعناه : أنه يريد تطبيق نبوءة المزمور الثانى على عيسى عليه السلام بجعله هو «ابن الله» الذى هو المسيا . ولا يقصد بنوة طبيعية ، وإذا قال ربنا يسوع ، فالمعنى : سيدنا ورئيسنا ؛ لأنه هو قد قال : «أيها الرجال لماذا تفعلون هذا ؟ نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم . نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحى ، الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . الذى فى الأجيال الماضية ، ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم . مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد . وهو يفعل خيرا ، يعطينا من السماء أمطارا وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاما وسرورا » [أ ع ١٤ : ١٥ - ١٧] فالتثليث لم يأتهم من بولس ، كما هو واضح من كلامه ، وإنما قد أتاهم من الرومان .



الفصل السادس

الله ظهر فى الجسد

لا يعتقد نصارى الأرثوذكس بأن الآلهة ثلاثة متعددة . وهى الآب والابن والروح القدس . لايعتقدون هذا الاعتقاد . وإنما هم يعتقدون بإله واحد ، لاشريك له ، هو الخالق للعالم كله . وهو الله رب العالمين ، الذى يعتقد اليهود والمسلمون بأنه رب كل شيء ولا شريك له فى الملك . هذا هو اعتقادهم . والفرق بينهم وبين المسلمين واليهود هو : أن المسلم واليهودى ينزهان الله رب العالمين والنصارى لا ينزهونه . فالأرثوذكس يعتقدون : أن الله رب العالمين ، نزل من علياء مجده ، وحل فى بطن العذراء مريم ، وخرج طفلا ، ثم كبر ، ثم قتل وصلب ، ثم صعد إلى السماء . أى هو واحد فى مراحل ثلاثة . والمرحلة الأولى قبل تجسده هى مرحلة كونه الآب . والثانية هى الابن ، والثالثة هى الروح القدس . والأقنوم عندهم مرحلة من مراحل الإله الثلاثة .

على عكس الكاثوليك والبروتستانت الذين يقولون بأن الله غير الابن ، وغير الروح . والأقنوم عندهم ذات متميزة منفصلة . وقد كفَّرهم الله بقوله : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة** ﴾ [المائدة ٧٣]

فخالق العالم الذى هو الله رب العالمين ، صار جسدا عند الأرثوذكس ، وحلّ على الأرض ومشى وقعد وأكل وشرب واستيقظ ونام ، ثم قتل وصلب . ثم هو الآن فى السماء .

هذا هو اعتقادهم . الذى كفرهم الله فيه بقوله تعالى : ﴿**لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم**﴾ [المائدة ١٧ ، ٧٢] ويستدلون على اعتقادهم بظاهر المكتوب فى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا . وهو : «والكلمة صار جسداً . وحل بيننا » [يوحنا ١:١٤] و« فى البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله » [يو ١:١]

وبالمنسوب إلى بولس ، وهو «الله ظهر فى الجسد ، تبرَّ فى الروح ، تراءى للملائكة ، كُرز به بين الأمم أو من به فى العالم ، رفع فى المجد» [١ تيموثاوس ٣:١٦]

وفى الأناجيل الأربعة مايهدم عقيدتهم هذه . ففيها نصوص كثيرة تدل على الانفصال بين الله وبين المسيح وبين الروح القدس . وفيها نصوص كثيرة على أن المسيح قد جاع وعطش وتألم وأهين ، وأوجاعه تتنافى مع ألوهيته . وهذا يهد نظرية ظهور الله فى الجسد . وفيها : أن الآب أعظم من الابن . وهذا يهدُّ نظرية اتحاد اللاهوت فى أقانيم التعدد .

وهذه نصوص تدل على ما قلنا :

النص الأول : فى الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا : «فلما علم الربُّ[1] أن الفَريسيين سمعوا أن يسوع يُصيِّر ويعمد تلاميذ أكثر من يوحنا . مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه . ترك اليهودية ومضى أيضا إلى الجليل . وكان لابُدَّ له أن يجتاز السامرة . فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها : سُوخار بقرب الضيعة التى وهبها يعقوب ليوسف ابنه . وكانت هناك بئر يعقوب . فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر . وكان نحو الساعة السادسة . فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء . فقال لها يسوع : أعطينى لأشرب . لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاما . فقالت له المرأة السامرية : كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية ؟ لأن اليهود لايعاملون السامريين . أجاب يسوع وقال لها : لو كنت تعلمين عطية الله ، ومَنْ هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب ، لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا . قالت له المرأة : ياسيد لادلولك والبئر عميقة . فمن أين لك الماء الحى ؟ ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه ؟ أجاب يسوع وقال لها : كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا . ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا ، فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية . قالت له المرأة : ياسيد أعطينى هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى إلى هنا لأستقى . قال لها يسوع : اذهبى وادعى زوجك وتعالى إلى ههنا . أجابت المرأة وقالت : ليس لى زوج . قال لها يسوع : حسناً قلت ليس لى زوج .

(١) الرب هو السيد والمعلم .

لأنه كان لك خمسة أزواج ، والذى لك الآن ليس هو زوجك . هذا قلت بالصدق . قالت له المرأة : ياسيد أرى أنك نبى . آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل ، وأنتم تقولون : إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يُسجد فيه . قال لها يسوع : يا امرأة صدقينى إنه تأتى ساعة ، لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب» [يوحنا ٤: ١-٢١]

التعليق

١ - كان يسوع يُعمدُ تلاميذ برش الماء على أجسامهم فى نهر الأردن ، أو بالتغطيس فى الماء . مثل يوحنا المعمدان . فلماذا يقولون : إن يسوع هو الله رب العالمين ، ولايقولون إن يوحنا هو الله رب العالمين ؟ إن فعلهما واحد ، ودعوتهما واحدة وهى اقتراب ملكوت السموات . وكتبوا فى الإنجيل أنهما قتلا . هم قالوا وكتبوا أنهما قتلا ، فلماذا يكون عيسى وحده هو الله رب العالمين ؟

٢ - مشى يسوع إلى اليهود السامريين مع تلاميذه وجاع وتعب من السفر وعطش وجلس على البئر فى الساعة السادسة من بدء شروق الشمس ، فى وقت الظهيرة وخاطب المرأة وأنبأها بالغيب وطلب منها إحضار زوجها ليعلمهما . وهذا يدل على بشريته لا على ألوهيته .

٣ - شهدت له المرأة السامرية بالنبوة بقولها : «ياسيد أرى أنك نبى» ولم ينكر المسيح شهادتها . وهذا ينفى أنه إله أو الإله .

٤ - غاير بينه وبين الآب . فى قوله للمرأة : إنهم يسجدون للآب . فلو كان هو الآب ، لقال : يسجدون لى . أو قال : يسجدون للآب ويسجدون لى .

النص الثانى : فى الأصحاح الرابع من إنجيل متى :

«ثم أُصعد يسوع إلى البرية من الروح ، ليُجرب من إبليس . فبعدما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيراً . فتقدم اليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً . فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز

وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل . وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك . فعلى أياديهم يحملونك لكى لاتصدم بحجر رجلك . قال له يسوع مكتوب أيضا لاتجرب الرب إلهك . ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . حينئذ قال له يسوع اذهب ياشيطان . لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه» [متى ٤: ١-١١]

التعليق

فى هذا النص يتبين أن المسيح قد صحبه الشيطان ومشى معه ليمتحنه ويجربه وهذا يدل إن صحت هذه الرواية على أن المسيح غير الله . ثم إن المسيح استدل بالتوراة على أن السجود لايكون إلا لله وحده وقد قال للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . كما هو مكتوب فى سفر التثنية .

النص الثالث : بيركليت

فى الأصحاح الرابع عشر ومابعده من إنجيل يوحنا :

«إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعَزِّيا[1] آخر ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذى لايستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لايراه ولايعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم . لا أتركم يتامى . إنى آتى إليكم . بعد قليل لا يرانى العالم أيضا . وأما أنتم فترونني . إنى أنا حى فأنتم ستحيون . فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فيَّ وأنا فيكم . الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى ، والذى يحبنى يحبه أبى ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى . قال له يهوذا ليس الإسخريوطى : ياسيد ماذا حدث حتى إنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا ، وليس

---

(١) المعزى : ترجمة باركليت . ومعناها : الآتى عوضا عن المسيح ، ليعزى بنى إسرائيل فى ضياع ملكهم ونبوتهم . وأما بيركليت فهى اسم أحمد ﷺ

للعالم ؟ أجاب يسوع وقال له : إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلا . الذى لايحبنى لايحفظ كلامى . والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ماقلته لكم سلاماً أترك لكم . سلامى أعطيكم . ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا . لاتضطرب قلوبكم ولاترهب . سمعتم أنى قلت لكم : أنا أذهب ثم آتى إليكم . لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت : أمضى إلى الآب ، لأن أبى أعظم منى . وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون . لا أتكلم أيضا معكم كثيراً ، لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شيء ولكن ليفهم العالم أنى أحب الآب ، وكما أوصانى الآب هكذا أفعل . قوموا ننطلق من ههنا»

أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرَّام . كل غصن فىَّ لايأتى بثمر ينزعه . وكل ما يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر . أنتم الأن أنقياء لسبب الكلام الذى كلمتكم به . أثبتوا فىَّ وأنا فيكم . كما أن الغصن لايقدر أن يأتى بثمر من ذاته ، إن لم يثبت فى الكرمة ، كذلك أنتم أيضا إن لم تثبتوا فىَّ . أنا الكرمة وأنتم الأغصان . الذى يثبت فىَّ وأنا فيه هذا يأتى بثمر كثير . لأنكم بدونى لاتقدرون أن تفعلوا شيئا . إن كان أحد لايثبت فىَّ ، يُطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق . إن ثبتم فىَّ وثبت كلامى فيكم ، تطلبون ماتريدون فيكون لكم . بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير ، فتكونون تلاميذى . كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا . اثبتوا فى محبتى . إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى ، كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى ، وأثبت فى محبته . كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم .

هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم . ليس لأحد حب أعظم من هذا : أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه . أنتم أحبائى إن فعلتم ما أوصيكم به . لا أعود أُسميكم عبيداً لأن العبد لايعلم ما يعمل سيده . لكنى قد سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى . ليس أنتم اخترتمونى بل أنا اخترتكم ، وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم . لكى يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمى . بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضا .

إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم . لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم . اذكروا الكلام الذى قلته لكم : ليس عبد أعظم من سيده . إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم . وإن كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم . لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى ، لأنهم لايعرفون الذى أرسلنى . لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية . وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم . الذى يبغضنى يبغض أبى أيضا . لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى لم تكن له خطية . وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى . لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم : إنهم أبغضونى بلاسبب .

ومتى جاء المعزِّى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى . وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء .

قد كلمتكم بهذا لكى لاتعثروا . سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله . وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولاعرفونى . لكنى قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى قد قلته لكم . ولم أقل لكم من البداية لأنى كنت معكم . وأما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى . وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى ؟ لكن لأنى قلت لكم هذا ، قد ملأ الحزن قلوبكم . لكنى أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق . لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّى . ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ومتى جاء ذاك يبكِّت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة . أما على خطية فلأنهم لايؤمنون بى ، وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولاتروننى أيضا ، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين . إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ، ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ؛ لأنه لايتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية . ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم . كل ما للآب هو لى . لهذا قلت : إنه يأخذ مما لى ويخبركم؛

التعليق

من هو هذا الذى يفهم من ذلك النص : أن الله هو المسيح بن مريم ؟

إن النص يبين مرسِلا ورسول ينبه على مجىء رسول . المرسِل هو الله . والرسول المنبه هو المسيح . والرسول الآتى هو «بيركليت» الموضوع بدله كلمة «المعزى» انظر إلى النص وتأمل :

أ – «أنا ماض إلى الذى أرسلنى»
ب – «لم يعرفوا الآب ولاعرفونى»
ت – «إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى»

هل هذه النصوص تدل على واحد انقلب إلى مسيح ؟

انظر أيضا إلى قوله : «أبى أعظم منى»

وتذكر قول الكاثوليك : إن لاهوت الآب مساوى للاهوت الابن . كيف يتساوى ؟ وكيف يقول «أبى أعظم منى» ؟ وكيف يتساوى وكيف لا يتساوى ؟ أليس هذا تناقض ؟

انظر أيضا إلى قوله : «المعزى الروح القدس» وتذكر قولهم كلهم إن المعزى الروح القدس هو الأقنوم الثالث . ثم اسأل نفسك هل الروح القدس إله ؟ أو هل هو الإله ؟ هل الأوصاف الواردة عنه فى النص تدل على ألوهيته ؟ هل قال فى التوراة موسى عليه السلام : إن الآلهة ثلاثة ؟

ولقد قلنا فى التقديم لكتاب المنتخب الجليل مانصه :

«واعلم : أن مجادلة المسلمين للنصارى يجب أن تتم على أمر واحد . وهو أن يحاول المسلمون إرجاعهم إلى دين اليهود . وذلك بذكر كلام عيسى عليه السلام المدون فى الأناجيل الأربعة بأنه لم يأت لنسخ التوراة ، وإنما قد أتى لإصلاحها . وإذا قدر المسلمون على إلزام النصارى بأن دينهم هو دين اليهود ؛ فإنهم يجادلونهم كما يجادلون اليهود .

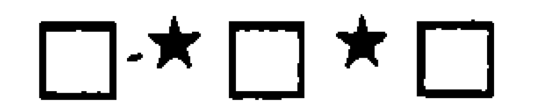
وجدال اليهود يكون بأمر واحد . وهو أن يعرف المسلمون كل نبوءات التوراة عن النبى المنتظر ، ثم يطبقونها على محمد ﷺ

وإذا أرجع المسلمون النصارى إلى دين اليهود ، وجادلوا اليهود والنصارى معا بنبوءات التوراة وأسفار الأنبياء ؛ فإنه يسهل الجدال على المسلمين ، ويسهل الإقناع لأهل الكتاب . أما تشعب الجدال إلى مسائل ؛ فإنه يوقع فى الحيرة والبلبلة والاضطراب .

وهذان الأمران مستفادان من كلام عيسى عليه السلام المدون فى الأناجيل الأربعة .

أ – فإنه بدأ تبشيره على جبل الزيتون بقوله : «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» وختم تبشيره بوصيته لأتباعه بأن يعملوا بالتوراة فى قوله : «على كرسىِّ موسى جلس الكتبة والفَريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه»

ب – ثم شرع يتلو نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء ، على مسامع علماء بنى إسرائيل ، وعلى الأميين منهم ويفسرها تفسيرا صحيحا ؛ فتدل على محمد ﷺ ففى أول خطبة له على جبل الزيتون ، فسَّر نبوءة ملكوت السموات ، المكتوبة فى سفر دانيآل ، على محمد ﷺ وقال لبنى إسرائيل : «توبوا ؛ فإنه قد اقترب ملكوت السموات» ا.هـ



الفصل السابع
موعظة الجبل

أول خطبة لعيسى عليه السلام كانت على جبل الزيتون . وقد حكاها متى هكذا :

«ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل . فلما جلس تقدم إليه تلاميذه . ففتح فاه وعلمهم قائلا : طوبى للمساكين بالروح ؛ لأن لهم ملكوت السموات . طوبى للحزانى لأنهم يتعزَّوْن . طوبى للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض . طوبى للجياع والعطاش إلى البر ، لأنهم يُشبعون . طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون ... الخ» [متى ٥ -]

التعليق

هذا الذى يخطب فى اليهود أمام تلاميذه : إله أم إنسان ؟ إنه إنسان . فلماذا يقول النصارى : إنه الإله أو إله ؟ إن الأرثوذكس يقولون : إن عيسى ليس إلها من الآلهة الثلاثة وهى الآب والابن والروح القدس . وإنما هو الإله الخالق للعالم نفسه . يقولون : إن رب العالمين وهو الله عز وجل انقلب إلى إنسان هو المسيح . والذى خطب على جبل الزيتون هو الله رب العالمين فى جسد المسيح . فهم لايقولون بثلاثة ، بل بواحد هو رب العالمين . فكيف يتسنى لرب العالمين أن يأخذ صورة عبد ، وينزل ليخطب ويعظ ويدعو الناس إلى ملكوت السموات ؟ ويقول الكاثوليك والبروتستانت : إن الذى خطب فى اليهود أمام تلاميذه على الجبل هو الإله الابن وحده . أما الآب وهو الله رب العالمين ، فكان فى السماء بذاته . وذلك لأنهم يقولون بثلاثة آلهة . كل إله منفصل عن الآخر . ويقولون : إن المسيح ابن الله بالطبيعة . وليس ابنا على المجاز بمعنى القريب منه والملتصق به . أى المنفذ لمشيئته .

وقولهم كلهم بأن الذى خطب ووعظ وبشر بملكوت السموات هو الله نفسه ، أو هو ابنه بالطبيعة هو قول باطل . بأدلة منها :

الدليل الأول : إن التوراة تنص على أن الخالق للعالم هو الله رب العالمين ، وأنه ليس كمثله شيء ، وأنه لايُرى ولايقدر أحد أن يراه . والإنجيل ينص أيضا . وعيسى قد رآه الناس وتحدثوا معه ، وأكلوا معه وشربوا . وعرفوا شبهه وهيئته ، وعرفوا نسبه ومكان ولادته . فلا يمكن أن يكون هو الله أو ابن الله .

ومن نصوص التوراة والإنجيل :

١ - «**اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد**» [تثنية ٦:٤]
٢ - «**لا تقدر أن ترى وجهى ؛ لأن الإنسان لا يرانى ويعيش**» [خروج ٣٣:٢٠]
٣ - «**وأما وجهى فلا يُرى**» [خروج ٣٣:٢٣]
٤ - «**ليس مثل الله**» [تثنية ٣٣:٢٦]
٥ - «**الله لم يره أحد قط**» [يوحنا ١:١٨]

الدليل الثانى : اعترف عيسى عليه السلام بأنه إنسان قد كلمهم نيابة عن الله ، كما كلم موسى عليه السلام بنى إسرائيل نيابة عن الله . والاعتراف هو سيد الأدلة فى جو الحرية ، وتبين لليهود أنه ابن الله أى منتسب إليه كما هو مكتوب فى التوراة عن بنى إسرائيل كلهم : «**أنتم أولاد للرب إلهكم**» [تثنية ١٤:١] وبين لليهود أنهم أبناء الشيطان الرجيم أى منتسبون إليه . لأنهم يعملون بإرادته . فقال : «**أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا**» [يوحنا ٨:٤٤]

وقال عيسى عليه السلام فى اعترافه : «**أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم . لكنكم تطلبون أن تقتلونى لأن كلامى لاموضع له فيكم . أنا أتكلم بما رأيت عند أبى ، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم** . أجابوا وقالوا له : أبونا هو إبراهيم . قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد إبراهيم ، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى ، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه

من الله . هذا لم يعمله إبراهيم . أنتم تعملون أعمال أبيكم» [يوحنا ٨:٣٧-٤١]

إنه يخاطب علماء اليهود بقوله : أنتم من ذرية إبراهيم النبى عليه السلام من نسل إسحق عليه السلام . أنا أعلم ذلك . وأنا منكم من ذرية إبراهيم ، من مريم ، ابنة هرون ، ابن عمران بن قهَات ، بن لاوِى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم .

وفى الإنجيل : إن علماء اليهود نفوا نسبه إلى إبراهيم ، وقالوا له : لست منا . فإنك لوكنت من نسلنا ، لاعتنقت آراءنا وسرت على مذهبنا . وابتعادك عن آرائنا ومذاهبنا ؛ يدل على انفصالك عنا . وأنت منفصل عنا . لأننا لم نولد من الزنا «فقالوا له : إننا لم نولد من زنا» [يوحنا ٨:٤١]

ثم اعترف بأنه «إنسان» فلماذا لايعترف النصارى بأنه إنسان ، كما اعترف عيسى نفسه بأنه «إنسان»؟

لقد قال بصريح العبارة : «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله»

الدليل الثالث : اعترف اليهود وتلاميذ عيسى عليه السلام بأنه إنسان قد كلمهم بالحق الذى سمعه من الله . ففى الأصحاح السابع من إنجيل يوحنا : «فجاء الخدام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين . فقال هؤلاء لهم : لماذا لم تأتوا به ؟ فأجاب الخدام : لم يتكلم قط إنسان هكذا ، مثل هذا الإنسان . فأجابهم الفريسيون : ألعلكم أنتم أيضا قد ضللتم ؟ ألعل أحدا من الرؤساء أو من الفرّيسيِّين آمن به ؟ ولكن هذا الشعب الذى لايفهم الناموس هو ملعون . قال لهم نيقوديموس – الذى جاء إليه ليلا ، وهو واحد منهم –: ألعل ناموسنا يدين إنسانا لم يُسمع منه أولا ، ويعرف ماذا فعل ؟» [يوحنا ٧:٤٥-٥٢]

لاحظ : «لم يتكلم قط إنسان هكذا ، مثل هذا الإنسان» ولاحظ قول نيقوديموس «ألعل ناموسنا يدين إنسانا لم يسمع منه أولا» ؟ ونيقوديموس من أصحاب الأناجيل المنسية . وكان يتودد إلى المسيح ويذهب إليه ليلا – كما فى الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا – ووصفه المسيح بأنه رئيس فى إسرائيل . أى معلم كبير لتوراة موسى عليه السلام .

الدليل الرابع : إنه له تلاميذ . كانوا يلقبونه بلقب «الرِّبى» وهو لقب العالم من بنى إسرائيل من نسل هرون عليه السلام . كما كان للنبى فى بنى إسرائيل تلاميذ ، كانوا يلقبون ببنى الأنبياء . والإنسان الذى له تلاميذ هو معلم مقتدر فى القول وفى الفعل . والمعلم إنسان وليس بإله . وقد أكد عيسى على إنسانيته بغسل أرجل تلاميذه .

ففى إنجيل يوحنا عن مريم المجدلية :

١ - «قال لها يسوع : يامريم . فالتفتت تلك وقالت له : ربُّونى الذى تفسيره يامعلم . قال لها يسوع : لاتلمسينى ، لأنى لم أصعد بعد إلى أبى . ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم : إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» [يوحنا ٢٠:١٦-١٧]

لقد نادته مريم بلقب الربى أى المعلم . وقال لها المسيح : «أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» وعبّر عن تلاميذه بأنهم إخوته . فأى فرق بين الجميع فى العبودية لله تعالى وفى الأخوة ؟

٢ - وقال يوحنا : «فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكأ أيضا . قال لهم : أتفهمون ما قد صنعت بكم ؟ أنتم تدعوننى معلما وسيدا

وحسنا تقولون .
لأنى أنا كذلك

فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم ، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض» [يوحنا ١٣:١٢-١٤]

لقد قال المسيح لتلاميذه : «أنتم تدعوننى معلما وسيدا» وقال لهم : «وحسنا تقولون . لأنى أنا كذلك» فماذا يفهم من هذين القولين ؟ القول الأول : أنه أ - معلم ب - وسيد . هكذا كان التلاميذ ينادون عيسى عليه السلام يقولون له : يامعلمنا أو ياسيدنا . ولم يوبخهم ولم يبكتهم على قولهم له «معلم» أو «سيد» وهذا يدل على أنه إنسان . والقول الثانى : إنه مدحهم وأثنى عليهم بقوله لهم : «وحسنا تقولون» وعلل حسن القول بأنه هو كما

يقولون عنه «معلم» و «سيد» فسبب حسن القول : هو أنه حقا كما يقولون له . فلو كان إلها لصحح لهم أفكارهم ، ولبين لهم حقيقة أمره .

الدليل الخامس : أنه فى موعظة الجبل . قال : إن ملكوت السموات للودعاء الذين سيرثون الأرض من بعد أهلها ، وليس للمتكبرين من اليهود وقساة القلوب .

وهذا يدل على أنه بدأ دعوته ، بالدعوة إلى ملكوت السموات . والداعى قد يدعو إلى نفسه وقد يدعو إلى غيره . وهو قد بين فى أكثر من آية من آيات الإنجيل : أنه يدعو لغيره – وهو الله تعالى – ومن يدعو لله ، لايكون هو الله . ومن كلامه عليه السلام :

«إن كان العالم يبغضكم فاعلموا : أنه قد أبغضنى قبلكم . لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم ، بل أنا اخترتكم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم . اذكروا الكلام الذى قلته ليس عبد أعظم من سيده . إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم ، وإن كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم . لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله ، من أجل اسمى ؛ لأنهم لايعرفون الذى أرسلنى» [يوحنا ١٥ :١٨–٢١]

فقد بين فى هذا الكلام : أنه رسول من الله ، وأنه مضطهد من علماء بنى إسرائيل . وسبب اضطهادهم له : هو دعوته إلى اقتراب ملكوت السموات ، وأن صاحبه هو محمد ﷺ .

وقد كان علماء بنى إسرائيل من أيام سبى بابل يخدعون الناس بقولهم : إن ملكوت السموات هو ملكوت نبى سيظهر من جنسنا . وقد قال عيسى لهم : إنه هو ملكوت نبى سيظهر من بنى إسماعيل عليه السلام . ولذلك اضطهدوه لمخالفته لهم فى مايخدعون به الناس . وكان يستدل على قوله بأدلة التوراة وأسفار الأنبياء عن النبي المنتظر . فيقول : إن ملكوت السموات أ – سيأتى من بعدى لأن دانيآل قال : إنه سيتأسس فى الأرض بعد زوال المملكة الرابعة وهى دولة الروم ب – وإنه سيكون لمحمد ﷺ لأن الله قبل دعاء إبراهيم فى إسماعيل بأن يكون من ذريته من يمشى أمامه بين الناس للدعوة

إليه ووعده بالبركة فى نسله ، كما وعده بالبركة فى نسل إسحق الذى تحققت بركته فى بنى إسرائيل

ففى سفر دانيآل : «كنت أرى فى رؤى الليل . وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه ، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى مالن يزول وملكوته مالا ينقرض» [دانيال ٧:١٣-١٤] وفى سفر دانيآل : «وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدا ، وملكها لايترك لشعب آخر ، وتسحق وتُفنى كل هذه الممالك . وهى تثبت إلى الأبد» [دانيال ٢:٤٤]

وفى سفر التكوين : «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه . وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا وأجعله أمة كبيرة» [تك ١٧:٢٠]

الدليل السادس : أنه بين فى موعظة الجبل أن الودعاء يرثون الأرض . فمن سيورثهم ؟ ومن هم الوارثون ؟ إن الذى سيورثهم هو غيره ، وهو الله رب العالمين . وأن الوارثين هم أصحاب ملكوت السموات . وهم الإسماعيليون أتباع محمد عليه السلام

ففى المزمور السابع والثلاثين : يبين داود عليه السلام فى زبوره — وهو موجود ومكتوب من قبل ولادة عيسى عليه السلام — أن المورث هو الله رب العالمين فى قوله : «الرب عارف أيام الكملة وميراثهم إلى الأبد يكون» — «انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض» — «والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض» ومن هم الذين ينتظرون الرب ؟ هم بنو إسماعيل المبارك فيه .

وهذا هو نص المزمور :

«لاتغر من الأشرار ، ولاتحسد عمال الإثم . فإنهم مثل الحشيش ، سريعا يُقطعون ، ومثل ا لعشب الأخضر يذبلون . اتكل على الرب وافعل الخير . اسكن الأرض وارع الأمانة وتلذذ بالرب ؛ فيعطيك سُؤل قلبك . سَلِّمْ للرب طريقك ، واتكل عليه . وهو يُجرى ويخرج مثل النور برك ، وحقك مثل الظهيرة . انتظر الرب واصبر له ، ولاتغر من الذى ينجح فى طريقه ، من الرجل المجرى مكايد . كف عن الغضب ، واترك السخط ، ولاتغر لفعل

الشر ؛ لأن عاملى الشر يُقطعون . والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض . بعد قليل لايكون الشرير . تطلع فى مكانه فلا يكون . أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون فى كثرة السلامة

الشرير يتفكر ضد الصديق ، ويحرق عليه أسنانه . الرب يضحك به ؛ لأنه رأى أن يومه آت . الأشرار قد سلوا السيف ، ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقير ، لقتل المستقيم طريقهم . سيفهم يدخل فى قلبهم ، وقسيهم تنكسر .

القليل الذى للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين ؛ لأن سواعد الأشرار تنكسر . وعاضد الصديقين الرب . الرب عارف أيام الكَمَلَة وميراثهم إلى الأبد يكون ؟ لايخزون فى زمن السوء ، وفى أيام الجوع يشبعون ؛ لأن الأشرار يهلكون ، وأعداء الرب كبهاء المراعى فنوا كالدخان ، فنوا . الشرير يستقرض ولايفى . أما الصديق فيترأف ويعطى ؛ لأن المباركين منه يرثون الأرض ، والملعونين منه يقطعون . مِن قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان وفى طريقه يسر ، إذا سقط لاينطرح . لأن الرب مسند يده . أيضا كنت فتى وقد شخت ، و لم أر صديقا تخلى عنه ، ولاذرية له تلتمس خبزا . اليوم كله يترأف ويقرض . ونسله للبركة .

حد عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد ؛ لأن الرب يحب الحق ، ولايتخل عن أتقيائه . إلى الأبد يحفظون ، أما نسل الأشرار فينقطع . الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها الى الأبد . فم الصديق يلهج بالحكمة ، ولسانه ينطق بالحق . شريعة إلهه فى قلبه . لاتتقلقل خطواته . الشرير يراقب الصديق محاولا أن يميته . الرب لايتركه فى يده . ولايحكم عليه عند محاكمته . انتظر الرب ، واحفظ طريقه ؛ فيرفعك لترث الأرض . إلى انقراض الأشرار تنظر .

قد رأيتُ الشرير عاتيا ، وارفا مثل شجرة شارقة ناضرة . عَبَر فإذا هو ليس بموجود ، والتمسته فلم يوجد . لاحِظْ الكامل وانظر المستقيم فإن العقب لإنسان السلامة ، أما الأشرار فيبادون جميعاً . عَقِبُ الأشرار ينقطع ، أما

خلاص الصديقين فمن قِبَلِ الرب حصنهم فى زمان الضيق . ويعينهم الرب وينجيهم . ينقذهم من الأشرار ، ويخلصهم ؛ لأنهم احتموا به» [مزمور ٣٧]

ففى هذا المزمور :

أ - أن الوارثين هم أصحاب ملكوت السموات ب - وأن الذى سيورثهم الأرض هو الله رب العالمين جـ - وعيسى عليه السلام يخبر عن الله رب العالمين .

وفى موعظة الجبل يتحدث عيسى عليه السلام عن ملكوت السموات الذى بين دانيآل أنه سيتأسس بعد المملكة الرابعة . ويقول : أ - إنه سيكون وسيتأسس ؛ لأن الله وعد به . ووعده لايتخلف . وكلامى عن ملكوت السموات حق لايزول . ب - وأن التوراة التى مع علماء بنى إسرائيل ستظل معهم على حالها ، للعمل بها ، إلى أن يظهر صاحب الملكوت . وعندئذ يتركون التوراة ويعملون بكتاب صاحب الملكوت . وهو القرآن الكريم . قال عيسى عليه السلام فى موعظة الجبل : **«لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ماجئت لأنقض بل لأكمل [1] فإنى الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل . فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا ، يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلّم ، فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات . فإنى أقول لكم : إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين ، لن تدخلوا ملكوت السموات»**

إن الذى يتأمل فى هذا النص ، يجد أن عيسى عليه السلام :

أ - ما نقض التوراة ب - وما نقض أسفار الأنبياء . أى لم ينسخ شريعة موسى و لم يرفض أسفار الأنبياء كما يرفضها اليهود السامريون . ت - كلامه عن ملكوت السموات حق ولابد أن يكون . وعبر عن كونه وحدوثه بقوله «حتى يكون الكل» أى تأسيس ملكوت السموات . وإذا تأسس الملكوت ، فإنه يُنقض الناموس وينسخ ، وترفض أسفار الأنبياء أيضا . ومن الذى سينقض الناموس وينسخه ويرفض أسفار الأنبياء ؟ إنه هو صاحب

(١) التكميل : فى الأصل اليونانى هو التصحيح .

الملكوت .   ث - إن المتكبرين من علماء بنى إسرائيل لن يقدروا على ترك دينهم

وهكذا الذى يتأمل ويجد . هل يقدر أن يقول : إننى فهمت من هذا النص : أن عيسى إله أو هو الإله الخالق للعالم ؟ إنه لايقَدر . وذلك لأن عيسى نبى . ظن أنهم يظنون أنه سينسخ كتاب موسى . فأزال عنهم هذا الظن وبين أن الذى سينسخه هو صاحب ملكوت السموات

أما عن ملكوت السموات .

فإن أصله من الأصحاح الثانى والسابع من سفر دانيآل .

وقد بدأ يحيى عليه السلام دعوته بقوله لعلماء بنى إسرائيل : «توبوا . لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٣:٢] كما بدأ عيسى عليه السلام دعوته بقوله «قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤:١٧] فهما معا متشابهان فى الدعوة . فكيف يصح مع هذا التشابه أن يقول النصارى : إن أحدهما إله ؟ إنهما معا يدعوان إلى شيء واحد . وهذا الشيء الواحد قد حدد دانيآل زمانه ، فلماذا يقولون : إن عيسى هو صاحبه وزمانه لم يأت بعد ؟

وفضلا عن التشابه فى الدعوة ؛ فهما متشابهان فى نظر بنى إسرائيل فى النبوة ، فقد قيل عن يحيى : «لأنه كان عندهم مثل نبى» [متى ١٤:٥] وقد شهد عيسى ليحيى بالنبوة فى قوله : «وأفضل من نبى» [متى ١١:٩] وفى إنجيل متى : أن عيسى عليه السلام ضرب مثلا لملكوت السموات وفى نهايته يقول متى : «ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله ، عرفوا أنه تكلم عليهم . وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه ، خافوا من الجموع ؛ لأنه كان عندهم مثل نبى» [متى ٢١:٤٥-٤٦]

وقد بين دانيآل : أن أربعة ممالك تقوم على الأرض هم : مملكة بابل ، ومملكة فارس ، ومملكة اليونان ، ومملكة الرومان . وأن الملكوت يتأسس بعد الرومان .

وعيسى عليه السلام قد ولد فى عهد أوغسطس قيصر الرومان . وظلت دولة الرومان فى أرض فلسطين إلى أن أزالهم منها عمر بن الخطاب رضى الله

عنه . وقد أخبر عيسى بذلك فى قوله لعلماء بنى إسرائيل : «إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأُمَّة تعمل أثماره»

ففى الأصحاح الحادى والعشرين : «اسمعوا مثلا آخر . كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الأثمار ، أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا . ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين ، أكثر من الأولين ، ففعلوا بهم كذلك . فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا : يهابون ابنى . وأما الكرامون ، فلما رأوا الابن ، قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث . هلموا نقتله ونأخذ ميراثه . فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين ، يعطونه الأثمار فى أوقاتها . قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قِبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأُمَّة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه . ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله ، عرفوا أنه تكلم عليهم . وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه ، خافوا من الجموع ؛ لأنه كان عندهم مثل نبى» [متى ٢١:٣٣-٤٦]

والمعنى : أن ملكوت السموات هو ملك الله على الأرض ، وسيادة شريعته على المؤمنين به . تمييزا لملكوت الأرض الذى يعبد فيه أناس غير الله ، وتسود بينهم أهواؤهم وأمانيهم . وهذا الملكوت السماوى كان مع بنى إسرائيل لتتحقق بهم بركة إسحق فى الأمم . ثم يصير مع بنى إسماعيل لتتحقق بهم بركة إسماعيل فى الأمم . وههنا ينبه المسيح علماء بنى إسرائيل بنزع الملكوت منهم إلى أمة بنى إسماعيل .

وهل هذا النص – وهو معروف بمثل الكرامين الأردياء – يدل على أن المسيح هو الله رب العالمين ، أو يدل على أنه ابن الله بالطبيعة ؟ هل يقدر أحد أن يفهم هذا المعنى من هذا النص ؟

الفصل الثامن

علامات نهاية زمان بركة إسحق في الأمم

بعدما وضحنا من موعظة الجبل – وهى أول خطبة لعيسى عليه السلام فى بنى إسرائيل – أنه إنسان قد كلمهم بالحق الذى سمعه من الله ؛ نوضح من آخر كلام له مع تلاميذه على انفراد : أنه إنسان قد كلمهم بالحق الذى سمعه من الله . والحق الذى سمعه من الله : هو الإخبار بظهور محمد ﷺ من بعده

فقد حكى متى أنه وهو جالس على جبل الزيتون ؛ تقدم إليه التلاميذ على انفراد ، وسألوه عن العلامات التى إذا حدثت ، يُهدم هيكل سيمان ، ويزول ملك بنى إسرائيل من أرض فلسطين والعالم ، وتنسخ شريعة موسى عليه السلام .

أولاً : العلامـــات

«فأجاب يسوع :

وقال لهم : انظروا . لايضلكم أحد . فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين : أنا هو المسيح . ويضلون كثيرين ، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب . انظروا لاترتاعوا . لأنه لابد أن تكون هذه كلها . ولكن ليس المنتهى بعدُ . لأنه تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن . ولكنَّ هذه كلَّها مبتدأ الأوجاع . حينئذ يسلّمونكم إلى ضيق ، ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمى . وحينئذ يعثر كثيرون ، ويسلمون بعضهم بعضا ، ويبغضون بعضهم بعضا ، ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين ، ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين ، ولكن الذى

يصبر إلى المنتهى ، فهذا يخلص ، ويُكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة ، شهادة لجميع الأمم ، ثم يأتى المنتهى»

التعليق

نتوقف عند هذا الحد من النص ونعلق عليه . ثم نذكر بعده مقطعا من النص ونعلق عليه . وهكذا حتى ينتهى النص كله . وهو نص يجب على المسلمين أن يكتبوه على أبواب بيوتهم بماء الذهب . لأنه شهادة لنبيهم المعظم من نبى كريم .

١ – تحدث عيسى عليه السلام عن أدعياء النبوة ، الذين سيأتون من بعد عيسى عليه السلام ويدعون أنهم هم «المسيح» فمن هو المسيح الذى سيدعون أنهم هو ؟

إن موسى قال فى التوراة لبنى إسرائيل : «يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطكِ من إخوتك مثلى . له تسمعون ... وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به» [تثنية ٨ : ١٥ الخ] وقد أطلق اليهود على هذا النبى الأمى – وهو محمد ﷺ – بلقب «المسيح» كما يطلقون على أنبيائهم وعلمائهم وملوكهم . وذلك فى محاولة منهم لخداع العالم بأنه سيكون منهم من بنى إسرائيل . وعيسى عليه السلام مسيح نبى وعالم . ولكنه ليس هو «المسيح» الذى تتحدث عنه هذه النبوءة . ويحذر عيسى عليه السلام أتباعه بأن كثيرين سيأتون باسمه . أى على قوله الذى قاله وهو أن المسيح المنتظر سيأتى من بعده . ويزعم كل منهم أنه هو المسيح . ويقول : «أنا هو المسيح» المنتظر الذى نبهتكم على مجيئه من بعدى . فلا تسمعوا لهم . لأنه لابد من علامات وأوصاف تراعونها منها : قيام حروب بين الأمم .

أما النصارى فإنهم يقولون : إن ملكوت السموات تأسس بعد خمسين يوما من رفع عيسى إلى السماء . ومن الرفع إلى يوم الخمسين ، لم تحصل علامة واحدة . فكيف يكون هو صاحب الملكوت ؟

ومن بعد رفعه إلى هذا اليوم لم يظهر «المسيح» حسب اعتقادهم . فإنهم

يعتقدون أنه هو عيسى عليه السلام . وإنما هو ظهور محمد ﷺ وقد حسب دانيآل عدد السنين التى سيأتى بعد تمامها . فقال : «سبعون أسبوعا قُضِيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة ، لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين ... الخ» فقدوس القدوسين أى المسيح الرئيس . سيظهر فى تمام هذه المدة ، أو قريبا منها . والذى ظهر وختم الرؤيا والنبوة هو محمد ﷺ

ومن العلامات : ظهور مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن . واضطهاد الأمم لتلاميذ المسيح عيسى عليه السلام ، وظهور أنبياء كذبة ، وينتشر الإنجيل فى كل المسكونة ، شهادة لجميع الأمم . وقد حصل هذا كله ، ثم أتى المنتهى وهو نهاية بركة إسحق فى الأمم على يد محمد ﷺ

ثانيا : هول الحرب

ونعود إلى النص السابق ونذكر مابعده مباشرة وهو :

«فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى ، قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارىء . فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال ، والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا . والذى فى الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام . وصلوا لكى لايكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت ؛ لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم ، لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن . ولن يكون . ولو لم تُقصَّر تلك الأيام لم يخلص جسد . ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام .

حينئذ إن قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا أو هناك ، فلا تصدقوا ؛ لأنه سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب ، حتى يُضلوا لو أمكن المختارين أيضا . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم .

فإن قالوا لكم : ها هو فى البرية ، فلا تخرجوا . ها هو فى المخادع فلا تصدقوا ؛ لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب . هكذا يكون أيضا مجىء ابن الإنسان ؛ لأنه حيثما تكن الجثة ، فهناك تجتمع النسور»

التعليق

ههنا يقول : إن أتباع صاحب ملكوت السموات ، سيتوجهون إلى المكان المقدس في أورشليم القدس . للقضاء على ملك بنى إسرائيل فيها . واستدل عيسى عليه السلام على توجه المسلمين إلى أورشليم بما جاء فى الأصحاح التاسع من سفر دانيال ، عن رجسة خراب دانيآل . وهو : «سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة ، لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين . فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع . واثنان وستون أسبوعا ، يعود ويبنى سوق وخليج فى ضيق الأزمنة . وبعد اثنين وستين أسبوعا ، يقطع المسيح وليس له . وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس . وانتهاؤه بغمارة . وإلى النهاية حرب وخرب ، قضى بها ، ويثبت عهدا مع كثيرين فى أسبوع واحد . وفى وسط الأسبوع يبطِّل الذبيحة والتقدمة ، وعلى جناح الأرجاس مخرب ، حتى يتم ويصب المقضى على المخرب» [دانيال ٩: ٢٤-٢٧]

والحساب يظهره الواقع . وقد حار المفسرون فيه . وقد وضحنا من الآراء فيه آراء فى كتاب البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل . والواضح من نص الرجسة هو : شدة الهول المصاحب لدخول المسلمين أرض القدس . وينصح عيسى أتباعه فى ذلك الوقت بأن يتفرقوا فى شعاب الجبال ، حتى تهدأ الأمور ، ثم يأتون ويسلمون أنفسهم للمسلمين ويكونون معهم على دينهم . ولولا رحمة الله بالمختارين الذين علم الله فى الأزل أنهم أمناء ، لطالت أيام الضيق . وسيجيء ابن الإنسان كالبرق . وابن الإنسان هو محمد ﷺ وكل مسلم أمين على دينه ، فإنه نائب عنه . وعبر بحيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور بأنه حيث يوجد ظلم فإن نسور العدل الإلهى تجتمع للقضاء عليه .

ثالثاً : تجمع المسلمين

ويستمر عيسى عليه السلام فى الحديث عن دخول المسلمين أرض القدس فيقول :

«وللوقت بعد ضيق تلك الأيام ، تظلم الشمس والقمر لايُعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء ، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت ، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح ، من أقصاء السموات إلى أقصائها . فمن شجرة التين تعلموا المثل . متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقها ، تعلمون أن الصيف قريب . هكذا أنتم أيضا . متى رأيتم هذا كله ؛ فاعلموا : أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل ، حتى يكون هذا كله .

السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامى لايزول . وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده . وكما كانت أيام نوح ، كذلك يكون أيضا مجىء ابن الإنسان ؛ لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ، إلى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك ، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع ؛ كذلك يكون أيضا مجىء ابن الإنسان . حينئذ يكون اثنان فى الحقل . يؤخذ الواحد ويترك الآخر ، اثنتان تطحنان على الرحى ، تُؤخذ الواحدة وتترك الأخرى»

التعليق

إنه يظهر بعبارات مجازية تشبيهية ضيق تلك الأيام . أيام دخول المسلمين أرض القدس ، فيقول : إن إظلام الشمس وهو كناية عن اشتداد الأهوال ، سيصاحبه ظهور علامة ابن الإنسان . وإذا ظهرت علامات مجيئه ستنوح قبائل اليهود فى الأرض ، وسيبصرون ابن الإنسان ، آتيا على سحاب السماء . أى مرتفعا ومتعظما ، لأن الله معه . ولسوف يرسل ابن الإنسان – وهو النبى

محمد ﷺ – ملائكته . أى أتباعه وأنصاره ، الذين يشبهون الملائكة فى الطهر والصلاح والتقى والعفاف . يرسلهم بإعلان عظيم لجميع الملوك والأمراء وذلك ليجمعوا المحبين لدينه من النصارى واليهود المختبئين فى الأديرة والكهوف خوفا من أذى أعدائهم ثم بين عيسى عليه السلام أن الزمن قد قرب لمجىء ابن الإنسان بقوله : «لايمضى هذا الجيل ، حتى يكون هذا كله» أى أن «ابن الإنسان» وهو محمد ﷺ قد اقترب زمانه . حسب سنين دانيال .

وقوله «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات ، إلا أبى وحده» قول يؤكد أن عيسى إنسان وليس بإله ، وذلك لأنه نفى علم الغيب عن نفسه ، وأثبته لخالقه وهو الله رب العالمين . ومن لا يعلم الغيب ، لايكون هو الله ، ولايكون إلها من الآلهة الثلاثة . وإنما يكون إنسانا من بنى آدم .

وقوله إن «ملائكة السموات» لاتعلم الغيب ، يدل على أن الملائكة : إذا نسبوهم إلى السماء ، فإنهم يعنون بهم الملائكة الذين هم أجسام نورانية ومنهم جبريل وميكائيل . وإذا نسبوهم إلى شخص ما ، من سكان الأرض ؛ فإنهم يعنون بهم الأتباع والأنصار والأعوان . وكذلك إذا نسبوا الملكوت إلى السماء ، فإنهم يعنون به : أنه من الله ، لا من آلهة غير الله فى الأرض ، وكذلك لو نسبوا الأب إلى السماء فإنهم ، يعنون به : الله عز وجل ، ولايعنون به الأب الطبيعى أو الشيخ أو المعلم . وهكذا . تلك هى لغة أهل الكتاب .

وما المراد باليوم والساعة ؟ إن النص متشابه يحتمل معنيين : أولهما : يوم القيامة . وثانيهما : يوم دخول المسلمين أورشليم . ولذلك يجب رده إلى المحكم . والمحكم فى هذا النص هو أ – «أسابيع دانيال» التى على تمامها يتم ختم الرؤيا والنبوة فى بنى إسرائيل ب – وقول المسيح عيسى عليه السلام طبقا لرواية لوقا : «هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ؛ فاعلموا : أن ملكوت الله قريب» [لوقا ٢١] والمتفق مع المحكم هو المعنى الثانى ، فيكون هو المراد .

رابعاً : نُصح عيسى لتلاميذه بالأمانة

ويقول عيسى عليه السلام لتلاميذه : اسهروا إذاً ؛ لأنكم لاتعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم . واعلموا هذا : أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق ، لسهر ولم يدع بيته يُنقب . لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين ؛ لأنه فى ساعة لا تظنون . يأتى ابن الإنسان .

فمن هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ، ليعطيهم الطعام فى حينه . طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده ، يجده يفعل هكذا . الحق أقول لكم : إنه يقيمه على جميع أمواله . ولكن إن قال ذلك العبد الردىء فى قلبه : سيدى يبطىء قدومه . فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى ؛ يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لاينتظره وفى ساعة لايعرفها ، فيقطِّعه ويجعل نصيبه مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»

إنه يلقب ابن الإنسان وهو محمد ﷺ بلقب «السيد» فيقول للتلاميذ : إنه : «ربكم» أى سيدكم ابن الإنسان . وقد نهاهم من قبل : أن يقولوا عن واحد منهم إنه «سيد» فإن سيدهم هو «المسيح المنتظر» الذى هو ابن الإنسان . فقد قال لهم : «وأما أنتم فلا تُدعوا سيدى؛ لأن معلمكم واحد : المسيح . وأنتم جميعا إخوة» [متى ٢٣ : ٨] ونصحهم بالاستعداد لمجيئه . بقوله لهم : «كونوا أنتم أيضا مستعدين ، لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان»

وبين لهم : أن العبد الأمين الحكيم – وهو يرمز به إلى المخلصين الذين لايريدون تحريف كلامه عن مواضعه ولا يريدون لبس الحق بالباطل – سيكون له حظ عظيم بين أتباع نبى الإسلام ﷺ وأما العبد الخائن الذى لايتبصر فى عواقب الأمور ، فإنه لن يكون له حظ عظيم . لأنه سيهلك وسيدخل النار من بعد الهلاك مع المرائين الذين يبكون فيها ويصرون أسنانهم ألما وخزيا .

مثل العذارى العشر

وقد ضرب المسيح فى هذا الحديث ثلاثة أمثلة لملكوت السموات . مثل العبد الأمين ، ومثل العذارى العشر ، ومثل الوزنات . والغرض منهم : هو الاستعداد لملكوت السموات .

قال المسيح عقب النص السابق مباشرة :

«حينئذ يُشبه ملكوت السموات عشر عذارى ، أخذن مصابيحهن ، وخرجن للقاء العريس . وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ، ولم يأخذوا معهن زيتا . وأما الحكيمات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن . وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن . ففى نصف الليل ، صار صراخ : هو ذا العريس مقبل فاخرجن للقائه . فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن . فقالت الجاهلات للحكيمات : أعطيننا من زيتكن ؛ فإن مصابيحنا تنطفىء . فأجابت الحكيمات قائلات : لعلَّه لايكفى لنا ، ولكن بل اذهبن إلى الباعة وابتعن لكن . وفيما هن ذاهبات ليبتعن ، جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب . أخيرا جاءت بقية العذارى أيضا قائلات : ياسيد . ياسيد . افتح لنا . فأجاب وقال : الحق أقول لكن : إنى ما أعرفكن .

فاسهروا إذاً لأنكم لاتعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان»

التعليق

لقد بدأ المثل بالحديث عن ملكوت السموات ، وختمه بإتيان ابن الإنسان . فيكون النص كله من أول قول متى : «وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا ... الخ» إلى قوله : «فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى ، والأبرار إلى حياة أبدية» عن ابن الإنسان صاحب الملكوت وهو محمد ﷺ مع ما فى الأناجيل عن مثل

الأمة الإسلامية الذى ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم فى سورة الفتح . وهو : «يشبه ملكوت السموات حبة خردل ، أخذها إنسان وزرعها فى حقله . وهى أصغر جميع البزور . ولكن متى نمت ، فهى أكبر البقول . وتصير شجرة ، حتى إن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها» [متى ١٢ : ٣١-٣٢]

والغرض من المثل : هو الاستعداد للدخول فى ملكوت السموات .

مثل الوزنات

«وكأنما إنسان مسافر ، دعا عبيده ، وسلمهم أمواله . فأعطى واحدا خمس وزنات ، وآخر وزنتين ، وآخر وزنة . كل واحد على قدر طاقته . وسافر للوقت . فمضى الذى أخذ الخمس وزنات وتاجر بها ، فربح خمس وزنات آخر . وهكذا الذى أخذ الوزنتين ، ربح أيضا وزنتين أُخريين . وأما الذى أخذ الوزنة فمضى وحفر فى الأرض وأخفى فضة سيده . وبعد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم . فجاء الذى أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات أخر قائلا : ياسيد خمس وزنات سلمتنى . هو ذا خمس وزنات أخر ربحتها فوقها . فقال له سيده : نعما أيها العبد الصالح والأمين . كنت أمينا فى القليل فأقيمك على الكثير . أُدخل إلى فرح سيدك .

ثم جاء الذى أخذ الوزنتين وقال : ياسيد وزنتين سلمتنى . هو ذا وزنتان أخريان ربحتهما فوقهما . قال له سيده : نعما أيها العبد الصالح الأمين . كنت أمينا فى القليل ، فأقيمك على الكثير . أدخل إلى فرح سيدك .

ثم جاء أيضا الذى أخذ الوزنة الواحدة . وقال : ياسيد عرفت أنك إنسان قاس ، تحصد حيث لم تزرع ، وتجمع من حيث لم تبذر . فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك فى الأرض . هو ذا الذى لك . فأجاب سيده ؛ وقال له : أيها العبد الشرير والكسلان ، عرفت أنى أحصد حيث لم أزرع ، وأجمع من حيث لم أبذر ، فكان ينبغى أن تضع فضتى عند الصيارفة . فعند مجيئى كنت آخذ الذى لى مع ربا . فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذى له العشر وزنات ؛ لأن كل من له يُعطى فيزداد ؛ ومن ليس له . فالذى عنده يؤخذ منه ، والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» .

التعليق

يقول النصارى : إن المرموز إليه بالوزنة الواحدة هم علماء بنى إسرائيل الذين لم يدعو الناس إلى الله ، حسب وعد الله لإبراهيم عليه السلام بأن يسير هو ونسله فى الدعوة إلى دينه . ولذلك قضى الله بأخذ الشريعة منهم وتسليمها إلى من يقوم بها خير قيام . ثم يقول النصارى : نحن الذين تسلمنا من علماء بنى إسرائيل . وقول النصارى الأخير باطل . وذلك لأن عيسى من بنى إسرائيل وهو مصدق للتوراة . وقال لعلماء بنى إسرائيل : إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . فالأمة الآتية لابد أن تكون من غير جنس بنى إسرائيل .

خامساً : تمييز الناس

ويستمر المسيح فى الحديث فيقول : «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه . فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض ، كما يميز الراعى الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار . ثم يقول المَلِك للذين عن يمينه : تعالوا يامباركى أبى ، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ؛ لأنى جعت فأطعمتمونى . عطشت فسقيتمونى . كنت غريبا فآويتمونى . عريانا فكسوتمونى . مريضا فزرتمونى . محبوسا فأتيتم إلىّ .

فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعا فأطعمناك ، أو عطشانا فسقيناك ، ومتى رأيناك غريبا فآويناك ، أو عريانا فكسوناك ، ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا ، فأتينا إليك ؟ فيجيب الملك ويقول لهم : الحق أقول لكم : بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر ، فبى فعلتم .

ثم يقول أيضا للذين عن اليسار : اذهبوا عنى ياملاعين إلى النار الأبدية ، المعدة لإبليس وملائكته ؛ لأنى جعت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى . كنت غريبا فلم تأوونى . عريانا فلم تكسونى . مريضا ومحبوسا فلم تزورونى .

حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين : يارب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك ؟ فيجيبهم قائلا : الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصغار ، فبى لم تفعلوه .

فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى ، والأبرار إلى حياة أبدية»

التعْليق

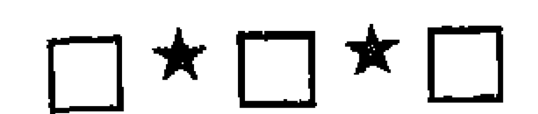
فى هذا الجزء يصف عيسى عليه السلام نبى الإسلام ﷺ بقوله : «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده ، وجميع الملائكة القديسيين معه» لم يقل عيسى عن نفسه . وإنما قال عن غيره . قال عن صاحب ملكوت السموات الذى لقبه دانيال بلقب «ابن الإنسان» ولو كان يقصد نفسه ، لقال : ومتى جئت فى مجدى . وهو لا يقصد نفسه وذلك لأنه قال عن نفسه : «تعليمى ليس لى ، بل للذى أرسلنى . إن شاء أحد أن يعمل مشيئته ، يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى ؟ من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذى أرسله ، فهو صادق وليس فيه ظلم» [يوحنا ٧ : ١٦-٨] فقد نفى المسيح عن نفسه أنه يطلب مجد نفسه . وأثبت أن الذى له المجد هو غيره ، هو ابن الإنسان . صاحب الملكوت . وذلك فى قوله : «أنا ليس بى شيطان . لكنى أكرم أبى وأنتم تهينونه . أنا لست أطلب مجدى . يُوجد من يطلب ويدين» [يوحنا ٨ : ٤٩-٥٠]

فمحمد ﷺ هو صاحب المجد . ولسوف يجىء من بعده . وكل فرد من أتباعه ينوب عنه فى تبليغ رسالته . وسيدخل رئيس جنده أرض أورشليم ومعه الملائكة القديسيون . أى الصحابة الأطهار الشبيهين بالملائكة الحقيقيين فى الطهر والصلاح . وإذا تمت لهم الغلبة على اليهود والنصارى ؛ فإن رئيس جنده ، النائب عنه – الملقب بالملك فى النص – يميز بين الناس الذين دخلوا فى دينه ، والذين لم يدخلوا ، تمييزا دقيقا كتمييز الراعى الخراف من الجداء .

أما المؤمنون الصادقون ؛ فإنهم هم الذين آووا ونصروا وأطعموا الجائع وسقوا العطشان . وهؤلاء لهم ميراث السموات والأرض .

وأما المنافقون فإنه يهلكمْ بالسيف ويقول لهم : اذهبوا إلى النار وبئس القرار . فإنه من بعد الموت ستدخلون النار مع الداخلين . مع إبليس واتباعه . ويقول فى سبب إهانته لهم : إنكم اضطهدتم أنصار الله ، ومن يضطهدهم يضطهدنى ، ومن يؤذيهم فقد آذانى .

هذا هو المعنى . وقد صاغه كاتب الإنجيل بعبارات مجازية تشبيهية كعادة أهل دينه . و لم يذكره من كتاب الأناجيل غيره . وإنما ذكروا العلامات ووقت الحرب والضيق العظيم وتجميع الصادقين فى دينهم وأمثلة من التى ضربها عيسى عليه السلام عن ملكوت السموات .



الفصل التاسع

الابن الوحيد

Begotten بجتن

For God so loved the world, that he gave his onhy begotten Son, that whosoever, believeth in him shoulol not Pevish, byt have

everlasting life وكلمة Son فيها الإس : كابيتل . أى أن الابن غير عادى . أى مولود فيها ولادة طبيعية . وفى بعض الترجمات Son Onhy أى الابن الوحيد[1] .

تقوم الملة النصرانية على أمرين رئيسيين :

أولهما : أن يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد .

وثانيهما : أن يسوع المسيح قد قتل وصلب من أجل خطايا العالمين .

أ – أما أنه قد قتل وصلب .

فإن الأناجيل الأربعة متناقضة فى قتله وصلبه . إذ فيها أنه بعدما قتل وصلب ، ظهر لتلاميذه وتحدث معهم وأكل وشرب . ولايمكن أن يظهر المقتول بعد ثلاثة أيام من وضعه فى القبر . ففى آخر إنجيل متى : أنه التقى بالتلاميذ وقال لهم : «دُفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ؛ فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» وأنه – طبقا لرواية لوقا – «قال لهم : أعندكم ههنا طعام ؟ فناولوه جزءا من سمك مشوى ، وشيئا من شهد عسل ، فأخذ وأكل قدامهم» [لوقا ٢٤ : ٤١-٤٣]

---

(١) «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد . لكى لايهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية» [يوحنا ٣:١٦] .

والأناجيل الأربعة متناقضة فى سرد حادثة القتل والصلب . وهى أيضا مع إنجيل برنابا والتواريخ الأولى للنصرانية متناقضة . فإن برنابا حكى أن الذى قتل وصلب هو يهوذا الاسخريوطى . ومن الأمثلة على تناقض الأناجيل الأربعة هذا المثال . وهو : روى مَتَّى : «وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جميع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا : الذى أُقبِّله هو هو . أمسكوه . فللوقت تقدم الى يسوع ، وقال : السلام ياسيدى . وقبَّله . فقال له يسوع : ياصاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه» [متى ٢٦ : ٤٧-٥٠] وروى يوحنا : «فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين ، وجاءوا إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح . فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه . وقال لهم : مَن تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى . قال لهم يسوع : أنا هو . وكان يهوذا مُسلِّمه أيضا واقفاً معهم . فلما قال لهم إنى أنا هو ، رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض . فسألهم أيضا : من تطلبون ؟ فقالوا : يسوع الناصرى . أجاب يسوع : قد قلت لكم : إنى أنا هو» [يوحنا ١٨: ٣-٨]

ب — وأما أن القتل والصلب كان فداء عن خطايا آدم وبنيه إلى مجىء زمان المسيح ، وعن كل من يؤمن به من بعد زمان مجيئه .

فإن التوراة تكذب ذلك ، وأسفار الأنبياء أيضا ، والأناجيل الأربعة .

ففى سفر التثنية : «لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يُقتل الأولاد عن الآباء . كل إنسان بخطيته يُقتل» [تثنية ٢٤:١٦]

وفى سفر حِزقيال : «الابن لايحمل من إثم الأب . والأب لايحمل من إثم الإبن . بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون» [حزقيال ١٨ : ٢٠]

وفى إنجيل متى يقول عيسى عليه السلام : «فكل من يسمع أقوالى هذه ، ويعمل بها ، أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر . فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت ، فلم يسقط لأنه كان مؤسسا على الصخر . وكل من يسمع أقوالى هذه ولايعمل بها ، يشبه برجل جاهل

بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت ، فلم يسقط لأنه كان مؤسسا على الصخر . وكل من يسمع أقوالى هذه ولايعمل بها ، يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت ، فسقط . وكان سقوطه عظيما» [متى ٧:٢٤-٢٧]

ج – وأما أن يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد .

فليس هو ابن الله الوحيد ، لا بالطبيعة ولا بالمحبة . وابن الله الوحيد . له معنى عند أهل الكتاب . إذ هو اصطلاح خاص للدلالة على شىء معين . ومعناه عند اليهود يختلف عن معناه عند النصارى . وإنه ليوجد فرق كبير عندهما بين أ – ابن الله ب – وابن وحيد لله . فما هو هذا الفرق ؟

يعتقد اليهود والنصارى أنهم جميعا أبناء الله وأحباؤه . بمعنى المنتسبين إليه . على عكس أبناء الشيطان فاعلى الشرور والآثام . وقد صرحوا بذلك الاعتقاد مع نفى المثل والشبه عن الله رب العالمين .

فإن فى كتبهم : «أنتم أولاد للرب إلهكم» [متى ٩:٥] «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله . أى المؤمنون باسمه» [يوحنا ١٢:١]

وعلى تلك النصوص التى ذكرناها من التوراة وأسفار الأنبياء والأناجيل الأربعة ، يكون لقب «ابن الله» متفقا عليه بين اليهود والنصارى ، ليوضع على كل يهودى أو نصرانى . فالخلاف بينهم إذن ليس فى «ابن الله» وإنما هو فى الابن الوحيد لله . فمن هو هذا الابن ؟ هذا سؤال أول . وما الخلاف فى مدلولة بين اليهود والنصارى ؟ هذا سؤال ثان . وهل هو ابن طبيعى كما يتناسل الابن من أبيه ، أم هو ابن على معنى المحبة والقرب من الله ؟ هذا سؤال ثالث . وقبل الإجابة على هذه الأسئلة ، يتعيّن ذكر النص على الابن الوحيد ، ويتعين شرحه وبيان معناه .

والنص على الابن الوحيد هو :

قال داود عليه السلام : «لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب فى الباطل ؟

قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه . قائلين : لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما .

الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى .

إنى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأرض ملكا لك . تحطمهم بقضيب من حديد . مثل إناء خزاف تكسرهم .

فالآن يا أيها الملوك تعقلوا . تأدبوا ياقضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة . قبِّلوا الابن لئلا يغضب ، فتبيدوا من الطريق ؛ لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه» [مزمور ٢:١-١٢]

هذا هو الدليل الكتابى على «الابن الوحيد لله» ويتفق اليهود والنصارى على أن هذا النص نبوءة عن «النبى الأمى» الذى أخبر عن مجيئه موسى عليه السلام لينسخ شريعته فى قوله : «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك . مثلى . له تسمعون» فالنبى الأمى هو نفسه «الابن الوحيد لله» تحدث عنه موسى بلقب «نبى» وتحدث عنه داود بلقب «ابن الله»

وأطلق علماء بنى إسرائيل لقب «المسيح» على النبى الأمى ، الذى لقبه داود بلقب ابن الله . فالمسيح والنبى والابن ، هم ثلاثة ألقاب لمسمى واحد . واليهود والنصارى متفقون على أن الثلاثة لمسمى واحد . هو النبى المنتظر . والخلاف بين اليهود والنصارى فى أمرين :

الأمر الأول : أن النصارى يقولون : إن هذا الواحد هو يسوع . وقد تمت به كل النبوءات المذكورة فى التوراة وأسفار الأنبياء عن النبى الآتى . واليهود يقولون : إن هذا الواحد لم يظهر بعدُ .

والأمر الثانى : إن اليهود يقولون : إن «الابن الوحيد لله» يراد به الدلالة على النبى الآتى بالمعنى المجازى . ويقول النصارى :

أ - الكاثوليك والبروتستانت : إنه يراد به الدلالة على النبى الآتى بالمعنى الطبيعى للولادة .

ب – الأرثوذكس : إنه يراد به الدلالة على النبى الآتى بالمعنى المجازى للولادة ولأن التعبير من زمان داود ، فإنه يجوز إطلاق لفظ الأزل عليه باعتبار أن داود أقدم من يسوع فى الزمان .

ولذلك يترجم الكاثوليك والبروتستانت لفظ «الابن الوحيد» بـ «بجتن» الذى يدل عَلى الولادة الطبيعية . لأنهم يعتقدون أن عيسى عليه السلام إله من الآلهة الثلاثة ، وأنه منفصل عن الإله الآب .

ويترجم الأرثوذكس لفظ « الابن الوحيد » بـ « صَن أُونلى » الذى لا يدل ولا يشير إلى ولادة طبيعية . لأنهم لا يعتقدون أن عيسى ابنا طبيعيا . وإنما يعتقدون أن عيسى هو الله رب العالمين . فالابن عند الأرثوذكس مجاز . وعند الكاثوليك والبروتستانت حقيقة .

وسأبين الآن أن النبى الآتى هو المسيح المنتظر . وأن الابن الوحيد هو المسيح المنتظر ، والمسيح المنتظر يعبرون عنه أيضا بلقب «المَسِيَّا»

أولاً : فى سفر التثنية :

«يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى . له تسمعون ... قال لى الرب : قد أحسنوا فى ماتكلموا . أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى . أنا أطالبه . وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، فيموت ذلك النبى ... الخ» [تثنية ١٨:١٥-٢٢]

يقول هودجكن فى كتابه المسيح فى جميع الكتب : «مسيا الموعود : إن سفر التثنية يبلغ إلى ذروة المجد حينما انعكس على موسى بهاء جلال المسيا ، بأن يأتى على مثاله «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى . له تسعون» [تث ١٨:١٥] نرى هنا ضرورة التجسد لكل وظيفة من وظائف المسيح الثلاث نبى وكاهن وملك لأنه ينبغى لكل خدمة من هذه الخدمات الثلاث ، واحد من إخوتنا ، بشر مثلنا ، جسدا ودما»[1]

---

(١) ص ٧٦ المسيح فى جميع الكتب .

فهذا النص الذى يدل على النبى الأمى ، هو نفسه الذى يدل على المسيا أى المسيح .

ثانياً : فى زبور داود :

التعبير : قال لى أنت ابنى . استدل به عيسى عليه السلام على مجىء النبى المنتظر من بعده ، وكتاب الأناجيل كتبوا أن «نثنائيل» قال لعيسى عليه السلام : أنت هو ابن الله . أى النبى المنتظر . وفسر مفسرو الإنجيل بأن «ابن الله» لقب للمسيا . فقد قال متى هنرى فى تفسير «أجاب نثنائيل ...» مانصه : «ونال نثنائيل بهذا إيمانا وطيدا بيسوع المسيح ، يعبر عنه هذا الاعتراف النبيل : «يامعلم أنت ابن الله . أنت ملك إسرائيل . أى بالإيجاز : أنت المسيا الحقيقى[1] »

وليس من المهم ههنا شرح الكلام وإيضاحه . وهو مشروح وموضح فى كتاب المسيا المنتظر نبى الإسلام ﷺ وإنما المهم هو بيان أن الابن الوحيد هو المسيا ، وأن النبى الأمى هو المسيا فالتعابير مختلفة لمعنى واحد . فمن هو المسيا ؟

إن الكلام فى بجتن هو نفسه الكلام فى المسيا . ومن الواجب معرفة المحكم والمتشابه فى التوراة والإنجيل لمعرفة أن الابن الوحيد لله ليس على المعنى الحقيقى الطبيعى ، بل على المعنى المجازى .

ففى سفر إشعياء : «فبمن تشبهون الله ؟ وأى شبه تعادلون به ؟» [اش ١٨:٤٠] ويقول موسى بن ميمون فى دلالة الحائرين[2] : «إن التوراة تكلمت عن الله بلسان بنى آدم – أى وصفته بصفات البشر ليفهم بنو آدم – وأن معتقد التجسيم لم يدعه إلى التجسيم نظر عقلى ، بل تبع ظواهر نصوص الكتب» ويقول ابن ميمون : «إن كل مايؤدى إلى الجسمانية ، أو مايؤدى إلى انفعال وتغير ، أو مايؤدى لعدم – مثل أن لا يكون له شيء بالفعل ، ثم يصير بالفعل – أو مايؤدى لشبه شيء من مخلوقاته ؛ يلزم نفيه عن الله بالبرهان

(١) تفسير إنجيل يوحنا لمتى هنرى ج ١

(٢) فصل ٥٣ ، ٥٥ دلالة الحائرين .

الواضح . وقد صرح فى كتب الأنبياء بنفى التشبيه . فقال : «فبمن تشبهوننى فأساويه» [إش ٤٠:٢٥] وقال : «فبمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون به ؟» [إش ٤٠:١٨] وقال : «إنه لانظير لك يارب» [إرمياء ١٠:٦]

وينفى علماء بنى إسرائيل المكان والجهة عن الله تعالى ، ويثبتون أنه برحمته فى كل مكان وبعلمه . وأما ذاته فليس لها من مكان وليس لها من جهة .

ففى كلمة القرب . يقول موسى بن ميمون : هو الدنو من الشىء على الحقيقة . وأما على المجاز فقد يكون بمعنى اتصال العلم بالمعلوم . فكأنه شبه بقرب جسم من جسم . مثل : «فإن قضاءها بلغ إلى السموات» [إر ٥١:٩] «وأى أمر صعب عليكم فارفعوه إلىّ» [تث ١:١٧] أى أعلمونى به «إن الشعب يتقرب إلىّ بفيه ويكرمنى بشفتيه» [آش ٢٨:١٣] وليس المعنى أن اليهود يتقربون إلى ذات الله تعالى بأفواههم على الحقيقة .

يقول موسى بن ميمون : «فكل لفظة من القرب والتقدم ، تجدها جاءت فى كتب النبوة بين الله تعالى وبين مخلوق من المخلوقات ، فهى كلها من هذا المعنى الأخير (المجازى) لأن الله تعالى ليس هو جسما . فلا هو تعالى يدنو ولا يقرب من شىء . ولاشىء من الأشياء يقرب منه ، أو يدنو به – تعالى – إذ بارتفاع الجسمانية يرتفع المكان ويبطل كل قرب ودنو أو بعد أو اتصال أو انفصال أو تماس أو تتال . وما أراك تشك ولا يلتبس عليك قوله – أى قول الله فى التوراة – : «الرب قريب من جميع دعاته» [مزمور ١٤٥:١] فالمراد : قرب وعلم . أعنى إدراك علمى لاقرب مكان» أ.هـ

فعلماء بنى إسرائيل لايعترفون بالجسمية ولا بالمكانية لله تعالى . ويقولون فى غضب الله ومكره وما أشبه ذلك : إن التعابير ليست على الحقيقة وإنما هى على المجاز . بمعنى : أن الله يكلم الناس على قدر عقولهم .

ونص المزمور الثانى عن الابن الذى قالوا : إنه هو المسيا . فيه : أن الساكن فى السموات يضحك ويستهزىء . فهل الله فى مكان هو السموات ؟ وهل هو يضحك ويستهزىء ؟ يقول علماء بنى إسرائيل : إن الله يكلم الناس على قدر عقولهم وهو ليس فى مكان بذاته محدد ومعين ، وليس هو إنسان حتى يضحك ويستهزىء .

وقد حكى برنابا عن عيسى عليه السلام :

«حينئذ ارتقى يسوع أحد الحجارة الاثنى عشر التى أمر يشوع الاثنى عشر سبطا أن يأخذوها من وسط الأردن . عندما عبر إسرائيل من هناك دون أن تبتل أحذيتهم ، وقال بصوت عال : ليصعد كاهننا إلى محل مرتفع حيث يتمكن من تحقيق كلامى . فصعد من ثم الكاهن إلى هناك . فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه : قد كتب فى عهد الله الحى[1] وميثاقه : إن إلهنا قد برأ كل شىء بكلمته فقط[2] فأجاب الكاهن : إنه لكذلك . فقال يسوع : إنه مكتوب هناك : أن الله لايرى[3] وأنه محجوب عن عقل الإنسان ؛ لأنه غير متجسد وغير مركب وغير متغير . فقال الكاهن : إنه لكذلك حقا . فقال يسوع : إنه مكتوب هناك : كيف أن سماء السموات لاتسعه[4] . لأن إلهنا غير محدود . فقال الكاهن : هكذا قال سليمان النبى يايسوع . قال يسوع : إنه مكتوب هناك : أن ليس لله حاجة ؛ لأنه لا يأكل ولاينام ولايعتريه نقص . قال الكاهن : إنه لكذلك . قال يسوع : إنه مكتوب هناك : إن إلهنا فى كل مكان ، وأن لا إله سواه ، الذى يضرب ويشفى ويفعل كل مايريد[5] . قال الكاهن : هكذا كتب . حينئذ رفع يسوع يديه . وقال : أيها الرب إلهنا . هذا هو إيمانى الذى آتى به إلى دينونتك ، شاهدا على كل من يؤمن بخلاف ذلك» [برنابا ٩٥:٢-١٧]

ومعنى المزمور هو :

يشير داود - عليه السلام - بظهر الغيب إلى أن الأمم والشعوب ، سوف يرفضون الإسلام فى أول ظهروه . وأن الملوك والرؤساء سيتآمرون على رفض شريعة الله ، وقتل مسيحه - المسيا - النبى الذى وعد الله به . ولكن الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون . ولسوف يحقق وعده بإرسال مسيحه - المسيا الملك - وسوف يجعله ملكا على جبل صهيون .

---

(١) المزمور التسعون - الآية الثانية .

(٢) مزمور ٣٣:٦

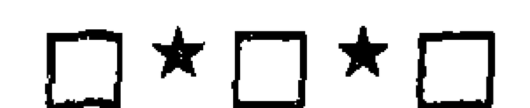
(٣) يقول أشعياء : «حقا أنت إله محتجب يا إله إسرائيل» [اش ٤٥:١٠]

(٤) الملوك الأول ٨:٢٧

(٥) التثنية ٣٢:٣٩

ثم يقول داود عليه السلام : إننى أخبر بما قضى الله وقدر أزلا . وهو أن الله قال للمسيح المنتظر : أنت ابنى . أى قريب منى ، محبب إلىّ . أنا اليوم قدرت وجودك من قبل أن تخلق ، ونبهت الناس على بعثتك . وسوف ترث الأمم ، ويمتد ملكك إلى الأراضى البعيدة ، إذا طلبت منى . وسوف تحطم الأعداء بقضيب من حديد ، ولن تقوم للأعداء بعد ذلك قائمة ، كإناء الخزف الذى يكسر ولايمكن أن يلتئم . ثم يقدم داود عليه السلام النصيحة للملوك والقضاة : أن يتعقلوا ويتأدبوا ويعبدوا الله خائفين من عقابه ، وأن يعبدوا الله حسب الشريعة الآتية مع المسيا الابن ؛ لئلا يُسير إليهم الجيوش من أتباعه ، فتهلكهم . وأخيراً يقول داود عليه السلام : طوبى لجميع المتكلين على الله .

ذلك هو الكلام فى «بجتن» begotten لمن يريد أن يتكلم فيها[1] .



(٢) راجع فصل أقنوم الابن فى كتاب أقانيم النصارى .

الفصل العاشر

رب السبت

أقوال المسيح عيسى عليه السلام تبين إنه :

١ - كان مصدقا للتوراة .

٢ - ومبشرا بمحمد ﷺ

وكان يستشهد بنصوص التوراة وأسفار الأنبياء على التصديق والتبشير .

أ - وما صدر منه مما ظنه اليهود مخالفة للتوراة ؛ والأسفار ، قد استشهد عليه من التوراة والأسفار بنصوص تنفى المخالفة .

ب - والأقوال التى قال النصارى إنها صدرت منه وحده ، ولم يقلها أى نبى قبله ، تبين إنه قالها عن غيره ولم يأت بجديد عمن سبقه .

وهذه هى الأدلة على ماقلنا :

أولاً : تصديق المسيح للتوراة :

يقول متى : «ولما نزل من الجبل ، تبعته جموع كثيرة . وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا : ياسيد إن أردت ؛ تقدر أن تطهرنى . فمد يسوع يده ولمسه قائلا : أريد ؛ فاطهر . وللوقت طهر برصه . فقال له يسوع : انظر أن لاتقول لأحد ، بل اذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم القربان الذى أمر به موسى ، شهادة لهم» [متى ٨:١-٤]

فقوله : «قدم القربان الذى أمر به موسى» دليل على أنه مصدق للتوراة .

وفى إنجيل برنابا : «أجاب يوحنا : يامعلم لنغتسل كما أمر الله على لسان موسى . قال يسوع : أتظنون أنى جئت لأبطل الشريعة والأنبياء ؟ الحق أقول لكم : لعمر الله إنى لم آت لأبطلها ولكن لأحفظها . لأن كل نبى حفظ شريعة

الله . وكل ما تكلم الله به على لسان الأنبياء الآخرين . لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته لايمكن أن يكون مرضيا لله من يخالف أقل وصاياه . ولكنه يكون الأصغر فى ملكوت الله ، بل لايكون له نصيب هناك . وأقول لكم أيضا : إنه لايمكن مخالفة حرف واحد من شريعة الله إلا باجتراح أكبر الآثام»

[بر ٣٨:١-٨]

ثانياً : تبشيره بمحمد ﷺ :

فى الأصحاح السابع من سفر دانيال عن محمد ﷺ مانصه :

«فى السنة الأولى لبيلشاصَّر ملك بابل ، رأى دانيال حلما . ورؤى رأسه على فراشة حينئذ كتب الحلم وأخبر برأس الكلام . أجاب دانيال وقال : كنت أرى فى رؤياى ليلا وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير ، وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة . هذا مخالف ذاك . الأول كالأسد ، وله جناحا نسر . وكنت أنظر حتى انتتف جناحاه ، وانتصب عن الأرض وأُوقف على رجلين ، كإنسان وأعطى قلب إنسان . وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب ، فارتفع على جنب واحد ، وفى فمه ثلاث أضلع بين أسنانه . فقالوا له هكذا : قم كل لحما كثيرا .

وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النمر ، وله على ظهره أربعة أجنحة طائر . وكان للحيوان أربعة رؤوس وأعطى سلطانا . بعد هذا كنت أرى فى رؤى الليل وإذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جداً وله أسنان من حديد كبيرة . أكل وسحق وداس الباقى برجليه . وكان مخالفا لكل الحيوانات الذين قبله . وله عشرة قرون . كنت متأملا بالقرون ، وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه . وإذا بعيون كعيون الإنسان فى هذا القرن ، وفم يتكلم بعظائم . كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام . لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى ، وعرشه لهيب نار ، وبكراته نار متقدة .

نهر نار جرى وخرج من قدامه . ألوف ألوف تخدمه ، وربوات ربوات وقوف قدامه فجلس الدين وفتحت الأسفار . كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمة العظيمة التى تكلم بها القرن . كنت أرى إلى أن قتل الحيوان

وهلك جسمه ودفع لوقيد النار . أما باقى الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت .

كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقر بوه قدامه فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض» [دانيال ٧:١-١٤]

يقول النصارى : إن الحيوان الأول المرموز له بالأسد . هو مملكة نبوخذ نصّر ملك بابل . والحيوان الثانى المرموز له بالدب . هو مملكة أهل فارس . والحيوان الثالث المرموز له بالنمر هو مملكة اليونان . والحيوان الرابع الهائل جدا هو المملكة الرومانية . وقد ولد عيسى عليه السلام بعد ثلاث وستين من تسلطها على أورشليم .

وبعد الحيوان الرابع يأتى ملكوت السموات . المشار إليه بـ «وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان» ... الخ

وقد ولد عيسى ويحيى عليهما السلام بعد ثلاث وستين سنة من تسلط الرومان على أورشليم . وبينا : أن ملكوت السموات ، سيتأسس من بعدهما :

فقد قال متى : «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٣:١]

«من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يَكْرِز ويقول : توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤:١٧]

وضرب مثلا لملكوت السموات ، جاء ذكره فى القرآن الكريم وهو : «يشبه ملكوت السموات حبة خردل . أخذها إنسان وزرعها فى حقله . وهى أصغر جميع البزور . ولكن متى نمت فهى أكبر البقول وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها» [متى ١٣:٣١-٣٣]

اسم أحمد :

وأما اسم أحمد ﷺ فهو «بيركْليت» فى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل

يوحنا . وبدله الآن فى التراجم كلمة «المعزى» وهو أيضا فى كلمة «إيليَّاء» بحساب الجمل .

اسم محمد :

وأما اسم محمد ﷺ فهو فى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين فى بركة إسماعيل . فإن «بماد ماد» تساوى اسم «محمد» بحساب الجُمَّل . وكذلك «لجوى جدول» تساوى اسم « محمد» بحساب الجمل . وهذا مبين فى كتاب «البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل»

ثالثا : استشهاد المسيح من التوراة وأسفار الأنبياء :

استدل المسيح عليه السلام على ملك محمد ﷺ ونبوته بنصوص من سفر دانيآل – وهو سفر من أسفار الأنبياء – واستدل أيضا على ملكه ونبوته ﷺ بنصوص من المزامير وغيرها . والمحرفون للأناجيل فى مجمع نيقية أخذوا النبوءات التى عن النبى المنتظر ووضعوها عليه – مع أنه لاذكر له البتة فى أى سفر من أسفار التوراة والأنبياء – مثل ما فى الأصحاح الثامن من إنجيل متى وهو «ولما جاء يسوع إلى بيت بطرس رأى حماته مطروحة ومحمومة ، فلمس يدها فتركتها الحمى . فقامت وخدمته ، ولما صار المساء قدموا إليه مجانين كثيرين ، فأخرج الأرواح بكلمة ، وجميع المرضى شفاهم . لكى يتم ماقيل بإشَعياء النبى القائل : هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا» [متى ٨:١٤–١٧]

فإن قول إشعياء وهو «أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا» موضوع للدلالة على أن النبى المنتظر سيكون رفوقا ورءوفا على أمته .

وقد ذكرنا أصل نبوءة ملكوت السموات . وها نحن نذكر أصل نبوءة «مبارك الآتى باسم الرب» :

ففى المزمور المائة والثامن عشر يقول داود عليه السلام : «احمدوا الرب لأنه صالح ؛ لأن إلى الأبد رحمته» – «الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية . من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا . هذا هو اليوم الذى صنعه الرب نبتهج ونفرح فيه . آه يارب خلِّص . آه يارب أنقذ . مبارك الآتى باسم الرب . باركناكم من بيت الرب . الرب هو الله . وقد أنار لنا . أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح»

هذا المزمور الذى يشير إلى اسمٍ ، فيه حمد لله تعالى ، ويشير إلى الحجر الذى صار رأس الزاوية ، كناية عن ملك ونبوة نسل هاجر جارية سارة ، أم إسماعيل عليه السلام . يشير إلى نسخ شريعة موسى بقوله «أوثقوا الذبيحة برُبُط إلى قرون المذبح» ويشير إلى محمد ﷺ بقوله «مبارك الآتى باسم الرب»

هذا المزمور ، استدل به عيسى عليه السلام على محمد ﷺ فى مثل الكرامين الأردياء . فإنه لما ضرب مثلا على انتقال ملكوت السموات من علماء بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل ، واستبعد علماء بنى إسرائيل نزع الملكوت منهم . استشهد بقول داود عليه السلام . وهو «الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . مِنْ قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه» [متى ٢١: ٤٢-٤٤]

وقال لشعب بنى إسرائيل : «إنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب» [متى ٢٣ : ٣٩]

فمن هو المبارك الآتى ؟

إنه هو محمد ﷺ وحتى تقولوا : نص متشابه يحتمل معنيين : المعنى الأول : إنهم يرون عيسى عليه السلام بعدما يروا المبارك . والمعنى الثانى : إن المبارك إذا جاء يكون نائبا عن عيسى عليه السلام . فكأنه يقول : إنكم لا تروننى من الآن . وإذا جاء المبارك تروننى فى شخصه . وعلى الرأى الأول ينزل عيسى لتكميل الملكوت . وعلى الرأى الثانى لا ينزل . والرأى الثانى هو الصحيح . لأن محكمه الموافق له هو قول عيسى عليه السلام : «ولست أنا بعد فى العالم» [يوحنا ١١:١٧]

وقوله : «مبارك الآتى باسم الرب» يدل على الانفصال التام بين أ - المبارك ب - والرب .

وأن المبارك سيأتى من قبل الله ، لا أن المبارك هو نفسه الرب - على مذهب الأرثوذكس - فإنهم يقولون إن الله هو المسيح . كيف يكون هو .

وهذا القول يثبت الانفصال ؟ أما على مذهب الكاثوليك القائلين بانفصال الله عن المبارك الذى هو المسيا فى نظرهم . فإن أوصاف المسيا تدل على شخص بشرى لا شخص إلهى - كما بينا -

رابعاً : استشهاد المسيح بآيات الكتاب على نفى مخالفته للتوراة وأسفار الأنبياء :

إن يوم السبت ، يوم مقدس فى شريعة التوراة . ويحرم العمل فيه . وذلك لأنه فى الأصحاح العشرين من سفر الخروج يوصى بعشر وصايا منها : «اذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك . لاتصنع عملا ما . أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك» والعمل المحرم فى يوم السبت هل هو مطلق عمل من زراعة وفلاحة وعمل طبخ وغسل ثوب وإيقاد سرج وكنس بيت ، أم هو العمل المعتاد الذى يجلب المعاش ؟ وأياما كان الخلاف - والمحرم هو عمل المعاش - فلو فرضنا أن إنسانا احتاط لنفسه وامتنع عن مطلق عمل . ثم رأى أعمى سيسقط فى بئر . فهل يبعده عنه أم لا ؟ إنه إن اجتهد فى إبعاده ، فإنه يكون قد عمل عملا . وهب أن إنسانا ورعا ، رأى خروفا له سيسقط فى حفرة ، وإن سقط فيها فإنه سيموت . فهل يعمل لإنقاذه أم لا ؟ وهب أن طبيبا ورعا ، رأى فى يوم السبت مريضا . أيشفيه أم لا ؟ إنه إن شفاه فإنه يكون قد عمل عملا ما ، وإن تركه فربما يموت . وهلاك النفس مذموم .

فعمل الخير يختلف عن مطلق عمل . والتوراة لاتحرم عمل الخير فى السبت أو فى غير السبت . وإنما تحرم عمل المعاش والكسب . يقول متى : «ثم انصرف من هناك وجاء إلى مجمعهم . وإذا إنسان يده يابسة ، فسألوه قائلين : هل يحل الإبراء فى السبوت ؟» أى هل يحل شفاء المرضى ؟ «فقال لهم : أى إنسان منكم يكون له خروف واحد . فإن سقط هذا فى السبت فى حفرة . أفما يمسكه ويقيمه ؟ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف . إذاً يحل فعل الخير فى السبوت» [متى ١٢:٩-١٢]

وفى يوم من الأيام كان المسيح وتلاميذه يسيرون فى يوم سبت من قرية إلى أخرى . وكان طريقهم على حقول قمح . فلما جاعوا . فركوا سنابل

وأكلوا . وعندئذ ثارت ثائرة علماء بنى إسرائيل الفريسيين عليه . لأنه اعتدى على حرمة السبت من جهة أنه سمح لتلاميذه بعمل فى السبت وهو قطف سنابل .

فلما سمع المسيح قولهم . نفى تهمة المخالفة للناموس ، بالناموس .

نفى تهمة المخالفة للناموس التى هى العمل فى يوم السبت . بالناموس أى احتج على صحة فعل تلاميذه بالتوراة .

فإنه فى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر صموئيل الأول : أن داود عليه السلام ذهب إلى «أخيمالك» الكاهن لا إلى «أبياثار» كما قال مرقس . وطلب منه خبزا ، فقال له : «لا يوجد خبز محلل تحت يدى ، ولكن يوجد خبز مقدس» - «فأعطاه الكاهن المقدس ؛ لأنه لم يكن هناك خبز إلا خبز الوجوه المرفوع من أمام الرب» أى أن الكاهن سلّم داود فى أيام جوعه ، من الخبز المحرم على غير اللاويين ، فإن داود ليس من اللاويين وإنما هو من سبط يهوذا . فالضرورة التى ألجأت داود لكسر الناموس ، هى نفسها التى ألجأت تلاميذ المسيح لكسر الناموس . فلماذا تعدون فعل تلاميذى مخالفة للناموس ؟ يقول المسيح .

أ - فى الأصحاح السادس من إنجيل لوقا : «وفى السبت بعد الأول اجتاز بين الزروع . وكان تلاميذه يقطفون السنابل ويأكلون وهم يفركونها بأيديهم . فقال لهم قوم من الفَريسيين : لماذا تفعلون مالا يحل فعله فى السبوت ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : أما قرأتم ولا هذا الذى فعله داود حين جاع هو والذين كانوا معه . كيف دخل بيت الله وأخذ خبز التقدمة وأكل وأعطى الذين معه أيضا . الذى لايحل أكله إلا للكهنة فقط ؟ وقال لهم : إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضا» [لوقا ٦:١-٥]

ب - وفى الأصحاح الثانى عشر من انجيل متى : «فى ذلك الوقت ذهب يسوع فى السبت بين الزروع . فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون . فالفرِّيسيون لما نظروا قالوا له : هو ذا تلاميذك يفعلون مالا يحل فعله فى السبت . فقال لهم : أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه . كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ، ولا للذين

معه ، بل للكهنة فقط ؟ أو ما قرأتم فى التوراة : أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء ؟ ولكن أقول لكم : إن ههنا أعظم من الهيكل . فلو علمتم ماهو ؟ إنى أريد رحمة لا ذبيحة ، لما حكمتم على الأبرياء . فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضا» [متى ١٢:١-٨]

ج – وفى الأصحاح الثانى من إنجيل مَرقس : «واجتاز فى السبت بين الزروع . فابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون . فقال له الفريسيون : انظر . لماذا يفعلون فى السبت مالا يحل ؟ فقال لهم : أما قرأتم قط مافعله داود ، حين احتاج وجاع هو والذين معه . كيف دخل بيت الله فى أيام أبياثار رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة ، الذى لايحل أكله إلا للكهنة ، وأعطى الذين كانوا معه أيضا . ثم قال لهم : السبت إنما جعل لأجل الإنسان ، لا الإنسان لأجل السبت . إذًا ابن الإنسان هو رب السبت أيضا» [مرقس ٢:٢٣-٢٨]

التعليق

خالف مرقس كلام التوراة فى اسم رئيس الكهنة فهو عنده «أبياثار» لا «أخيمالك» واتفق الثلاثة على أن المسيح برر فعل تلاميذه فى حالة الاضطرار بفعل داود عليه السلام . وعليه . تكون المخالفة قد انتفت تماما .

لكن انظر إلى قوله : «**فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضا**»

ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً

ماذا ترى فى قول المسيح عليه السلام : «إن ابن الإنسان هو رب السبت أيضا» ؟

إن موسى بن عمران عليه السلام هو رب السبت الأول . وكلمة «أيضا» تدل على رب ثان للسبت . فمن هو ؟ ومعنى رب السبت : أى صاحب السبت . فمن صاحبه الثانى ؟

إن دانيآل النبى لقَّب صاحب ملكوت السموات بلقب « ابن الإنسان » وقال : إنه سيتأسس بعد سبعين أسبوعاً . أى ٧٠ × ٧ سنين = ٤٩٠ سنة . وأياً كان بدء الحساب . فإنه لا يتأسس على يد عيسى عليه السلام لأن المملكة الرابعة وهى مملكة الرومان لم تزل إلا على يد العرب بنى إسماعيل عليه السلام . فمن هو ابن الإنسان الذى هو مهيمن على السبت ؟

إنه هو صاحب ملكوت السموات . وإنه ربه ، بمعنى أنه إما أن يقره كما أقره موسى عليه السلام وإما أن ينسخه لأن له فيه الملك ، كما كان لموسى فيه الملك . ولكن محرفى الأناجيل ، يريدون أن يقولوا : إن عيسى عليه السلام لأنه صاحب الملكوت ، من حقه أن ينسخ السبت ، ويقر العمل فيه ، سواء كان عمل خير أو مطلق عمل . وسواء كان للضرورة أو لغير الضرورة . هذا هو هدف محرفى الأناجيل . وقد توصلوا بهدفهم هذا إلى إلغاء السبت . وقد ألغوه . وقدسوا الأحد عرضا عنه . ولماذا اختاروا الأحد ؟ لأن الأحد هو أول الأسبوع عند اليهود . فإن السبت آخرعندهم . وفى أول الأسبوع والظلام باق ، لم يروا المسيح فى القبر . فقدَّسوا الأحد لقيام المسيح فيه من الأموات — على حد زعمهم —

وإن قال النصارى : إن «ابن الإنسان» هو المسيح عيسى عليه السلام — وهكذا يقولون — فإن المسيح عيسى عليه السلام لم ينسخ السبت ، ولم ينقض التوراة كلها . فكيف مع عدم النسخ يكون هو رب السبت ؟ وقولهم إنه ابن الإنسان مناقض لقولهم بحلول الروح الإلهية فيه .

خامساً : *ترديد المسيح لأقوال النبيين من قبله* :

يدعى النصارى أن لهم ديانة منفصلة عن ديانة موسى بن عمران عليه السلام . ودعواهم باطلة بقول المسيح ماجئت لنسخ الناموس . ويدعى النصارى أن ديانتهم المنفصلة هذه ، ديانة روحية لا مادية . ودعواهم باطلة . فإنهم كلهم ملتزمون بالناموس ، سواء كان ماديا أو روحانيا . ومايقال عن ناموس موسى ، يقال عن ديانتهم . ولا فرق .

وفى الإنجيل تجد أن المسيح كان يقرر أحكام الناموس ويصرح بأنه ملتزم

بها . ثم يقرر المبالغة فى حفظ أحكام الناموس . فكان عنده أمران أ – الالتزام بالناموس ب – والمبالغة فى حفظ الناموس . فيقول مثلا : قال موسى فى الناموس : «لا تقتل » وأنا أقول لكم : لا تفكروا فى قلوبكم بالقتل . فهو قد نهى عن القتل كما ينهى الناموس . وبالغ فى النهى بعدم التفكير فيه . ومثل ذلك : أ – الزنا ب – والقرب من الزنا . والنهى عن القرب هو للمبالغة فى الاحتراس عن ذات الفعل .

ففى الأصحاح الخامس من متى : «قد سمعتم أنه قيل للقدماء لاتقتل . ومن قتل يكون مستوجب الحكم . وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلا ، يكون مستوجب الحكم» [متى ٥:٢١–٢٢] فقد فرق بين القتل وبين الغضب المؤدى للقتل . وأوجب قتل القاتل بقوله قبلا : «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» [متى ٥:١٧]

وفى الطلاق يقرر ما قررته التوراة فى إباحته . ولكنه ينصح بأن يكون الطلاق لسبب قوى كالزنا لا لمطلق سبب . فهو قد وافق على الطلاق . وهو يعتبره مشروعا ومباحا بسبب الزنا أو بغير سبب الزنا . ولكنه ينصح أن يكون لسبب الزنا . ففى الأصحاح الخامس من متى : «وقيل من طلق امرأته ، فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى ، يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى» [متى ٥:٣١–٣٢]

وفى الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى سأله علماء بنى إسرائيل هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟ إنهم يسألون عن الطلاق لكل سبب . لا عن منعه مطلقا إلا لعلة الزنا . فإن موسى أباح الطلاق ولم يذكر له سببا ، قويا كان ذلك السبب أم ضعيفا . ورد عليهم المسيح بقوله : إننى أستحسن أن يكون لعلة الزنا . لأن الله فى البدء جعل لآدم واحدة من جنسه . فقال العلماء : فلماذا إذًا أباح الطلاق موسى ؟ وأجاب : لقساوة قلوبكم على النساء وعلى الأولاد ، أباح الطلاق لتهرب المرأة بأولادها من قسوة الرجل . فإنه لو أبقاها وهو لها كاره . وقلبه هكذا مملوء بالقسوة ، فإنها لن تسلم من شره . فقال له تلاميذه : «إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة ، فلا يوافق أن يتزوج . فقال لهم : ليس الجميع يقبلون هذا الكلام ، بل الذين أُعطى

لهم . لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم. ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خِصْيان خصُوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل» [متى ١٩:١٠-١٢]

انظر إلى قوله : «**مَنْ استطاع أن يقبل ، فليقبل**» واسأل نفسك هل هذا تشريع أم نصح وإرشاد ؟ إنه إن كان تشريعا لما قال : «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس » فهو إذًا نصح وإرشاد . وقال : إنه يوجد من الناس من امتنع عن الزواج ، ليتفرغ للدعوة إلى اقتراب ملكوت السموات ، كما أدعو أنا ويحيى . هؤلاء طوبى لهم .

ولقد قلنا مانصه فى كتابنا «المسيا المنتظر» :

«وعندما يقول عيسى عليه السلام : «من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضا» [متى ٥:٣٩] لو كان عيسى قد أمر بذلك كما يأمر المشرع ، الذى يريد تعريف القضاة بإرادته ؛ لكان بهذه الوصية ، قد قضى على شريعة موسى التى تقول : «وإن حصلت آذية تعطى نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكى وجرحا بجرح ورضا برض» [خروج ٢١:٢٣-٢٥] وهو قد قال هذا القول مع اعترافه بأنه على شريعة موسى بن عمران - عليه السلام - فى قوله : «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ماجئت لأنقض» [متى ٥:١٧]

فيجب إذن أن نبحث عن الهدف من هذه العبارة . وهو بالتأكيد ليس هدفا تشريعيا ؛ لأن عيسى غير مشرع . وهدفه : هو أن يعطى تعاليم كما يفعل المعلم ، لأنه لم يكن يريد أن يصلح الأفعال الخارجية ، بل استعدادات النفس الداخلية . ولقد قال هذه العبارة لأناس مضطهدين ، كانوا يعيشون فى دولة فاسدة ، لاتعرف العدالة مطلقا . وتبدو مهددة بالانهيار الوشيك . فإن هذا الذى يخبرنا به عيسى عليه السلام فى هذا النص ، كان فى الوقت الذى كانت فيه «أورشليم» مهددة بالانهيار . وهو مثل الوقت الذى كانت فيه «أورشليم» مهددة بالانهيار أيام «نبوخذ ناصر» سنة ٥٨٦ ق.م وفى هذا الوقت قال «إرمياء» النبى كلاما ، ككلام عيسى عليه السلام فى التسامح ورقة القلب . قال إرمياء : «طيب هو الرب للذين يترجونه ، للنفس التى تطلبه . جيد أن

ينتظر الإنسان ويتوقع بسكوت خلاص الرب . جيد للرجل أن يحمل النير في صباه . يجلس وحده ويسكت ؛ لأنه قد وضعه عليه ، يجعل في التراب فمه ، لعله يوجد رجاء ، يعطى خده لضاربه ، يشبع عارا» [مراثى ٣:٢٥-٣٠]

فقد قال إرمياء : «يعطى خده لضاربه» وقال عيسى عليه السلام بتحويل الخد الآخر . وليس هذا من التشريع فى شىء . وليس هذا مما انفرد به عيسى ، عمن سبقه من أنبياء بنى إسرائيل ، حتى يدعى النصارى أنهم يتدينون بديانة روحية ، لامادية»

قريب الديانة وقريب الجنس :

وكان من المسائل التى حرفها علماء بنى إسرائيل وهم فى بابل مسألة «الولاء والبراء» الولاء لليهودى ، والبراء من غير اليهودى . ففى التوراة الأصلية : أنه يجب على علماء بنى إسرائيل دعوة الأمم إلى الله . للعهد المبرم بين الله وبين إبراهيم وهو السير أمامه للدعوة إليه - كما فى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين - فامتنع علماء بنى إسرائيل عن دعوة الأمم ، وتبرأوا منهم ، واعتبروهم كالكلاب الضالة ، واعتدوا على أموالهم ونسائهم ، ونهبوا ثرواتهم وخيراتهم . وقالوا : ﴿ليس علينا فى الأميين سبيل﴾ [آل عمران ٧٥] وهم كاذبون فى قولهم ؛ لأن العهد المبرم بين الله تعالى وبين إبراهيم عليه السلام كان للسير أمامه ، وللقدوة الصالحة . وظلم الأمم ليس من القدوة الصالحة ، وتركهم فى طغيانهم يعمهون ليس من السير أمامه .

وقد بين المسيح عليه السلام لبنى إسرائيل خطاهم . فقال : إن الأممى لايجب أن ينبذ ، والخاطىء لايجب أن يداس ويطرح خارجا . ولابد من الرحمة بهم ، والشفقة عليهم . وقال : إن قريب اليهودى ليس هو اليهودى . وإنما قريبه هو الذى يصنع الإحسان معه ، سواء كان يهوديا عبرانيا أو يهوديا سامريا ، أو أمميا ليس من جنس إسرائيل . يريد من قوله هذا أن يحثهم على دعوة الأمم . فإن بركة إسحق لاتصح إلا عليها . وذلك للعهد بين الله وبين إبراهيم . وهو قد حث أتباعه على دعوة الأمم للاستعداد للدخول فى ملكوت السموات . فإن بنى إسماعيل من ورثة إبراهيم . وهم داخلون فى العهد . ولهم بركة مساوية لبركة إسحق عليه السلام .

ففى الأصحاح العاشر من إنجيل لوقا :

«وإذا ناموسى قام يجربه قائلا : يامعلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له : ماهو مكتوب فى الناموس ؟ كيف تقرأ ؟ فأجاب وقال : تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك . وقريبك مثل نفسك . فقال له : بالصواب أجبت . افعل هذا لتحيا . وأما هو فإذ أراد أن يبرر نفسه ، قال ليسوع : ومن هو قريبى ؟ فأجاب يسوع وقال : إنسان كان نازلا من أورشليم إلى أريحا ، فوقع بين لصوص ، فعروه وجرحوه ، ومضوا وتركوه بين حى وميت . فعرض أن كاهنا نزل فى تلك الطريق ، فرآه وجاز مقابله . وكذلك لاوى أيضا . إذ صار عند المكان ، جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامريا مسافرا جاء إليه ، ولما رآه تحنن . فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتا وخمرا وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق واعتنى به . وفى الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق ، وقال له : اعتن به . ومهما أنفقت أكثر ، فعند رجوعى أوفيك . فأى هؤلاء الثلاثة صار قريبا للذى وقع بين اللصوص ؟ فقال : الذى صنع معه الرحمة . فقال له يسوع : اذهب أنت أيضا ، واصنع هكذا» [لوقا ١٠:٢٥-٣٧] .

□★□★□

الفصل الحادى عشر

اليوم الأخير

اليوم الأخير فى لسان بنى إسرائيل هو اليوم الذى يظهر فيه المسيا ، ليقيم مملكة لاتنقرض أبداً . واليوم الأخير ، هو نفسه يوم أول لبدء ملكوت المسيا .

ففى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا يقول المسيح عليه السلام : «وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى : أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئا ، بل أقيمه فى اليوم الأخير . لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى : أن كل من يرى **الابن** ، ويؤمن به ، تكون له حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» [يو ٦:٤٤]

فمن هو الابن ؟ وماهو اليوم الأخير ؟

إن المسيح عليه السلام يحتم على أتباعه الإيمان بالابن ثم يقول : إن الذى سيؤمن بالابن ، سأقيمه أنا فى اليوم الأخير .

و فى ذلك النص تجد :

أ – مشيئة الاب الذى أرسل عيسى عليه السلام .
ب – عيسى رسول من الآب الذى هو الله رب العالمين .
ج – عيسى يحتم على أتباعه الإيمان بالابن .
د – لايقدر أحد أن يؤمن بالابن إلا إذا هداه الله إلى الإيمان .
هـ – عيسى عليه السلام سيقيم المؤمنين بالابن فى اليوم الأخير .

فهل عيسى هو الابن ؟ وهل عيسى هو الله الآب ؟

قبل الإجابة يتعيَّن تذكُّر العهد المبرم بين الله تعالى وبين إبراهيم عليه السلام وهو أن يسير إبراهيم نفسه ونسل إسحق ونسل إسماعيل أمامه فى الدعاء إليه . ويتعين تذكر نص البركة عن إسماعيل عليه السلام ومن نصوص العهد ، ونصوص البركتين يظهر :

أن تنبيه موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، على نبى سيأتى من بعده ليقيم الدين . يدل على عهدين . العهد الأول هو عهد النبوة والملك

فى بنى إسحق ، والعهد الثانى هو عهد النبوة والملك فى بنى إسماعيل . فبأى حق يقول النصارى : إن اليوم الأخير هو يوم تأسيس ملكوت السموات على يد عيسى عليه السلام ؟ وعيسى من بنى إسحق وليس من بنى إسماعيل .

ويقول النصارى : إن قول موسى وهو : «يقيم لك الرب إلهك نبيا ... الخ» يدل على المسيا . وإنه عيسى عليه السلام . وقولهم باطل ؛ لعدم انطباق الأوصاف عليه . ولأنه يتحدث عن «ابن» يأتى من بعده ، ويجب أن يؤمن الناس به . فلوفرضنا أنه هو المسيا كما يزعمون . فمن هو الابن الذى يلزم من النصوص أن يأتى هو من قبله ؟

وقد عبر يعقوب عليه السلام عن انتهاء بركة إسحق بتعبير «آخر الأيام» أى آخر أيام بركة إسحق . الذى تأتى بعدها بركة إسماعيل . ولايقصد بآخر الأيام يوم القيامة وانتهاء الحياة الدنيا . لأن القيامة إذا قامت من قبل ظهور بركة إسماعيل . يكون الوعد بين الله وبين إبراهيم وعدا ناقصا ، أو تكون التوراة كاذبة . ويفهم من كلام يعقوب نفسه أن آخر الأيام ليس هو يوم القيامة . وهذا هو نصه :

«ودعا يعقوب بنيه وقال : اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام . اجتمعوا واسمعوا يابنى يعقوب واصغوا إلى إسرائيل أبيكم»

«لايزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب» [تكوين ٤٩:١ الخ]

لقد عبر عن أ – زوال الملك من بنى إسرائيل ب – ونسخ الشريعة . عند مجىء الذى ستخضع له الشعوب . فاليوم الأخير لابد أن يأتى بعده «شيلون» الذى تخضع له الشعوب . وعليه فإن الأيام الأخيرة هى أيام بركة إسحق ، وهى بدء أيام بركة إسماعيل وليست هى نهاية الزمان .

وقوله «حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب» يدل على أن ملك بنى إسرائيل وشريعتهم التى هى شريعة موسى . سيزولان إذا أتى «شيلون» وحيث أن لإسماعيل بركة ، فإن شيلون يكون منه .

ولو قلنا : إن شيلون هو عيسى كما يزعم النصارى . فهل هو قد أعطى شريعة مغايرة لشريعة موسى ؟ وهل هو من غير بنى إسرائيل ؟ إنه من جنسهم . و لم يعط شريعة والنص يبين زوال الملك من جنسهم وزوال الشريعة من جنسهم . فلماذا يقولون انه هو ؟

وداود عليه السلام عبر عن النبى المنتظر بلقب «ابن الله» بحسب تعبير أهل الكتاب . وعيسى عليه السلام يقول لبنى إسرائيل بحسب لسانهم : إن النبى المنتظر ، الملقب بلقب ابن الله ، يجب أن تؤمنوا به ، ومن يؤمن به منكم ؛ فإنى أنا الذى أقمته وهديته إليه فى اليوم الأخير . وذلك لأن إنجيلى ينوب عنى من بعد رفعى إلى السماء . وفى إنجيلى بيان أوصافه وعلامات ظهوره .

ومحرفى الأناجيل ادعوا أن الابن هو عيسى عليه السلام . فقد قال بولس فى أول الرسالة إلى العبرانيين :

«الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة . كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه . الذى جعله وارثا لكل شىء . الذى به أيضا عمل العالمين . الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته ، بعدما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا ، جلس فى يمين العظمة فى الأعالى ، صائرا أعظم من الملائكة ، بمقدار ماورث اسما أفضل منهم .

لأنه لمن من الملائكة قال قط : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك ... الخ»

[عبرانيين ١:١-٥]

فبولس يقول : إن الابن الذى يهدى إليه المسيح بإنجيله هو المسيح نفسه . ويستدل على أنه هو المسيح نفسه . بالمزمور الثانى لداود عليه السلام عن الابن . ويقول : إن الأيام الأخيرة قد تمت بمجىء الابن الذى هو يسوع . ومن مجيئه تبدأ أيام جديدة ويبدأ عهد جديد . وعلى قوله هذا . فإن اليوم الأخير لايكون هو يوم القيامة وانتهاء الحياة الدنيا . بل يكون هو اليوم الذى يظهر فيه المسيا بملكوته . فمن هو المسيا ؟

المَائـدة السـماويَّـة

وقد أورد يوحنا حديث المسيح عيسى عليه السلام عن «ابن الله» الذى هو المسيا ، فى المزمور الثانى لداود عليه السلام ووضع فى وسطه الحديث عن المائدة السماوية التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم . فمن الآية التاسعة عشر من الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا إلى نهاية الأصحاح حديث عن الابن . ومن أول الأصحاح السادس حديث عن المائدة . وبعدها مباشرة يعيد الحديث عن الابن . ومحرفى الأناجيل وضعوا عبارات مجازية تشبيهية لإلغاز المعنى . إن لم نقل إنها عادات أهل الكتاب فى التعبير عن المعانى .

أول الحديث عن الابن الذى هو المسيا :

«**فأجاب يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم : لايقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا ، إلاَّ ماينظر الآب ، يعملُ**» يريد أن يقول : إن الابن الآتى منتسب إلى الله ، ومنفذ لمشيئته ، ولايعمل شيئا من تلقاء نفسه . «**لأن مهما عمل ذاك ، فهذا يعمله الابن كذلك**» يريد أن يقول : إن عمل الله يعمل الابن مثله . أى هما متحدان فى الهدف . ولايخالف الابن أعمال الله «**لأن الآب يحب الابن ، ويريه جميع ماهو يعمله**» يريد أن يقول : إن الله تعالى يعلم الابن مايريد أن يعمله . أى ليس للابن استقلال فى العمل عن الله «**وسيريه أعمالا أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم**» أى سيعطيه معجزات أعظم من معجزاتى «**لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى ، كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء**» يريد إحياء موتى الضلال بنور الإيمان «**لأن الآب لايدين أحدا ، بل قد أعطى كل الدينونة للابن**» أى أن إدانة الناس تكون على الشريعة التى يسلمها الابن لهم . لأن الجاهل يعذر بالجهل ، والكافر يعذر إذا لم تبلغه الدعوة «**لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . من لايكرم الابن لايكرم الآب الذى أرسله**» إكرام الابن معناه : الإيمان بنبوته . ومن لايكرم الابن بقبول نبوته ، فإنه لايكون مكرما لله الذى أرسله ... الخ

مائدة من السماء :

ثم حكى يوحنا : أن جمعا كثيرا تبعوا يسوع إلى بحر الجليل وهو بحر طبرية . واحتاجوا إلى طعام . فوجد المسيح مع غلام خمسة أرغفة وسمكتان . فطلب من الله أن يبارك فيهم وشكر . فبارك الله فى الطعام وأكل منه نحو خمسة آلاف وفضل من الآكلين اثنتى عشر قفة ، بعدد الأسباط «فلما رأى الناسُ الآية التى صنعها يسوع قالوا : إنَّ هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم . وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ، ليجعلوه ملكا ، انصرف أيضا إلى الجبل وحده» [يوحنا ٦:١٤-١٥]

لقد قال الذين نظروا معجزة البركة فى الطعام القليل : «**إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم**» أى المسيا المنتظر المكتوب عنه فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وهو محمد ﷺ . وهذا يدل منهم على أنه لم يكن قد أتى قبل عيسى عليه السلام . فماذا كان جواب المسيح ؟ إنه انصرف عنهم إلى الجبل ورفض الملك . ليبين لهم أنه ليس هو . لأن من أوصاف النبى الآتى : أن يكون ملكا ورئيسا مطاعا .

طعام ابن الإنسان :

وحكى يوحنا : أن كثيرين قد تبعوا يسوع بعدما أكلوا من المائدة السماوية . فقال لهم : «الحق الحق أقول لكم : أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات ، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم . اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى ، للحياة الأبدية ، **الذين يعطيكم ابن الإنسان** ؛ لأن هذا الله الآب قد ختمه . فقالوا له : ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله . فقالوا له : فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المنَّ فى البرية . كما هو مكتوب : أنه أعطاهم خبزا من السماء ، ليأكلوا»

انظر إلى قوله «الذى يعطيكم ابن الإنسان» وتذكر قول دانيآل عن «ملكوت السموات» وصاحبه «ابن الإنسان» ثم لاحظ قوله إنهم قالوا

للمسيح : إن آباءنا أكلوا المن فى البرية ، مع أول نبى من جنسنا ، بدأت به بركة إسحق . وأنت الآن تتحدث عن غيرك . ومعنى حديثك : أنك أنت آخر نبى منا . فأعطنا الان خبزا مباركا فيه ، كما أعطى موسى لآبائنا **﴿عيدا لأولنا وآخرنا﴾**[1] فأولنا كان موسى، وآخرنا معك . ولم يبارك لهم عيسى فى طعام بعدُ . فالبركة كانت فى طعام واحد . وهى المائدة السماوية التى يشير إليها القرآن الكريم . وكثيرون من أتباعه خافوا من اليهود ، ورجعوا عنه ، ولم يعودوا يمشون معه ؛ لأنه يحدثهم عن زوال الملك والنبوة من بنى إسرائيل . على يد محمد ﷺ فقال للحواريين : «**ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ؟ فأجابه سمعان بطرس : يارب إلى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك**» [يوحنا ٦:٦٧-٦٨]

موضع التحريف فى حديث الابن والمائدة :

وضع محرفو الإنجيل فى حديث المسيح عن الابن والمائدة :

١ – أن من يأكل جسد المسيح ويشرب دمه بواسطة العشاء الربانى ، يحيا إلى الأبد .

٢ – أن سمعان بطرس قال للمسيح : أنت المسيح ابن الله الحى . أى أنت المسيا ، وأنت ابن الله الوحيد الذى تحدث عنه داود فى المزمور الثانى .

وهذان الأمران من التحريف المتعمد فى الإنجيل لغرض لبس الحق بالباطل

تصحيح خطأ :

وعلماء النصارى يخدعون تلاميذهم ، فى النصوص المذكورة فى الأناجيل عن نبى الإسلام ﷺ ومن هذه النصوص ، نص عن دخول المسلمين أرض فلسطين ؛ لتأسيس ملكوت السموات ، كما قال النبى دانيئال . وقد شرحه علماء النصارى تحت عنوان علامات نهاية الزمان Signs of the End of the Age على أنه نص فى يوم القيامة من الأموات . والحق : أنه يعنى نهاية زمان بركة إسحق ، وبدء بركة إسماعيل – عليهما السلام – ويعبرون عنه بانقضاء

الدهر أيضا . وهم عالمون بأن المراد بانقضاء الدهر : نهاية دهر الملكوت الذى كان مع بنى إسحق .

ففى الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى : «وللوقت بعد ضيق تلك الأيام ، تُظلم الشمس والقمر لايُعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السموات تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء ، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، فيُرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت ، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها»

[متى ٢٤ : ٢٩ – ٣١]

ويقول علماء النصارى : إن قول عيسى عليه السلام فى إنجيل يوحنا وهو : «لاتتعجبوا من هذا . فإنه تأتى ساعة ، فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» [يو ٥ : ٢٨ – ٢٩] يدل على قيام القيامة ، وانتهاء الحياة الدنيا .

والمسلم قد ينظر فى تلك النصوص ، فيرى الكلمات الصعبة . مثل : القبور والدينونة والبوق العظيم الصوت ، والنجوم تسقط من السماء . فيظن أن تفسير علماء النصارى للنصوص صحيح . ولئلا يقع فى أى خطأ ينبغى عليه أن يقرأ ماقبل النص ومابعده ، وأن يكون على علم بمحكم التوراة ومتشابهه ، ومحكم الإنجيل ومتشابهه .

فانظر الآن فى هذه النصوص من سفر إشعياء ، واعلم وافهم : أنه يتحدث عن رجوع بنى إسرائيل من بابل ، فى طريق وعر ، فيه رمال وجبال ، وأن فى النصوص كلمات صعبة مثل : إن نجوم السموات لاتبعث نورها ، والشمس تظلم ، وسأزعزع السماء . ولم يقل إشعياء إنه يعنى بهذا يوم القيامة .

يقول الحبر موسى بن ميمون مانصه : «قال إشعياء عليه السلام لما أنبأه

الله بانتقاض دولة بابل وهلاك سنحاريب ونبوكد نصَّر القائم بعده ، وانقطاع مملكته ، وأخذ فى وصف نكباتهم فى آخر دولتهم وهزائمهم وما يلحقهم من الشدائد اللاحقة لكل مهزوم هارب من غلبة السيْف . قال : «إن كواكب السماء ونجومها لاتبعث نورها ، والشمس تظلم فى خروجها ، والقمر لايضىء بنوره» وقال فى ذلك الوصف أيضا : «فإنى سأزعزع السماء ، وأزلزل الأرض عن مقرها ، فى سخط رب الجنود ، وفى يوم اضطراب غضبه» وما أظن أن أحدا وصل به الجهل والعماء ، ويتبع ظواهر الاستعارات والأقاويل الخطبية ، أن يظن أن كواكب السماء ونور الشمس والقمر قد تغيرت ، حين انقرضت مملكة بابل ، ولا أن الأرض خرجت عن مركزها – كما ذكر – بل هذا كله وصف حال المهزوم ؛ فإنه بلاشك يرى كل نور سوادا ، ويجد كل حلو مرا ، ويتخيل الأرض قد ضاقت به ، والسماء منطبقة عليه .

وكذلك لما أخذ أن يصف ما انتهت إليه حالة إسرائيل من الذل والغلبة ، طول أيام سنحاريب الشرير ، عند استيلائه «على كل مدن يهوذا المحصنة» وسبيهم وانهزامهم وترادف النكبات عليهم من أمامه ، وهلاك أرض إسرائيل كلها حينئذ بيده . قال : «الرعب والحفرة والفخ عليك ياساكن الأرض . فالهارب من صوت الرعب يسقط فى الحفرة ، والصاعد من الحفرة يُؤخذ بالفخ ؛ لأن كُوى العلاء قد تفتحت ، وأسس الأرض تزلزلت . رُضَّت الأرض ، حُطمت الأرض حطما ، زعزعت الأرض زعزعة»

وفى اخر هذا القول لما أخذ فى وصف ماسيفعله الله بسنحاريب وإتلاف ملكه الشامخ على أورشليم ، جزاء يجزيه الله عليها . قال ممثلا : «فيخجل القمر ، وتخزى الشمس ، إذ يلمك رب الجنود فى جبل صهيون ... الخ»

أمَّا يوناتان بن عزيَّائيل – عليه السلام – فتأول هذا الكلام أحسن تأويل . وقال : إنه إذا جرى لسنحاريب ماسيجرى على أورشليم ، فسيعلم حينئذ عبدة النجوم : أن هذا فعل إلهى ، فيدهشون ويبهتون . قال عليه السلام : ومن يعبد القمر فسيخجل ، ومن يركع للشمس فسيذل . إذ مُلك

الله سيتجلى ... الخ»[1]

وقد عرفنا دلالة نصوص الأناجيل من كلام الحبر ابن ميمون . ولنعرف الآن أن النصوص لاتدل على البعث من الأموات ؛ وإنما تدل على فتح المسلمين لأورشليم فى بدء ظهور الإسلام :

إن دانيآل النبى قد أخبر عن ممالك أربعة تقوم على الأرض . والرابعة هى دولة الروم .

ونادى عيسى عليه السلام باقتراب ملكوت السموات ، وضرب الأمثال لمجيئه . وقال : «يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله ، وهى أصغر جميع البزور . ولكن متى نمت فهى أكبر البقول وتصير شجرة ، حتى إن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها» [متى ١٣ : ٣١ – ٣٢] وهذا هو مثل الأمة الإسلامية فى الإنجيل . ثم قال لعلماء بنى إسرائيل : «إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره» [متى ٢١ : ٤٣] ثم قال : «ياأورشليم ياأورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ... هو ذا بيتكم يُترك لكم خرابا» تمهيدا لزوال الملكوت الذى كان معكم من أيام موسى عليه السلام . وتأسيس ملكوت بنى إسماعيل .

ويقول متى : إن المسيح لما خرج من الهيكل عقب قوله لهم : إن الخراب سيحل بالهيكل ، قال له تلاميذه : متى يكون هذا ؟

وابتدأ يجيب بأنه ستقع علامات فى العالم من قبل أن يتأسس ملك بنى إسماعيل عليه السلام منها ظهور أنبياء كذبة وقيام حروب بين الأمم ، واضطهاد الأمم للحواريين ، وانتشار الإنجيل . وإذا وقعت هذه العلامات ، فإنه سيظهر ملكوت الله .

ولسوف يأتى أتباع صاحب الملكوت لأخذ الهيكل والمدينة المقدسة بالحرب الشديد والقتال العنيف . ثم ابتدأ فى وصف الحرب بين المسلمين وبين أهل الكتاب والرومان وقال : إنها ستكون شديدة جدا . ثم قال بعد الوصف : «حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عَذارى» وقال : إنهٰ بعد القتال «يبصرون ابن الإنسان» وقال : «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده» فمن هو هذا النبى

---

(١) ص ٣٦١ دلالة الحائرين

الملقب بلقب ابن الإنسان ؟

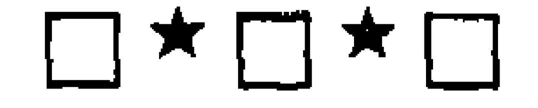
وكيف يكون هذا الهول الفظيع هو هول القيامة ، وهو يقول فى نفس النص : «الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل ، حتى يكون هذا كله . السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامى لايزول» ؟ [متى ٢٤ : ٢٤]

وفى إنجيل مرقس عقب النص مباشرة : «فمن شجرة التين تعلَّموا المثل . متى صار غصنها رخْصا وأخرجت أوراقا ، تعلمون أن الصيف قريب . هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ، فاعلموا أنه قريب على الأبواب» [مرقس ١٣ : ٢٨ - ٢٩]

وفى إنجيل لوقا عقب النص مباشرة : «وقال لهم مثلا : انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب . هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ، فاعلموا : أن ملكوت الله قريب» [لوقا ٢١ : ٢٩ - ٣١]

ماهو القريب على الأبواب بعد هذا الهول الفظيع ؟ ماهو ؟ ألم يوضحه لوقا بأنه هو ملكوت الله ؟

وإذ قد عرفته ، فإنه يسهل عليك معرفة معنى قول عيسى عليه السلام : « لا تتعجبوا من هذا ؛ فإنه تأتى ساعة ، فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة »



الفصل الثانى عشر

ربُّ داود (جيهوفاه)

لاحظ أولاً :

الملاحظة الأولى : إن بنى إسرائيل كانوا اثنى عشر سبطا . وأن سبطْى يهوذا وبَنْيامين كونوا مملكة ، أطلقوا عليها مملكة العبرانيين . أو مملكة يهوذا ، أو مملكة داود . وأن الأسباط كونوا مملكة ، أطلقوا عليها مملكة السامريين ، أو بنى إسرائيل .

وداود عليه السلام من سبط يهوذا . وهو المؤسس لمملكة جميع بنى إسرائيل فى «أورشليم» القدس . ويعظمه اليهود العبرانيون ويقولون : إن « المسيح المنتظر » سيأتى من نسله ؛ ليحيى مملكته ويعيد إليها مجدها وعزها . أما السامريون فيقولون : إن «المسيح المنتظر» سيأتى من سبط يوسف عليه السلام .

واليهود قد حرفوا التَوْرَاة فى «بابل» لتكون لهم إلى يوم الدين . وكتبوا نصوص النبوءات عن النبى المنتظر ، على طريقة «المحكم والمتشابه» فبرد المتشابه إلى المحكم ، يعرف العلماء أنه محمد رسول الله ﷺ وبعدم الرد يعرف العوام أنه سيكون من بنى إسرائيل . ولقبوا النبى المنتظر بالألقاب المعظمة التى يلقبون بها أنبياءهم وعلماءهم وملوكهم .

الملاحظة الثانية : أن الوعد المبرم بين الله تعالى وبين إبراهيم عليه السلام هو فى أ - الدعوة إلى دينه ب - والقدوة الصالحة . وفى مقابل الدعوة والقدوة يورث الله نسل إسماعيل وإسحق جميع أمم الأرض .

ففى التوراة :

١ - « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لأبرام وقال له : أنا الله القدير . سر أمامى وكن كاملاً فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً »

٢ - «وقال الله لإبراهيم : ساراى امرأتك . **لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارة . وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون »**

٣ - « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك !!

فقال الله : وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه »

٤ - « وكان بعد موت إبراهيم أن الله بارك إسحق ابنه »

والبركة فى إسحق تدل على أ - ملك ب - ونبوة . وإذا انتهت تبدأ بركة إسماعيل بملك ونبوة . والشريعة التى كانت فى بركة إسحق هى شريعة موسى صاحب التوراة . وأنها ظلت مع بنى إسرائيل إلى زمان يحيى وعيسى عليهما السلام فقد قال تعالى : ﴿ **يرثنى ويرث من آل يعقوب** ﴾[1] والشريعة التى هى فى بركة إسماعيل هى شريعة محمد صاحب القرآن . وكما ملك بنو إسحق ، ملك بنو إسماعيل .

الملاحظة الثالثة : المحكم والتشابه

والنص المحكم على مجىء نبى من بنى إسماعيل هو قول الله تعالى : «**وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه** »

هذا هو النص المحكم . لأنه يماثل النص على بركة إسحق الذى أثبت التاريخ أنه كان له ملك ونبوة ، حملها من بعده ولده إسرائيل وبنيه .

أما النص المتشابه فهو : « يقيم لك الرب إلهك نبيا . من وسطك . من إخوتك . مثلى . له تسمعون» [تثنية ١٨:١٢] فإن قوله «من إخوتك» نص متشابه يحتمل معنيين : الأول بنى إسرائيل . والثانى بنى إسماعيل . فإنه ورد عن إسماعيل : «وأمام جميع إخوته يسكن» [تكوين ١٦:١٢] والمتفق مع المحكم هو المعنى الثانى . ويقوى إحكامه : إن المثلية محددة بثلاثة أوصاف هى ١ - الملك ٢ - والحروب ٣ - والانتصار على الأعداء ، وأنه لن يظهر فى بنى إسرائيل مثل موسى فى الأوصاف الثلاثة . وعليه يكون المماثل له من

---

(١) مريم ٦

بنى إسماعيل لثبوت بركة فى نسله .

الملاحظة الرابعة : أن « المسيح المنتظر» الذى هو «المسيا» يقول اليهود والنصارى إن النصَّ من التوراة على مجيئه بالنبوءات الآتية :[1]

١ - « يقيم لك الرب إلهك نبياً ... »

٢ - « لا يزول قضيب من يهوذا .. »

٣ - « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله .. »

الملاحظة الخامسة : قال داود عليه السلام عن النبى المنتظر : إن الله تعالى قال له بظهر الغيب : إننى سأقربك منى وسأنصرك على أعدائك . وأن لك ملكا سأمده فى الأرض ، وأن شريعتك ستبقى إلى الأبد . وأن أمتك مرحومة حتى فى زمان الضيق والجوع .

وقال داود : إن النبى المنتظر سيكون سيدى .

وهذا نص كلامه : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك . يرسل الرب قضيب عزك من صِهْيون . تسلط فى وسط أعدائك . شعبك منتدب فى يوم قوتك ، فى زينة مقدسة . من رحم الفجر لك طلّ حداثتك .

أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن إلى الأبد ، على رتبة ملكى صادَق الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكاً . يدين بين الأمم. يملأ جثثاً . أرضا واسعة سحق رؤوسها . من النهر يشرب فى الطريق . لذلك يرفع الرأس » [مزمور ١١٠]

الملاحظة السادسة :

إن عيسى عليه السلام فى تبشيره بمجىء محمد ﷺ كان يستدل على صحة نبوته بنبوءات التوراة وأسفار الأنبياء . وكان يشرح النبوءات شرحا وافيا ، يقنع به السامعين على أن النبى الآتى سيكون من إسماعيل لا من نسل

(١) راجع التقديم لكتاب الإعلام للقرطبى طبعة دار التراث العربى بمصر .

داود ، كما يدعى اليهود العبرانيون ، ولا من نسل يوسف كما يدعى اليهود السامريون .

وبعد تلك الملاحظات . إليك هذا النص من إنجيل بَرنابا عن رسول الله ﷺ مع مقارنته بنظيره من الأناجيل الأربعة .

النَّصُّ

«فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليتسقطوه بكلامه . لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين : من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال: الحق أنى لست مَسِيًّا . فقالوا : أأنت إيلياء أو إرمياء أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع : كلا . حينئذ قالوا : من أنت ؟ قل لنشهد للذين أرسلونا . فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب ، كما هو مكتوب فى إشعياء . قالوا : إذا لم تكن المسيح ولا إيليَّاء أو نبيامًّا ، فلماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك أعظم شأنا من مَسِيًّا ؟ أجاب يسوع : إن الآيات التى يفعلها الله على يدى ، تُظهر أنى أتكلم بما يريد الله . ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ؛ لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله . الذى تسمونه مسيا ، الذى خُلق قبلى وسيأتى بعدى ، وسيأتى بكلام الحق ، ولايكون لدينه نهاية . فانصرف اللاويون والكتبة بالخيبة ، وقصوا كل شىء على رؤساء الكهنة الذين قالوا : إن الشيطان على ظهره ، وهو يتلو كل شىء عليه»

التعليق

لقد اعترف عيسى عليه السلام بأنه ليس هو المسيا المنتظر . وليس هو واحد من الأنبياء القدماء وقد جاء بأرواحهم . فمن أنت ؟ أنا أهيىء الطريق للمسيا المنتظر .

هذا هو عيسى عليه السلام يعترف بأنه يهيىء الطريق للمسيا . فمن هو المسيا ؟ هو النبى المنبأ عنه فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . فقد

قال موسى عليه السلام : «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك . من إخوتك . مثلي . له تسمعون» وقال مفسرو التوراة فى شرحه : « يعلن موسى إعلانا نبويا مَسيانيا ، عن النبى الذى سيأتى ، الذى سيخلفه فى وظيفته كنبى ... الخ»(1)

وفى الأناجيل المعتمدة : أن وفد الكهنة كان موجها إلى يوحنا المعمدان . ففى أول إنجيل يوحنا : «وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ؟ فاعترف و لم ينكر وأقر أنى لست أنا المسيح . فسألوه إذاً ماذا ؟ إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . ألنبى أنت ؟ فأجاب : لا . فقالوا له : من أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ قال : أنا صوت صارخ فى البرِّية . قوِّموا طريق الرب كما قال إشعياء النبى . وكان المرسلون من الفريسيين . فسألوه وقالوا له : فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى ؟ أجابهم يوحنا قائلا : أنا أعمد بماء . ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه هو الذى يأتى بعدى ، الذى صار قدامى الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه» [يوحنا ١:١٩-٢٦]

انظر فى نص برنابا ونص يوحنا .

أ - أن الوفد قد أرسل .

ب - أن يسوع أجاب بأنه يمهد الطريق لرسول الرب ، كما يمهد له يوحنا .

جـ - أن يسوع ويوحنا قالا معا عن المسيا الآتى : إنهما لايستحقان حل سيور حذائه .

واختلفا فى أمر واحد وهو : أن يوحنا قال : إن الآتى بعدى هو يسوع . ويسوع قال : إن الآتى بعدى هو محمد رسول الله ﷺ

والحق أن يوحنا المعمدان قال : إن الآتى بعدى هو محمد لايسوع . ولكن محرف الإنجيل هو الذى حرّف النص فى هذا الموضع . بدليل :

---

(1) تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافيدسون/ المجلد الأول ص ٤٠٣ .

١ – أن يسوع ويوحنا معا دعوا إلى اقتراب ملكوت السموات . فلو كان يسوع هو المسيا المنتظر ، لاعترف بأنه صاحب الملكوت ، وما كان يدعو إلى اقترابه . ففي متى «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٣:١-٢] وفى متى : «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ، ويقول : توبوا ؛ لأنه اقترب ملكوت السموات» [متى ٤:١٧]

٢ – أن ملكوت السموات يتأسس بعد المملكة الرابعة كما قال دانيال . وهى مملكة الرومان . ومملكة الرومان لم تزل إلا على يد المسلمين فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

٣ – أن يسوع لم يعترف أبدا بأنه المسيا المنتظر ، كما سيأتى .

النــص

ونعود إلى النص السابق وننقل بعده مباشرة مايلى :

«ثم قال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم : إن رؤساء وشيوخ شعبنا ، يتربصون بى الدوائر . فقال بطرس : لا نذهب فيما بعد إلى أورشليم . فقال له يسوع : إنك لغبى ولاتدرى ماتقول . فإن علىَّ أن أحتمل اضطهادات كثيرة ؛ لأنه هكذا احتمل جميع الأنبياء وأطهار الله . ولكن لاتخف ؛ لأنه يوجد قوم معنا وقوم علينا . ولما قال يسوع هذا ، انصرف وذهب إلى جبل طابور . وصعد معه بطرس ويعقوب ويوحنا أخوه ، مع الذى يكتب هذا ، فأشرق هنا فوقهم نور عظيم ، وصارت ثيابه بيضاء كالثلج ، ولمع وجهه كالشمس . وإذا بموسى وإيليا قد جاءا يكلمان يسوع بشأن ماسيحل بشعبنا وبالمدينة المقدسة . فتكلم بطرس قائلا : يارب حسن أن نكون ههنا . فإذا أردت نصنع ثلاث مظال . لك واحدة ولموسى واحدة والأخرى لإيليا . وبينما كان يتكلم غشيته سحابة بيضاء ، وسمعوا صوتا قائلا : انظروا خادمى الذى به سررت . اسمعوا له . فارتاع التلاميذ وسقطوا على وجوههم إلى الأرض كأنهم أموات . فنزل يسوع وأنهض تلاميذه قائلا : لاتخافوا لأن الله يحبكم وقد فعل هذا لكى تؤمنوا بكلامى . ونزل يسوع إلى التلاميذ الثمانية الذين

كانوا ينتظرونه أسفل . وقصَّ الأربعة على الثمانية كل مارأوا . وهكذا زال فى ذلك اليوم من قلبهم كل شك فى يسوع إلا يهوذا الإسخريوطى الذى لم يؤمن بشىء . وجلس يسوع على سفح الجبل وأكلوا من الأثمار البرية ؛ لأنه لم يكن عندهم خبز»

التعليق

فى هذا النص تجد أن أ – موسى عليه السلام ب - وإيليا النبى قد ظهرا ليشهدا بأن يسوع نبى أو «النبى»؟ لاحظ الفرق بين «نبى» و «النبى»

إنه لو كان نبيا كيوحنا وإلياس واليسع ، لما ظهرا للشهادة . وإلا فلماذا لم يظهرا من أجل يوحنا المعمدان .

وألا تكفى المعجزات فى إثبات النبوة ؟ فلماذا ظهرا إذاً ؟

إن واضعى هذا الخبر فى الأناجيل يريدون أن يخدعوا الناس بأن يسوع هو «المسيا الرئيس» ومن يشهد له بأنه هو المسيا الرئيس؟ يريدون أن يقولوا : إنه هو موسى نفسه صاحب الناموس . أى أن نبوءات الناموس عن المسيا التى وضعوها عليه ، لم تكن فى نظرهم كافية فى إثبات خداعهم حتى أضافوا إليها ظهور موسى من الأموات . وقد قال ملاخى فى سفره : إن الله سيرسل إيليا قبل مجىء يوم الرب . وها هو عيسى قد ظهر . ولم يظهر قبله إيليا . فكيف يكون هو المسيا الموعود به ، وإيليا لم يأت قبله – حسب ماكتبوا – ؟ يريدون أن يقولوا: ها هو إيليا قد ظهر وشهد ليسوع . فلماذا تنتظرون إيليا ؟ ولماذا تشكون فى يسوع ؟

وما نوع الشهادة التى شهدا بها ؟

إن داود فى المزمور الثانى قال نبوءة عن المسيا بلقب «ابن الله» وقد شهد موسى وإيليا – فى زعمهم – بأن داود يعنى بها عيسى عليه السلام .

ذلك هو غرض المحرفين . وإنه لغرض واضح البطلان . وذلك لأن أوصاف المسيا فى المزمور الثانى لداود لاتنطبق على يسوع . إذ هو لم يكن ملكا ولا محاربا . ولأن «أسابيع دانيال» لم تكن قد تمت ، ولأن المملكة الرابعة

لم تكن قد أوشكت على الرحيل . ولأن بطرس لما قال ليسوع : أنت المسيح ابن الله الحى . أى أنت المسيا المنبأ عنه فى المزمور الثانى بابن الله ، انتهره يسوع ووبخه وأوصاه مع التلاميذ أن لايظهروا هذا للناس . ولو كان هو هو ، فلماذا يوصيهم بالكتمان ؟

وقد ورد النص فى إنجيل متى هكذا :

«وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه ، وصعد بهم إلى جبل عال منفردين . وتغيرت هيئته قدامهم ، وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور . وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه ، فجعل بطرس يقول ليسوع : يارب جيد أن نكون ههنا . فإن شئت نصنع هنا ثلاث مظال . لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة . وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلا : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت . له اسمعوا . ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا . فجاء يسوع ولمسهم وقال : قوموا ولاتخافوا . فرفعوا أعينهم ولم يروا أحدا إلا يسوع وحده .

وفيما هم نازلون من الجبل ، أوصاهم يسوع قائلا : لاتعلموا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات . وسأله تلاميذه قائلين : فلماذا يقول الكتبة : إن إيليا ينبغى أن يأتى أولا ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : إن إيليا يأتى أولا ويرد كل شيء . ولكنى أقول لكم : إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه ، بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الإنسان أيضا سوف يتألم منهم . حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان» [متى ١٧:١-١٣]

فى هذا النص :

١ - يسوع يوصى بكتمان نفسه . يوصى بأن لايقول الناس عنه إنه المسيا المنتظر . وهذا يدل على أنه ليس هو المسيا . وإلا ما أوصى بكتمان نفسه .

٢ - ابن الإنسان هو صاحب ملكوت السموات . والمحرفون ههنا يريدون أن يقولوا : إن ابن الإنسان الذى هو صاحب ملكوت السموات هو يسوع . وسيقتل وسيصلب وسيقوم من الأموات فى اليوم الثالث ليؤسس مملكة

لاتنقرض أبدا . وقولهم باطل . فإن التوراة تنص على تأسيس الملكوت بعد زوال المملكة الرابعة التى هى مملكة الرومان . وهى قد ظلت جاثمة على قلوبهم إلى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وظهور المسيح بعد حادثة القتل والصلب لتلاميذه وأكله معهم يدل على عدم قتله وصلبه وقيامته .

٣ – قال المرجفون : إن يوحنا المعمدان قد أتى بروح إيليا . وهذا يكذبه قول يوحنا نفسه لما سأل هل أنت إيليا ؟ وقال : لا . لست أنا إيليا .

٤ – وحقيقة إيليا قد بيناها فى كتاب غير هذا .

٥ – « هذا هو ابنى الحبيب » فى إنجيل ، تُرجمت فى إنجيل بـ « خادمى »

النــص

وبعد النص السابق مباشرة فى برنابا هكذا :

«حينئذ قال أندراوس : لقد حدثتنا بأشياء كثيرة عن مسيا . فتكرم بالتصريح لنا بكل شىء . فأجاب يسوع : كل من يعمل فإنما يعمل لغاية يجد فيها غناء . لذلك أقول لكم : إن الله لما كان بالحقيقة كاملا ، لم يكن له حاجة إلى غِناء ، لأن الغناء عنده نفسه . وهكذا لما أراد أن يعمل ، خلق قبل كل شىء نفْس رسوله ، الذى لأجله قصد إلى خلق الكل ، لكى تجد الخلائق فرحا وبركة بالله ، ويسر رسوله بكل خلائقه التى قدر أن تكون عبيدا . ولماذا ؟ وهل كان هذا هكذا إلا لأن الله أراد ذلك ؟

الحق أقول لكم : إن كل نبى متى جاء ؛ فإنه يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا إليه . ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ماهو بمثابة خاتم يده ، فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه ، وسيأتى بقوة على الظالمين ، ويبيد عبادة الأصنام . بحيث يخزى الشيطان ؛ لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلا : انظر . فإنى بنسلك أبارك كل قبائل الأرض ، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما ، هكذا سيفعل نسلك»

التعليق

يستدل عيسى عليه السلام على أن النبى المنتظر هو محمد ﷺ بدليل من التوراة . وهو أن الله تعالى عمل عهدا بينه وبين إبراهيم فى نسل ولديه إسماعيل وإسحق بأن يسيروا فى الدعوة إلى الله ويحطموا عبادة الأوثان . وأن العهد بدأ أولا بنسل إسحق . وههنا يوضح عيسى عليه السلام بأن بركة إسماعيل آخذة فى الظهور فى شخص محمد ﷺ

النص

وبعد النص السابق مباشرة هكذا :

«أجاب يعقوب : يامعلم قل لنا بمن صُنع هذا العهد . فإن اليهود يقولون بإسحق ، والإسماعيليون يقولون بإسماعيل ؟ أجاب يسوع : ابن من كان داود ؟ ومن أى ذرية ؟ أجاب يعقوب : من إسحق ؛ لأن إسحق كان أبا يعقوب ، ويعقوب كان أبا يهوذا الذى من ذريته داود . فحينئذ قال يسوع : ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون ؟ أجاب التلاميذ : من داود . فأجاب يسوع لاتغشّوا أنفسكم ؛ لأن داود يدعوه فى الروح ربا قائلا هكذا : «قال الله لربى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك . يرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك» فإذا كان رسول الله الذى تسمونه مسيا ، ابن داود ، فكيف يسميه داود ربا ؟ صدقونى ؛ لأنى أقول لكم الحق : إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحق»

التعليق

فى هذا الجزء من النص الطويل الذى أورده برنابا جملة واحدة . وأورده كتاب الأناجيل مفرقا مبتوت الصلة بما قبله . تجد أن العهد فى المسيا الآتى قد صنع بإسماعيل . وفى المسيا السابق وهو موسى قد صُنع بإسحق . لأن إسحق وإسماعيل هما وارثا بركة إبراهيم لقوله فى سفر التكوين : «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه» وعن سارة «وأباركها» وعن الاثنين معا : «بإسحق يدْعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة» لأنه نسلك»

وكان علماء اليهود العبرانيين يخدعون الناس بأن المسيا الآتى سيكون منهم من مملكة داود ، ومن نسله . وينسون الناس بأنه سيأتى من بنى إسماعيل عليه السلام . فقال عيسى عليه السلام : إن المسيا الآتى سيكون من إسماعيل بدليلين :

الدليل الأول : بركة إبراهيم فى الجزء السابق من النص . وفى الجزء اللاحق له .

الدليل الثانى : أن داود نفسه قال عنه نبوءة بظهر الغيب . وفيها يقول : إنه سيده . وحيث أن الابن لايكون سيدا لأبيه ، فإن الآتى لايكون من نسل داود . ويكون من إسماعيل لأن له بركة .

ونص الزبور الذى استدل به المسيح هو : «قال الله لربى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك . يرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك» [مزمور ١١٠:١-٢]

وقد حكى متى ومرقس ولوقا معنى كلام برنابا هكذا :

«وفيما كان الفَريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا : ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربا ، قائلا : قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك . فإن كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة» [متى ٢٢:٤١-٤٦]

إن عيسى عليه السلام يسأل : ألمسيح المنتظر الذى هو المسيا . هذا المسيح من أى ذرية سيأتى ؟ هل من إسحق من داود ، أم من إسماعيل من قيدار ؟ إن اليهود يقولون سيأتى من داود . أى من بنى إسرائيل بن إسحق . ولكن عيسى عليه السلام يبكتهم ويفحمهم بأنه سيأتى من إسماعيل . بدليل من كلام داود نفسه وهو أنه عبر عن النبى المنتظر بأنه سيده . والابن لايكون سيدا لأبيه . فإذًا الآتى ليس من نسله . ويكون من إسماعيل لثبوت بركة فى نسله .

النـــص

«حينئذ قال التلاميذ : يامعلم هكذا كُتب فى كتاب موسى : إن العهد صُنع بإسحق . أجاب يسوع متأوها : هذا هو المكتوب . ولكن موسى لم يكتبه ولايشوع ، بل أحبارنا الذين لايخافون الله . الحق أقول لكم : إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل ، تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا ؛ لأن الملاك قال : ياإبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟ حقا . يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله . أجاب إبراهيم : ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل مايريد الله . فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا : خذ ابنك بكرك إسماعيل ، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة . فكيف يكون إسحق البكر ، وهو لما ولد ، كان إسماعيل ابن سبع سنين ؟ فقال حينئذ التلاميذ : إن خداع الفقهاء جلى . لذلك قل لنا أنت الحق . لأننا نعلم أنك مرسل من الله . فأجاب حينئذ يسوع : الحق أقول لكم : إن الشيطان يحاول دائما إبطال شريعة الله . فلذلك قد نَجَّس هو وأتباعه والمراؤون وصانعى الشر : كل شيء اليوم . الأولون بالتعليم الكاذب . والآخرون بمعيشة الخلاعة . حتى لايكاد يوجد الحـق تقريبا . ويل للمرائين ؛ لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدانة وعذابا فى الجحيم .

لذلك أقول لكم : إن رسول الله بهاء يسر كل ماصنع الله . تقريبا . لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة ، روح الحكمة والقوة ، روح الخوف والمحبة ، روح التبصر والاعتدال . مزدان بروح المحبة والرحمة ، روح العدل والتقوى ، روح اللطف والصبر ، التى أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه .

ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم . صدقونى أنى رأيته وقدمت له الاحترام ، كما رآه كل نبى ؛ لأن الله يعطيهم روحه نبوة . ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا : يامحمد ليكن الله معك ، وليجعلنى أهلاً أن أحل سير حذائك ؛ لأنى إذا قلت هذا ، صرت نبيا عظيما ، وقدوس الله .

ولما قال يسوع هذا ، شكر الله» أ.هـ

التعليـق

فنَّد المسيح شبهة علماء اليهود التي هى أن النبوة فى إسحق إلى الأبد . بقوله : لماذا تقولون : إنها فى إسحق إلى الأبد ؟ وأجابوا لأنه هو بكر إبراهيم . فقال المسيح : إذا كانت البكورية هى التى تدل على أن النبوة فى النسل إلى الأبد . فإن إسماعيل هو البكر وليس إسحق . بدليل أن إسماعيل هو المولود الأول لإبراهيم من هاجر ، وبعده جاء إسحق من سارة . فكيف يكون إسحق هو البكر وهو مولود بعد إسماعيل بسبع سنين ، وقيل بأربعة عشر عاما ؟

ثم نطق المسيح باسم رسول الله . وقال : إنه «محمد»

فلماذا قال : إن اسمه محمد ؟ والإجابة على ذلك : هى : أن الله تعالى قال فى التوراة عن إسماعيل : «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره **كثيرا جدا** . اثنى عشر رئيسا وأجعله **أمة كبيرة**» [تكوين ١٧:٢٠]

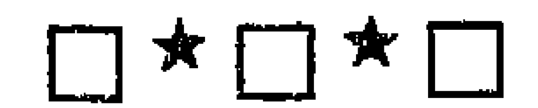
أ - قوله «كثيرا جدا»
ب - وقوله «أمة كبيرة»

كثيرا جدا . بالعبرانية «بماد ماد»
وأمة كبيرة . بالعبرانية «لجوى جدول»
وقد رمز كاتب التوراة لاسم «محمد» فى سياق بركة إسماعيل عليه السلام بـ «ماد ماد» و «لجوى جدول» بحساب الجُمَّل .

قال صاحب الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام : «إن الله قال لإبراهيم : «قد استجبتك فى إسماعيل . وباركته وكثرته وأنميته . **جدا جدا** . يولد له اثنا عشر عظيما ، وأجعله **لشعب عظيم**» ولايشك فى أن الشعب العظيم هو محمد عليه السلام وأمته . إذ لم يكن فى ولد إسماعيل أعظم منهم .

وقد تفطن بعض النبهاء ممن نشأ على لسان اليهود ، وقرأ بعض كتبهم ، فقال : فى التوراة موضعان يخرج منهما اسم محمد بالعدد على ماتستعمله اليهود فيما بينهم . ثم ذكر ما قدمته من قول الله لإبراهيم : «قد استجبتك فى إسماعيل» فأما قوله «جدا جدا» فهو بتلك اللغة «بمأد ماد» وعدد هذه الحروف اثنان وتسعون . وذلك أن الباء عندهم اثنان ، والميم أربعون ، والألف واحد ، والدال أربعة . وكذلك الميم من محمد أربعون ، والحاء ثمانية ، والميم أربعون ، والدال أربعون .

وأما قوله «لشعب عظيم» فهو بتلك اللغة «لغوى غدول» فاللام عندهم ثلاثون ، والغين ثلاثة . وهى عندهم مقام الجيم . اذ ليس فى لغتهم جيم ولاضاد . والواو ستة ، والياء عشرة ، والغين أيضا ثلاثة ، والدال أربعة ، والواو ستة ، واللام ثلاثون . فمجموع هذه أيضا اثنان وتسعون . وهذا من رشيق الفهم ، وملح البحث ، وغرائب العلم[1]» أ.هـ



(١) الإعلام ص ٢٦٥-٢٦٦ .

الفصل الثالث عشر

ضياع الإنجيل

يُوجد فرق بين أ – الخبر ب – والبشرى بالخبر .

فالخبر هو الإعلام بشيء ماً . وإذا كان الخبر يسر المنتظرين له ، وجاءهم من ينبؤهم بقرب تحقق الخبر ، فإنه يكون مبشرا بالخبر . فالخبر شيء ، والبشرى بالخبر شيء آخر .

أ – وقد أخبر نبي الله موسى عليه السلام بني إسرائيل بنبي يظهر من بعده مثله ، في هذا النص :

« يقيم لك الرب إلهك نبياً من بينكم من إخوتك مثلي . له تسمعون جريا على كل ما سألته الرب إلهك في حوريب في يوم الاجتماع قائلاً : لا عدت أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت .

فقال لي الرب : قد أحسنوا فيما قالوا : أُقيم لهم نبيا من بين إخوتهم مثلك وأُلقي كلامي في فيه ، فيخاطبهم بجميع ما آمره به . وأي إنسان لم يطع كلامي الذي يتكلم به باسمي ، فاني أحاسبه عليه . وأي نبي تجبَّر فقال باسمي قولا ، لم آمره أن يقوله ، أو يتنبأ باسم آلهة اخر ، فليقتل ذلك النبي .

فإن قلت في نفسك : كيف يُعرف القول الذي لم يقله الرب ؟ فإن تكلم النبي باسم الرب ولم يتم كلامه ولم يقع ؛ فذلك الكلام لم يتكلم به الرب ، بل لتجبره تكلم به النبي . فلا تخافوه[1] »

ب – وجاء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ليبشر بهذا النبي من بعده .

أما النصارى فيقولون : إن الخبر هو موت المسيح عيسى فداء عن الخطايا والآثام ، وإن البشرى هي في قوله إن زمان الفداء قد جاء في شخصي أنا . هذا هو قول النصارى . مع اعترافهم كلهم بأن الإنجيل كلمة يونانية ،

(١) تثنية ١٨ : ١٥ – ٢٢ ترجمة اليسوعيين .

معناها : البشرى بخبر سار .

ويقول النصارى بأنه كان يوجد بعد رفع المسيح مباشرة أ - كتاب يحتوى على أقوال السيد المسيح ب - وكتاب يحتوى على سيرته . وأن الأناجيل الأربعة قد جمعت الأقوال والسيرة معا . ثم إن الأقوال قد فقدت ، والسيرة أيضاً . ويسمون الأقوال «لوجيا» Logia ويسمون السيرة « كويل» Quelle وقد حكى الأستاذ عباس محمود العقاد عنهم : أن منهم من يسمى كويل لوجيا . والحق : أنهما مختلفان . يقول رحمه الله :

« الإنجيل كلمة يونانية بمعنى الخبر السعيد ، أو البشارة . وقد تداول المسيحيون فى القرن الأول عشرات النسخ من الأناجيل ، ثم اعتمد آباء الكنيسة أربع نسخ منها بالاقتراع - أى بكثرة الأصوات - وهى إنجيل مرقس وإنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا ، مع طائفة من أقوال الرسل المدونة فى العهد الجديد .

ويرجح المؤرخون المختصون بهذه المباحث : أن الأناجيل جميعا تعتمد على نسخة آرامية مفقودة ، يشيرون إليها بحرف «ك» مختزلة من كلمة كويل Quelle بمعنى الأصل . ومنهم من يسمى هذه النسخة لوجيا Logia بمعنى الأقوال . ويريدون بها الأقوال الشفهية التى سمعت ، ثم كتبت - على القول الراجح عندهم باللغة الآرامية - ويعللون اتفاق متى ولوقا فى بعض النصوص باعتمادهما معا على تلك النسخة المفقودة .

أما الأناجيل الموجودة الآن . فقد كتبت جميعا باليونانية العامة Koine ولوحظ فى ترجمتها : أنها تعتمد على نصوص آرامية ، وتحافظ على ما فيها من الجناس ، وترادف المعانى والمفردات . وتتفق الآراء على أن هذه الأناجيل لا تحتوى على كل ما فاه به السيد المسيح . إذ جاءت فى أعمال الرسل التى تضمنها العهد الجديد ، كلمة منسوبة إلى السيد المسيح ، لم ترد فى الأناجيل وهى : «تذكروا كلمات المسيح . إن العطاء مغبوط أكثر من الأخذ» وجاءت فى الأناجيل الأخرى التى لم تعتمد كلمات من هذا القبيل . وكشفت أوراق بردية فى «مصر» ترجع إلى منتصف القرن الثانى لا تشبه الأناجيل المعتمدة فى نصوصها»[1] . هـ

(١) ص ١٩٢ عبقرية المسيح - طبعة دار الهلال .

وفى كتابَ المسيح فى الأناجيل لـ : فَ . كيز يتش . تعريب الأب ميشال نجم . منشورات النور بلبنان سنة ١٩٨١ وترجم عن الأصل الإنكليزى

The Gospel Image of Crist:
The Church and Modern Criticism
Veselin Kesich : لمؤلفه

الصادر عن :

St. Vladimir's Orthodox Theological Seminary
Crestwood, New York 1972

يقول المؤلف ما نصه :

« تعرف الأناجيل الثلاثة الأولى بالأناجيل السينابتية [١]. لأننا إذا وضعنا محتوياتها فى ثلاثة أعمدة نلاحظ توافق هذه المحتويات إلى درجة استخدام الكلمات عينها فى وصف أعمال يسوع ، وتدوين أقواله . ويشكل مدى التوافق أو الاختلاف بين موادها «المسألة السينابتية» بالذات .

ويوافق معظم علماء الكتاب على أن إنجيل مَرْقس هو الأول بين الروايات المدونة عن يسوع ، وأن متى ولوقا ، عرفا هذا الإنجيل ، وكان أحد مصادر إنجيليهما ، واستنادا إلى المواد المشتركة بين متى ولوقا ، وغير الموجودة فى مرقس . قال العلماء بأن متي ولوقا استخدما مصدرا آخر ، يدعى Q الحرف الأول من كلمة Quelle الألمانية ، التى تعنى مصدرا . وهذا المصدر فُقد ، فور إفادتهما منه . ولا يزال الخلاف قائما حول محتوياته .

يضاف إلى ذلك : أن متى ، اعتمد مصادر خاصة به ، يُرمز لها بالحرف M . وكذلك لمرقس مصادره الخاصة ، ويرمز لها بالحرف L ومع أن معظم نقاد العهد الجديد يأخذون بأهم فرضية فى هذه النظرية . أى بأسبقية الإنجيل الثانى ؛ فإن بعض العلماء الكاثوليك ، يُسلمون بأسبقية النص الآرامى لإنجيل متى ، ويقولون بأن متى وضع إنجيله بالآرامية ، حوالى السنة الخمسين ميلادية ، مباشرة ، قبل ظهور مجموعة آرامية لأقوال يسوع . ولم يطل الوقت حتى نقل الإنجيل الآرامى ، وكذلك المجموعة إلى اليونانية .

ومن المفروض : أن تكون قد ظهرت فى وقت قصير ترجمات عدة يونانية

---

(١) من «Synoptiques» ويمكن استعمال أيضاً عبارة «المتماثلة»

لإنجيل متى . فعرف مرقس واحدة منها واستخدمها فى كتابة إنجيله ، لكنه لم يكثر من أقوال يسوع الموجودة فى الإنجيل الأول ، كما أنه لعدم اطلاعه على المجموعة الخاصة ، لم يلجأ إليها . وبعد إكمال إنجيل مرقس ، لجأ أحد المسيحيين المجهولى الهوية ، والذى قد يكون تلميذا لمرقس ، إلى ترجمة النسخة العبرية إلى اليونانية .

وفى عمله هذا ، استخدم إنجيل مرقس ، معيدا إليه الأقوال التى كان مرقس قد حذفها ، ومضيفاً أقوالاً مستقاة من المجموعة الخاصة Q فكان إنجيل متى بشكله الحالى .

أما لُوقَا . فاستخدم مرقس والمجموعة الآرامية ، ومعلوماته الخاصة التى وجدها خلال بحثه عن التقاليد الإنجيلية الأولى .

إن الرأى القائل بأسبقية النص الآرامى لإنجيل متى ، يبدو نظريا أكثر من الرأى القائل بأسبقية إنجيل مرقس .

نظرية الوثائق المتعددة

اعترض جديا فى السنوات الأخيرة على نظرية المصدرية ؛ لأنها لا تعطى التقليد الشفهى حقه ، ولأنها تعتبر عملية تكوين الأناجيل مشكلة أدبية صرفة . وقد ظهرت نظرة جديدة إلى تكوين الإنجيل . وهى لا تزال فى طور النمو ، وتعتمد التقليد الشفهى والتقليد الكتابى . دعاها أصحابها بـ « نظرية الوثائق المتعددة» هذه النظرية تستند إلى الفرضية القائلة بأن مجموعات أقوال يسوع وأعماله ، قد ترجمت إلى اليونانية فى وقت مبكر ، وأن الإنجيليين اعتمدوا هذه المجموعات .

والمهم فى هذه النظرية : أنها تؤكد على وجود اتصالات بين المصادر الإنجيلية ، قبل تأليف الأناجيل . وبالتالى فإن التأثيرات والاحتكاكات الأدبية ، حصلت قبل كتابة إنجيل مرقس ، وليس بعده . أى بين وثائق سابقة للمواد المستعملة فى الأناجيل السينابتية والتى كانت قد انتظمت آنذاك على نحو منهجى تقريباً .

وقصارى القول : إن نظرية المصدرين مبنية على مبدأ الاقتباس . وبالتالى ؛ فإن متى ولوقا اقتبسا من مرقس . أما المتمسكون بنظرية الوثائق المتعددة ،

فيعتبرون أن نظرية المصدرين ذات اتجاه واحد وصارم ، ويرفضون كل الحلول المبنية عليها . وهم يعتقدون بوجود مصادر سابقة للأناجيل[1]» ا. هـ

كتابة الحواريين لأقوال يسوع :

وفى كتاب المسيح فى الأناجيل يقول المؤلف : إن تلاميذ المسيح الأولين «كانوا يوضحون تعاليمه بشأن ملكوت الله ، وعن نفسه . ومع انتشار المسيحية وتزايد عدد الراغبين فيها ؛ قامت الكنيسة بإعداد مجموعات من أقوال يسوع وتعاليمه ، وضعت فى متناول العاملين فى التعليم الدينى . فضبطت بذلك نقل التقليد الإنجيلى ، واطمأنت إلى أن أعضاءها الجدد يتلقون بأمانة أقوال يسوع وأعماله ، وأصبح بإمكان كل كنيسة محلية أن تراقب تعليم الكنائس الأخرى[2]» ا . هـ

معنى الإنجيل :

يقول كيزيتش : «ما هو أصل كلمة إنجيل ؟ هذه الكلمة كغيرها من العبارات الكثيرة الواردة فى العهد الجديد ، كانت متداولة فى العالم الرومانى ، وكانت تشير إلى ميلاد الملك Euaggelion وقد يكون المعنى الذى نعطيه لكلمة إنجيل ، مستقى من نصوص العهد القديم ، وخاصة إشَعْياء ٤٠ — ٦٦ يقول النبى : «ما أجمل على الجبال قدمىْ المبشر ، المخبر بالسلام ، المبشر بالخير ، المخبر بالخَلاص ، القائل لصهيون : قد ملك إلهك» [٥٢ : ٧] نلاحظ فى هذا المقطع : أن الفعل العبرى Bissar قد ترجم إلى السبعينية بفعل euagelizomai الذى يعنى «بشر» بالأخبار السارة . ومع أن العهد القديم لا يستخدم إطلاقاً الاسم العبرى المرادف للاسم اليونانى Euaggelion فمن الأرجح أن يكون معنى هذه الكلمة فى العهد الجديد قد اشتق من النص العبرى للكتاب المقدس ، أكثر منه من الطقوس الرومانية الخاصة بالإمبراطور ... فى الآرامية اسم مرادف لكلمة Euaggelion ومع ذلك يميل البحاثة ، الذين ينكرون على يسوع وعيه أنه « ماسِيًّا» إلى الجزم بأن يسوع لم يستخدم هذه الكلمة أبدا — عن نفسه — أما البحاثة الذين يؤمنون بأن الأناجيل وثائق تاريخية ، فلا يجدون صعوبة فى إسناد الكلمة إلى يسوع» ا . هـ

---

(١) ص ٣٦ — ٣٨ المسيح فى الأناجيل (٢) ص ١٤ المرجع السابق .

تعدد الأناجيل :

ويقول كيزيتش عن التقليد الشفهى . وهو الكلام الذى كان يظهره الحواريون للناس عن ملكوت السموات وأخبار المسيح من قبل تدوين الأناجيل : إن الكنيسة الأولى كانت تعتمد التقليد الكتابى والتقليد الشفهى . فالقديس اغناطيوس الأنطاكى الذى عاش فى أوائل القرن الثانى ذكر معرفته بمواد موجودة فى إنجيلين أو ثلاثة . بيد أنه من الصعب التأكد فى ما إذا كانت معرفته هذه تنبع من الأناجيل أم من التقليد الشفهى . وفى منتصف القرن الثانى استشهد القديس يوستينوس بالإنجيل ، واعتمد كذلك على التقليد الشفهى فكتب فى حواره مع تريفون ٤٧ : ٥ على لسان يسوع : «سأحاكمكم على النحو الذى أجدكم فيه» وهذا القول لا يرد فى الأناجيل الأربعة . ولذلك يغلب على الظن أنه استقى من تقليد شفهى .

الأناجيل الأبوكريفية :

إن المعنى الأصلى لكلمة Apocryphos هو المختبىء . وقد سماها ايرونيموس بالملفق ، وسماها ترتليانوس بالزائف . ومن أناجيل الأبوكريفا . أى الزائفة أو الملفقة أو المختبئة . إنجيل طفولية الرب يسوع ، المعروف أيضا باسم قصة الطفولة لتوما . وفيه : رواية عن يسوع حين كان فى الخامسة يلعب قرب غدير «فجبل طينا ناعما ، وصنع منه اثنى عشر عصفورا . وفعل ذلك فى يوم سبت فشكاه أحد اليهود إلى «يوسف» لأنه يُدنِّس السبت . وبعد تأنيب يوسف له ؛ صفَّق يسوع بيديه ، وصرخ قائلاً للعصافير : طيرى . فابتعدت العصافير . وهى تزقزق[1]»

وفى كتاب حياة المسيح للدكتور فردريك . و فارار كلام مشابه لكلام كيزيتش . وكلهم مجمعون على أن عيسى عليه السلام كان يدعو إلى ملكوت السموات الذى أصله من سفر دانيآل . وملكوت السموات الذى أصله من سفر دانيآل هو ملكوت محمد نبى الإسلام ﷺ فتكون بشارة عيسى عليه السلام هى لاقتراب ملكوت محمد ﷺ لا لموته على الصليب كفارة عن المجرمين .

---

(١) ص ١٢٥ المسيح فى الأناجيل .

يقول كيزيتش تحت عنوان :

المسيح فى اليونانية Christos كريستوس والعبرية Mashiah ماسِيًّا: «فيما بعد وعندما قوى التعلق بالقومية اليهودية وخاصة فى العصر الهلينى ؛ أخذ الرجاء الماسيانى معانى سياسية ، فكان معاصرو يسوع يتوقعون مجيء زعيم قومى ، وملك قومى ، يلعب دور مسيح الرب ، ويخلص شعبه من النير الرومانى ، ويعيد الملك إلى إسرائيل ، وكانت الجموع التى تقبلت بغبطة كلام يسوع وتلاميذه ، تشارك فى هذا المفهوم لمجيء الماسيا . وقد استمرت فى هذا الفهم وهذا الرجاء حتى النهاية[1] »

ويقول كيزيتش تحت عنوان ابن الإنسان :

« أما الآيات الأساسية فى الأصحاح السابع من دانيآل ، فهى : «ورأيت فى رؤى الليل فإذا بمثل **ابن الإنسان** ، آتيا على سحاب السماء ، فبلغ إلى قديم الأيام وقرب إلى أمامه ، وأوتى سلطانا ومجدا **وملكا** ، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه . وسلطانه سلطان أبدى لا يزول ، وملكه لا ينقرض»
[دانيآل ٧ : ١٣ - ١٤]

ولكن ابن الإنسان الذى ينصر «قديسى العلى» [دانيآل ٧ : ١٨] يعطى ملكا أبديا ، وابن الإنسان هذا هو ملك الملك الأبدى وماسيا[2] »ا . هـ

ويقول كيزيتش : «بين علماء العهد الجديد من يزعم أن يسوع لم يعلن أبدا أنه ماسيا ، وإنما الكنيسة اخترعت بعد قيامة المسيح من الأموات « السر الماسيانى » ويقولون بأن العبارات الماسيانية المدونة فى الأناجيل ليست ليسوع ، بل من وضع الكنيسة »

ويشير كيريتش إلى مرجعه بالآتى :

Wrede: The Messianic Secret in the Gospels, 1901

فى كتاب :

Albert Schweitzer: The Quest of the Historical Jesus, New York, Macmillan, 1961, pp. 330-348

قبل أكبر ممثلين لحركة النقد الحديثة المعروفة بنقد الأشكال الأدبية ،

---

(١) ص ٧٦ - ٧٧ المسيح فى الأناجيل . (٢) ص ٧٩ - ٨٠ المسيح فى الأناجيل

بولتمان وديبيليوس نظرية ويرد . يعتقد بولتمان : أن المسيح لم يؤمن أنه هو الماسيا . هذه النظرة أصبحت عقيدة فى مدرسة بولتمان ، وتبين الكثير من طريقة تفسيره للإنجيل . ويعتقد أتباع « بولتمان » أن السر الماسيانى لا يمت بصلة إلى حياة يسوع وتعاليمه .

سيد داود :

ويقول كيزيتش : «عندما كان يسوع يعلم فى الهيكل ، استشهد بالمزمور ١١٠ سائلا : «كيف يقول الكتبة : إن المسيح[1] هو ابن داود ؟» مادام داود نفسه قد قال : «قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك» ثم أضاف قائلا : «فداود نفسه يدعوه ربا ، فكيف يكون هو ابنه ؟» [مرقس ١٢ : ٣٥ - ٣٧] يظهر من تساؤل يسوع : أن لقب «ابن داود» الذى

---

(١) يقول الإمام ابن حزم الأندلسى رضى الله عنه : «وفى أول إنجيل لوقا - الذى هو تاريخه المؤلف فى أخبار المسيح - قال لوقا : «كان بعهد هيرودس والى بلد يهوذا ، كوهن يُدعى زكريا ، من فرقة أبيًا ، وزوجته من بنات هرون ، تسمى أليشبات» ثم ذكر كلاما فيه مجىء جبرائيل الملاك - عليه السلام - إلى مريم أم المسيح - عليهما السلام - وأنه قال لها فى جملة كلام كثير : «وقد حبلت أليشبات قريبتك على قدمها وعقرها»

فأخبر : أن أليشبات هارونية ، وأنها قريبة لمريم . فعلى هذا ، فمريم أيضا هارونية . والنصارى كلهم مصفقون على ما فى جميع الأناجيل من أن المسيح هو ابن داود ، من نسل داود عليه السلام . وفى مواضع كثيرة منها : «يورثه الله ملك أبيه داود» [لو ١ : ٣٢] وأن العمى والمباطين والمرضى والمجانين والجن ، كانوا يقولون له : «يابن داود» فلا ينكر ذلك عليهم .

ولا يختلف النصارى واليهود فى أن المسيح المنتظر ، هو من ولد داود . والمسيح مع هذا كله قد أنكر فى الباب الثالث عشر من إنجيل متى أن يكون المسيح من ولد داود . فكيف هذا الاختلاط والتلون ؟»

ويقول الإمام ابن حزم : «وفى الباب الثالث والعشرين من إنجيل متى : «أن المسيح كاشف علماء بنى إسرائيل ، وقال : ما تقولون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا : هو ابن داود . فقال لهم : كيف يسميه داود بالروح إلها حيث كتب قال الله لإلهى : اقعد على يمينى ، حتى أجعل من أعداءك كرسيا لقدمك . فإن كان داود يدعوه إلها ، فكيف هو ولده ؟ فلم يقدر منهم أحد على مراجعته»

قال أبو محمد : هذا هو الحق من قول المسيح عليه السلام . ولقد أنكر - عليه السلام - المُنكر حقا . والعجب : أن هؤلاء الأنذال المنتمين إلى أتباعه - عليه السلام - لا يختلفون فى الاحتجاج بهذا الفصل المذكور . وهو أنه عليه السلام قد أنكر أن يكون المسيح ابن داود . وهم يسمونه فى الأناجيل كلها : بأنه ابن داود . فاعجبوا» ا . هـ

[ص ٣٦٧ وص٣٤٩ - ٣٥٠ أهل الكتاب لابن حزم الأندلسى . نشر المكتب الثقافى بالقاهرة]

كانت له جذور عميقة فى التوقعات الماسيانية الشعبية لم يكن كافيا ، للتعبير عن ماسيانية يسوع ، وهدف عمله الخلاصى[1]»ا . هـ

برنابا ينقل عن عيسى عليه السلام أن المسيا سيأتى من بعده :

« أجاب الكاهن : إنه مكتوب فى كتاب موسى : إن إلهنا سيرسل لنا مسيا ، الذى سيأتى ليخبرنا بما يريد الله ، وسيأتى للعالم برحمة . لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق : هل أنت مسيا الله الذى ننتظره ؟

أجاب يسوع : حقا إن الله وعد هكذا ، ولكنى لست هو . لأنه خلق قبلى ، وسيأتى بعدى[2]، أجاب الكاهن : إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبى وقدوس الله . لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حبا فى الله بأية كيفية سيأتى مسيا .

أجاب يسوع : لعمر الله الذى تقف بحضرته نفسى : أنى لست مسيا ، الذى تنتظره كل قبائل الأرض ، كما وعد الله أبانا إبارهيم[3] قائلاً : بنسلك أبارك كل قبائل الأرض» [بر ٩٦ : ٣ – ٨]

المسيا فى توراة موسى :

إن الكاهن يقول لعيسى عليه السلام : «إنه مكتوب فى كتاب موسى : إن إلهنا سيرسل لنا مسيا» وهذا المكتوب موجود إلى الحين فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . وهو «يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من أخوتك مثلى . له تسمعون» يقول الأنبا أثناسيوس فى تفسيره لإنجيل يوحنا : «كان موسى النبى قد قال لليهود : يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من أخوتك مثلى . له تسمعون» [تث ١٨ : ١٥] وقد كان المفهوم المباشر لهذه النبوءة : إنها عن يشوع الذى جاء بعد موسى . ولكن اليهود فهموها دائماً : أنها عن نبى من نوع آخر ، يقيم عهدا جديدا معهم . هو عهد المسيا» ا . هـ

وإذ قد صح وثبت أن النبى الأمى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية هو محمد ﷺ فإن محمدا ﷺ يكون هو المسيا . وما قاله برنابا هو

---

(١) ص ٨٣ المسيح فى الأناجيل .

(٢) يوحنا ١ : ١٥ . (٣) تك ٢٢ : ١٨

نفسه الذى قاله هؤلاء العلماء الذين حكى كلامهم «كيزيتش»

ريان يعتقد أن عيسى ليس هو المسيا

والفيلسوف الفرنسى رينان يؤكد أن عيسى ليس هو المسيا المنتظر ، فإن يسوع أعلن أن المسيا سيأتى من بعده . وقال : إن يسوع كان تلميذا للربى هلّليل[1] .

نقل القس الدكتور فهيم عزيز عن علماء الغرب كلامهم عن المسيا :

يقول : «إن كثيرين من علماء الغرب ينكرون أن يسوع كان يتصرف ويتكلم كمسيح اليهود ، أو المسيا الذى كان ينتظره العهد القديم[2]»

التعليق

أيها النصارى :

أنتم تقولون : إن نبوءة «يُقيم لك الرب إلهك نبيا» هى التى تدل على المسيا . وهى تدل على محمد ﷺ فيكون هو . فلماذا رفضتم إنجيل برنابا الذى بين لكم : أن المسيا هو محمد رسول الله ؟

لماذا ترفضونه ؟ ها إن ما قاله برنابا عن المسيا ، هو نفسه ما قاله العلماء اليوم . بل هو نفسه صريح الأناجيل الأربعة . فإن عيسى عليه السلام لما سأل عن النسل الذى سيظهر المسيا منه . وأجابوا بأنه نسل داود ؛ وبخهم على قولهم . وقال لليهود : لو كان من نسله ، ما كان يدعوه بسيده [متى ٢٢ : ٤١ إلخ]

الكنيسة ومركيون :

يقول كيزيتش : إن « مركيون » سنة مائة وخمسين ميلادية اعتمد على إنجيل لوقا وحده ، وحذف الأصحاح الأول والثانى منه .. واعتمد على عشر رسائل لبولس .

الإنجيل الرباعى Diatessaron والـ Euaggelion tetramovphon

تاتيانوس حوالى السنة المائة والسبعين ميلادية وضع إنجيلا من خلال

(١) ص ٨٣١ حياة المسيح للدكتور فردريك . فارار

(٢) ص ١٦٠ ملكوت الله .

الأربعة أناجيل ، وسماه الإنجيل الرباعى . واستخدمت بعض الكنائس الشرقية هذا الكتاب ، وبقى مستخدما فى الكنيسة السريانية حتى القرن الخامس ، حين استبدل أسقف رها« رابوله »الأناجيل المندمجة بالأناجيل المنفصلة الأربعة . وقد فقد النص الأصلى لكتاب «تاتيانوس»[1]

التناقض فى معانى الأناجيل الأربعة :

وسنذكر أمثلة على تناقض المعانى فى الأناجيل الأربعة ، لئلا يصدق أحد أنها من وحى الله عز وجل

عيد الفصح

المثال الأول :

هو عيد تذكار خروج اليهود من مصر ، مع موسى عليه السلام والنص عليه فى سفر اللاويين هو : «فى الشهر الأول فى الرابع عشر من الشهر بين العشائين فِصْح للرب . وفى اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيد الفطير للرب . سبعة أيام تأكلون فطيرا . فى اليوم الأول يكون لكم محفل مقدس . عملا ما من الشغل لا تعملوا» [لا ٢٣ : ٥ -]

واليهود يقولون : إنه فى اليوم الخامس عشر من نيسان كان يوم الفصح ، فى السنة التى قتل فيها المسيح - بزعمهم - ويقول يوحنا فى إنجيله : إن يوم ١٥ نيسان كان موافقا يوم سبت .

ويقول يوحنا : إن المسيح صلب يوم الجمعة قبل السبت . أى قبل أكل المسيح لطعام الفصح .

ويقول لوقا : إن المسيح أكل طعام الفصح قبل يوم الجمعة . وههنا تناقض بين قول يوحنا وقول لوقا .

يقول لوقا : «وجاء يوم الفطير الذى كان ينبغى أن يُذبح فيه الفصح . فأرسل بطرس ويوحنا وقال : اذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكل ... إلخ» [لو ٢٢ : ١ -]

---

(١) ص ٦١ المسيح فى الأناجيل .

ويقول يوحنا : «أما يسوع قبل عيد الفصح» [يو ١٣ : ١] ثم يقول يوحنا : إن المسيح أكل بالفعل مع تلاميذه طعام الفصح [يو ١٣ : ٢٣] ويقول يوحنا : إن الجند ذهبوا بيسوع إلى الوالى ليقتله صبح الجمعة «ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية ، لكى لايتنجسوا فيأكلون الفصح» [يو ١٨ : ٢٨] ويقول : إن الوالى خيّر اليهود بقوله : «ولكم عادة أن أطلق لكم واحدا فى الفصح» [يو ١٨ : ٣٩] هل أطلق لكم بارا باس أم يسوع ؟ فقالوا : باراباس . وعندئذ سلمه لليهود فى نحو الساعة السادسة من بدء صبح الجمعة . فذهبوا به وصلبوه .

فيوم الجمعة الذى قبل السبت هو «يوم التهيئة» للسبت . والسبت الذى يليه كان «يوما عظيما» [يو ١٩ : ١٤ و ٣١] والمسيح صلب فيه – كما يزعمون – فكيف يكون قد أكل الفصح . وهم قد صلبوه قبله ؟

وبين الكنائس الشرقية والغربية خلاف شديد فى هذا الموضوع . أدَّى إلى تعليم الكنائس الشرقية بوجوب استعمال الخبز المختمر ، وأما الكنائس الغربية فتعلم استعمال الفطير .

محاكمات يسوع

المثال الثانى :

يقول كتاب الأناجيل : إن المسيح حوكم مرتين ، مرة أمام علماء بنى إسرائيل ، ومرة أمام الحاكم الرومانى . فهل محاكمته أمام العلماء تاريخية ؟ وهل محاكمته أمام الحاكم الرومانى تاريخية ؟

يقول يوحنا : إن الجند قبضوا على يسوع ليلة الجمعة . وكان معهم مشاعل ومصابيح وسلاح . ومضوا به إلى رئيس الكهنة «حَنَّان» ثم مضوا به إلى «قيافا» رئيس الكهنة . وفى صبح الجمعة مضوا به إلى بلاطس الوالى . وفى الساعة السادسة من بدء نهار الجمعة سلمه بيلاطس إلى اليهود ليقتلوه . ويقول مرقس : إنهم صلبوه فى الساعة الثالثة . كم هى عدد الساعات التى تمت فيها المحاكمات ؟ ويقول لوقا : إنه فى خلال تلك الساعات ، اقتادوا يسوع إلى محاكمة رابعة عند هيرودس . فكيف تمت فى ساعات معدودة حدوث تلك

المحاكمات ؟

واعلم : أن التوراة تنص على قتل أى إنسان يهودى أو أممى يعيش بين اليهود إذا سبَّ الله تعالى . ففى سفر اللاويين : «من جدَّف على اسم الرب يُقتل . ترجمه كل الجماعة رجما . الغريب كالوطنى ، عندما يجدف على الاسم ، يُقتل» [لا ٢٤ : ١٦]

ومعلوم أن المسيح نبى من الأنبياء الصادقين . فهل يصُدق العقل أنه جدف على اسم الله ؟ ولقد سئل من قبل الكهنة – كما فى الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا – عن قوله عن نفسه إنه إله . وأجاب بأننى لست إلها حقيقيا ولست ابن الله ابنا طبيعيا . وإنما بلغة الزبور : أن جميع بنى إسرائيل آلهة مجازا ، وأبناء الله مجازا . سواء كانوا صالحين أو أشرارا . وأنا صالح ، ومن بنى إسرائيل ، فلماذا تقولون إننى أجدف على اسم الله ، وأنا وأنتم شركاء فى تقديس الكتاب . يقول يوحنا : «فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه . أجابهم يسوع : أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى . بسبب أى عمل منها ترجموننى ؟ أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف . فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها . أجابهم يسوع : أليس مكتوبا فى ناموسكم : أنا قلت : إنكم آلهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله . ولايمكن أن ينقض المكتوب ، فالذى قدسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له : إنك تجدف لأنى قلت : إنى ابن الله ؟» [يو ١٠ : ٣١ – ٣٦]

ما هى فائدة الاتهام مرة ثانية . وهو قد نفاه بحضرتهم من قبل ؟

ولذلك روى يوحنا : «فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه . أجابه يسوع : أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما . وفى الخفاء لم أتكلم بشىء . لماذا تسألنى أنا ؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم . هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا» [يو ١٨ : ١٩ – ٢١] ومن الواضح أنه برَّأ نفسه . وذلك لأنه استدل بآية فى سفر المزامير هى : «أنا قلت : إنكم آلهة ، وبنو العلى كلكم» [مزمور ٨٢ : ٦] وبرأه بيلاطس أيضا من اتهام اليهود له «فخرج بيلاطس أيضا خارجا وقال لهم : ها أنا أُخرجه إليكم ؛ لتعلموا : أنى لست أجد فيه علة

واحدة» [يو ١٩ : ٤] ولكن اليهود صاحوا بقولهم : «لنا ناموس . وحسب ناموسنا يجب أن يموت ؛ لأنه جعل نفسه ابن الله» [يو ١٩ : ٧]

ما المراد بابن الله ؟ هذا سؤال مهم . لأن اليهود كلهم أبناء الله مجازا ، كما فى المزمور الثانى والثمانين . وهو من اليهود من نسل هرون عليه السلام وابن الله ههنا يدل على «المسيا المنتظر» فهل عيسى هو المسيا؟ وهل قال : إنه ابن الله الذى هو المسيا ؟ هذا مايجب البحث عنه . إن من أوصاف ابن الله الذى هو المسيا : أن يكون ملكا ورئيسا مطاعا على قومه . ولذلك قال لبيلاطس : «مملكتى ليست من هذا العالم» [يو ١٨ : ٣٦] إذاً هو ليس ملكا . إذاً هو ليس المسيا ؟ ولقد قال لليهود لما سألوه هل ندفع الجزية أم لاندفع ؟ : « أعطوا مالقيصر لقيصر وما لله لله» فكيف يكون ملكا من لايريد مناوئة الرومان ؟ وفى إنجيل لوقا : «فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس ، وابتدأوا يشتكون عليه قائلين : إننا وجدنا هذا يُفسد الأمة ، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا : إنه هو مسيح ملك . فسأله بيلاطس قائلا : أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال : أنت تقول .

فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع : إنى لا أجد علة فى هذا الإنسان» [لو ٢٣ : ١ - ٤]

إنهم قدموه للوالى الرومانى بيلاطس بتهمة أنه المسيا ملك اليهود . ولقد رد على بيلاطس بقوله أنت تقول إنى ملك ولكنى أنا لم أقل .

وبالحقيقة لم يقل . لأنه قال فى أكثر من مناسبة : إن المسيا سيأتى من بنى إسماعيل . وذلك لأن لاسماعيل بركة . ألم يقل قد اقترب ملكوت السموات الذى صرح بتأسيسه على الأرض دانيآل ؟فاتهامهم له بأنه المسيا الملك هو اتهام بلا دليل . وإذا جاز أنه اعترف بأنه هو المسيا ؛ فإن اعترافه يُحمل على أنه هو ، من باب الاتحاد فى الهدف . وإلا فإن التناقض يكون ظاهرا .

ونبوءة «ابن الله» أصلها من المزمور الثانى . وهى من نبوءات المسيا . وقد طبقها يسوع على محمد ﷺ فى قوله : «تبارك اسم الله القدوس ، الذى من جوده ورحمته ، أراد فخلق خلائق ليمجدوه تبارك اسم الله القدوس الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء قبل كل الأشياء ، ليرسله لخلاص

العالم ، كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا : قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك ... الخ» [بر ١٢ : ٦ -]

وأما نص نبوءة الابن فهو :

«لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب فى الباطل . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين : لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما .

الساكن فى السموات يضحك ، الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى .

إنى أُخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد . مثل إناء خزاف تكسرهم . فالآن يأيها الملوك تعقلوا . تأدبوا ياقضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا عن الطريق . لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه» [مز ٢]

فى تلك الترجمة «قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك» وفى الترجمة السابقة عليها : «قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك» والمعنى : أن المسيا قريب من الله كقرب الابن من أبيه ، وأنه قدر فى سابق علمه فى الأزل أن يوجده فى حينه . وسيملكه على الأمم والشعوب وسينصره على أعدائه . فهل اعترف المسيح بأنه هو ذلك الابن ؟ إنه لم يعترف لا ساعة المحاكمة ولا من قبلها . ولم يكن ملكا ولم يحارب ولم ينتصر . فكيف يتهمه اليهود بأنه ابن الله أى المسيا ؟ كيف يتهمونه وهو فى الإنجيل قد رفض الملك على شعب «نايين» وقال : إن الابن سيأتى من بعده ؟

وأعتقد أن هذه المعانى ، هى التى صرح من أجلها «بول ونتر» فى كتابه «حول محاكمة يسوع» بأن اليهود لم يشتركوا فى محاكمة يسوع . وأن ما فعلوه بهذا الصدد كان نتيجة الضغط الرومانى ، وأن الكنيسة والإنجيليين، شوهوا

هذه الحقائق لاتهام أورشليم وإرضاء روما[1] .

ولقد تحدث المسيح عن مجيء الابن من بعده ، فقال : «لكى يُكرم الجميع الابن ، كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن ، لايكرم الآب الذى أرسله ...» [يو ٥ : ٢٣] ولكن النصارى من بعد رفعه ، ألصقوا به زورا أنه هو المسيا . ووضعوا عليه «ابن الله» وهو اللقب الخاص بالمسيا ، ليختموا به النبوات . يقول كيزيتش : «لم تقتصر ألقاب يسوع على «المسيح» و «ابن الإنسان» و «الخادم المتألم» بل تجاوزتها إلى ألقاب . منها لقبان يكشفان أمورا جديدة عن يسوع وماسيانيته ، وهما «الابن» و «الرب» بمعنى السيد[2] »

واليهود من أجل خداع الناس فى حقيقة النبى المنتظر ، وضعوا لقب «ابن الله» على «النبى الأمى» الآتى إلى العالم من بنى إسماعيل . ليقولوا : إنه سيأتى من جنسهم . ومكتوب عنهم فى التوراة : «أنتم أولاد للرب إلهكم» [تث ١٤ : ١] ومكتوب أيضا : أن الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحدا . ومكتوب أن خالق العالم هو الله وحده . وأن المراد عندهم من البنوة: هو المعنى المجازى لا الطبيعى . ففى سفر إشعياء : «من سمع مثل هذا ؟ من رأى مثل هذا ؟ هل تمخض بلاد فى يوم واحد أو تولد أُمَّة دفعة واحدة ؟ فقد مخضت صهيون ، بل ولدت بنيها . هل أنا أُمخض ولا أُوَلِّد ؟ يقول الرب» [إش ٦٦ : ٨ - ٩] وفى سفر إشعياء : «فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم ، وإن لم يدرنا إسرائيل ، أنت يارب أبونا ، ولينا . منذ الأبد اسمك» [إش ٦٣ : ١٦] وفى إشعياء : «اسمع لى يايعقوب وإسرائيل الذى دعوته : أنا هو . أنا الأول وأنا الآخر ، ويدى أسست الأرض ويمينى نشرت السموات . أنا أدعوهن فيقفن معا» [إش ٤٨ : ١٢ - ١٣] وفى إشعياء : «أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى . ومن مثل يُنادى ، فيخبر به ، ويعرضه لى ؟ منذ وضعت الشعب القديم والمستقبلات وما سيأتى ، ليخبروهم بها» [إش ٤٤ : ٦ - ٧] وفى إشعيا : «حقا أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلِّص» [إش ٤٥ : ١٠]

---

(١) ص ٥٢ المسيح فى الأناجيل .
(٢) ص ٨٢ المسيح فى الأناجيل .

اقتباسات كُتَّاب الأناجيل من التوراة

المثال الثالث :

كان عيسى عليه السلام إذا أصدر فتوى أو تحدث عن محمد ﷺ يستدل على كل مايقول بآيات من التوراة . والأدلة التى يستدل بها يسميها العلماء بالاقتباسات . وكتَّاب الأناجيل لما كتبوا سيرة عيسى عليه السلام ، استدلوا على أحواله بأدلة من التوراة . فيقولون : إنه ذهب إلى مصر وأتى . لأن الله أراد هكذا فى مشيئته الأزلية . وأخبر عن إرادته فى سِفر هوشع بقوله : «من مصر دعوت أبناءه»

والتوراة ثلاث نسخ هم السامرية والعبرانية واليونانية . وتبين للعلماء أن التطابق التام بين نص التوراة الذى هو فى التوراة وبين نص التوراة المقتبس والموضوع فى الأناجيل ، تبين لهم أن التطابق التام عسير . ويلزم على عدم التطابق : أن أحدهما كاذب . وبالتالى تسقط قدسية التوراة والإنجيل معا .

وقد دونها المستر طوربى ، فى كتابه «العهد القديم فى العهد الجديد»

وقد قرر النتائج الهامة التالية : إنه يوجد فى العهد الجديد خمس وسبعون ومائتا فقرة ، يمكن أن نعتبرها كلها – عدا نزرا يسيرا منها – اقتباسات من العهد القديم ، بلا أدنى نزاع . ومن بينها ثلاث وخمسون فقرة ، تتفق فيها العبرانية والسبعينية والعهد الجديد . أى التى قد نقلت فيها العبرانية حرفيا إلى السبعينية . ومن هذه قد اقتبس البشيرون والرسل[1] وتوجد عشر فقرات . إذ كانت مغايرة فى السبعينية عن العبرانية ، فقد اقتبس العهد الجديد مباشرة من الأصل العبرانى . وتوجد ست وسبعون فقرة اقتبست من السبعينية بتحوير جعلها أقل مطابقة للأصل ، وسبع وثلاثون فقرة اقتبست من السبعينية مع عدم مطابقة السبعينية فيها للأصل العبرانى . ولا أقل من تسع وتسعين فقرة ، اختلفت فى العهد الجديد عن الترجمة السبعيذية وعن الأصل العبرانى .

وهذه التسمية يمكن كتابتها على هيئة جدول كالآتى :

---

(١) البشيرون : كتاب الأناجيل ، والرسل : كتاب الرسائل مثل بولس .

٥٣ قُبلت فيها الترجمة السبعينية
١٠ صححت فيها الترجمة السبعينية
٧٦ حورت عن السبعينية مع ورودها صحيحة فيها
٩٩ تختلف فيها العبرانية والسبعينية والعهد الجديد

وتوجد عدا ماتقدم ثلاث فقرات [يو ٧ : ٣٨ ويو ٧ : ٤٢ وأفسس ٥ : ١٤] يختلف الباحثون فى هل يعتبرونها اقتباسات أم لا .

مدة كَرَازة المسيح

المثال الرابع :

معنى الكَرَازَة : هو البشارة بالخبر السار . والخبر السار هو اقتراب ملكوت السموات . وما مدة الكرازة ؟ يختلف النصارى فيها فبعضهم يقول : إنها سنة واحدة . وبعضهم يقول : ثلاث سنوات تقريبا . وبعضهم يقول : أكثر من ثلاثة بقليل لأن يوحنا ذكر عيداً سنويا يوحنا ٥ : ١ ولم يسمه . والحق : أنها مدة طويلة . وسنذكر ملخص ما قالوه ؛ ليتضح كذب الإنجيل فى تلك المدة .

وقبل مانذكر ماعندهم ، نذكر ماعندنا نحن المسليمن وهو : «حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة . وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورشليم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ، ولإحدى وخمسين سنة مضت من ملك الأشكانيين . وأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة ، ورفعه من بيت المقدس إليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . فكانت نبوته ثلاث سنين . وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين[1] » ا هـ

وفسر مفسرو القرآن قوله تعالى عنه : ﴿**ويكلم الناس فى المهد وكهلا**﴾[2] بأن الكهل ماجاوز الأربعين . وحيث أنه رفع من قبل الأربعين ؛ من قبل أن يكلمهم فى الكهولة ؛ فإنه سينزل فى آخر الزمان من السماء ويكلمهم مدة أربعين سنة . ثم يموت ويدفن فى «يثرب» بجوار قبر عمر بن الخطاب رضى

---

(١) قصص الأنبياء للثعلبى ص ٢٢٣ – ٢٢٤ . (٢) آل عمران ٤٦ .

الله عنه .

هذا هو من كلام أهل التفسير . وليس من حرج على قدرة الله فى رفعه ونزوله فى الثالثة والثلاثين ومابعدها . ولكننا سنبين ههنا الآن : أنه كلم اليهود فى المهد وكهلا ، من قبل حادثة القتل التى نجاه الله منها .

يقول إيرانيوس : إن المسيح كان يبلغ وقت صلبه بين الأربعين والخمسين . وقد قال بذلك استنادا على تقليد شفوى ، تلقاه من الحواريين وأتباعهم[1] .

وفى الأصحاح الثامن من إنجيل يوحنا «قال له اليهود : ليس لك خمسون سنة بعد» [يو ٨ : ٥٧] ويعلق على هذه الفقرة الدكتور فردريك .فارار بقوله : «فى بعض الكتب الزائفة التى لاقيمة لها وردت كلمة «أربعون» بدل «خمسون» ومن المدهش حقا : أن أحد الكتاب الحديثين مثل «جروفر» يحيى الخطأ القديم الذى وقع فيه «إيرانيوس» ويقول : إنه يستخلص من هذه الآية : أن المسيح عاش خمسين سنة على الأرض[2]»

ويقول متى هنْرى فى تفسيره : «يقول القديس إيريناوس – أحد الآباء الأولين – : إن هذه العبارة «ليس لك خمسون سنة بعد» تؤيد التقليد الذى استلمه من بعض الذين عاشروا يوحنا الانجيلى : أن مخلِّصنا عاش خمسين سنة[3]»

فانظر فى ما قدمنا عن النصارى وهو أن المسيح قبل حادثة الصلب كان فى الخمسين من عمره . وانظر فى كلمة ﴿كهلا﴾ المذكورة فى القرآن لبيان عمره عليه السلام . تجد أنه عليه السلام لم يرفع فى سن الثالثة والثلاثين ، وتجد أن مدة كرازته لم تكن ثلاث سنين . بل أكثر .

وفى إنجيل يوحنا إشارة إلى عيد من الأعياد ، يبين أن مدة الكرازة أربع سنين . ففى الأصحاح الخامس : « وبعد هذا كان عيد لليهود ، فصعد يسوع إلى أورشليم» [يو ٥ : ١] أى عيد هذا ؟

---

(١) ص ٨٥٠ حياة المسيح – فردريك

(٢) ص ٢١٢ و ٥٠٥ حياة المسيح لفردريك

(٣) ص ٢٩٥ ج ٢ تفسير إنجيل يوحنا

أى عيد هذا ؟ يقول الدكتور فردريك . فرارا : «سؤال لن تكون له فى الغالب إجابة حاسمة ، مهما كان فى تحقيقها من متعة تاريخية ، وأهمية خاصة فى تقرير مدة كرازة السيد . ولقد كتبت مجلدات برمتها والدخول فى كل المناقشات المتشعبة شاق . لانهاية له ، ومضيعة للوقت بلا جدوى»

ويقول : إن المستر براون قال : ان كرازة السيد كان سنة واحدة . ارتكانا على قول لوقا عن المسيح : «وأكْرز بِسَنَة الرب المقبولة» [لو ٤ : ١٩] وقوله باطل . فإن سنة الرب المقبولة لايراد بها سنة واحدة . وإنما يراد بها السنة التى سيظهر فيها المسيا بملكوته .

ويقول هيبولُس ويوسابيوس : إن مدة الكرازة ثلاث سنين .

ويقول فردريك فارار : إنها ثلاث سنين وبضعة أسابيع أو شهور .

ومن الأمور التى ينبغى أن لاتغيب عن البال تحديد مدة الكرازة :

١ - أن المعمدان قد بدأ دعوته فى عهد «حنَّان» رئيس الكهنة . وأن المسيح عند بدء دعوة يوحنا كان فى الخمسين من عمره[1] ثم بدأ المسيح دعوته . يقول لوقا : «وفى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر . إذ كان بيلاطس البنطى واليا على« اليهودية وهيرودس رئيس رُبع على الجليل ، وفيلبُّس أخوه رئيس ربع على إيطورية وكورة تراخونيتس ، وليسانيوس رئيس ربع على الابلية . فى أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا . كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا . فى البرية» [لو ٣ : ١ - ٢]

يريد أن يقول : أن المعمدان عاصر حنان ، وعاصر قيَافا . ويقول متى : إن الذين قبضوا على يسوع ، ذهبوا به إلى «قيافا» [متى ٢٦ : ٥٧] ويقول يوحنا : إنهم ذهبوا به إلى «حنان» أولا [يو ١٨ : ١٣]

٢ - أن لوقا قال عن المسيح فى بدء دعوته : إنه كان فى نحو الثلاثين على مايُظن . وقال : إنه بدأ دعوته فى السنة الخامسة عشرة من حكم القيصر طيبريوس . وقد حكم طيبريوس الدولة الرومانية بالاشتراك مع القيصر أوغسطس سنة ٧٦٥ من تأسيس مدينة رومة . ومعنى هذا : أن السيد المسيح

---

(١) ص ١١٢ حياة المسيح

قد بلغ الثلاثين حوالى سنة ٧٧٩ رومانية وأنه ولد سنة ٧٤٩ رومانية . أى قبل السنة الأولى للميلاد بأربع سنوات . وهذا مايقوله الأستاذ عباس محمود العقاد – رحمة الله تعالى عليه – ويرد عليه اعتراض قوى . وهو أن لوقا حدد سلطنة طيباريوس بالانفراد ، لا بالاشتراك .

٣ – وقال الأستاذ عباس محمود العقاد : انه يوجد رأى آخر يدل على أن ولادته كانت قبل الميلاد بسبع سنوات فتكون دعوته قد بدأت وهو فى الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين . ودليله : هو أن القيصر أوغسطس أمر بإحصاء للسكان فى كل العالم . وأن الإحصاء الأول جرى إذ كان كيرنيوس واليا على سورية . وقد أرخ يُوسيفُوس هذا الإحصاء بما يقابل السنتين السادسة والسابعة للميلاد . ويرد عليه اعتراض قوى . وهو أن قول لوقا إن الإحصاء قد جرى إذ كان كيرنيوس واليا على سورية ؛ ترجمه الآباء اليسوعيون بأنه جرى بعد ولاية كيرنيوس [لو ٢ : ١ – ٢] فالزمن مشكوك فيه .

٤ – يقول يوسيفوس : «إن حنانا عقد السنهدرين اليهودى ، وأحضر أمامه جيمس أخا عيسى المسمى بالمسيح ومعه آخرون ، ثم أمر بهم أن يرجموا عقابا لهم على عصيان الشريعة»

أعد قراءة قول يوسيفوس التى لم يفطن إليها مؤلف «عبقرية المسيح» ودقق النظر فيها . وسوف ترى أن «حنان» رئيس الكهنة كان حيا إلى مابعد قتل المسيح – كما يزعمون – وأنه عقد السنهدرين لمعاقبة النصارى من بعد المسيح . ومن المؤكد أن «قيافا» سيكون من بعده فى الزمان . وعلى ذلك فالتاريخ الميلادى متقدم مائة سنة على الأقل ، عن التاريخ المعمول به الآن .

٥ – يقول اليهود فى التلمود : إن يسوع كان تلميذا ليشوع بن براخيا . ويشوع عاش قبل المسيح بقرن[١] . فيكون كلام يوسيفوس مطابق لكلام علماء التلمود .

٦ – إن هِلّليل على سبيل الظن وُلد سنة ٧٥ ق.م وجاء إلى أورشليم سنة ٣٦ ق.م وصار ناصحا سنة ٣٠ ق.م ومات سنة ١٠ ق.م .

---

(١) لاتيفوت باب السنهدرين ٦٧ وباب السبت ١٠٤ جراتز ٢٤٢ حياة المسيح ص ٨٣٠

لاحظ : أنه مات سنة عشرة قبل الميلاد . ثم اعلم : أن الحاخام المتضلع جيجر من «فرانكفورت» ومؤلف كتابى «جوذثيم» و«أر شريفت» يقول : «كان يسوع فريسيا ، سار على خطوات هِلليل وأنه لم ينطق بحكم جديدة ، ولم يأت بأفكار أولية »[1] ويقول جيجر : «إن هلليل كان شخصية تاريخية حقة ، بينما أحاطت غيره هالة من التقاليد أو المعجزات ، حجبت شخصيته وجعلتها غير واضحة » وقال رينان : «إن هلليل كان معلماً للمسيح ، وأن المسيح كان تلميذاً له »

فإذا كان هلليل معلما للمسيح والمسيح تلميذ له ، وهلليل مات قبل الميلاد . فكيف قعد المسيح أمامه وهو قد مات من قبل ولادته ؟

إن تلك الأمور التى لايصح أن تغيب عن البال فى تحديد مدة الكرازة . هى على أقل تقدير تبين بمالا خفاء فيه : أن المسيح كان كهلا من قبل أن يرفع إلى السماء كما قال القرآن الكريم .

أما عن أعياد اليهود فى السنة الواحدة . فإننا إذا أخذنا سنة ٢٨ ميلادية مثلا . فإنا نجد :

١ نيسان	الثلاثاء	الموافق ١٦ مارس	عيد رأس السنة اليهودية
١٤ نيسان	الاثنين	الموافق ٢٩ مارس	الفصح – أيام الفطير السبعة
٦ سيفان	الأربعاء	الموافق ١٩ مايو	البندكوستى
١٠ تشرين	السبت	الموافق ١٨ سبتمبر	يوم الكفارة

---

(١) يريد أن يقول :
ما كان عيسى عليه السلام يقول رأيا من تلقاء نفسه . وكل ماقاله كان يستدل عليه بالتوراة . أو هو ترديد قول لنبى سابق عليه ، أو هو كلام عالم معظم عند بنى إسرائيل .
فقوله عليه السلام : « أحبوا السلام بأى ثمن » [متى ٥ : ٩] قالها هلليل [برك أبهوث ١ : ٢١] وقوله : « تذكر أنه خير أن تضطهد ، من أن تضطهد» [متى ٥: ١٠] من [درش أرتز راب٢] وقوله : « لا تكن غضوبا » [متى ٥ : ٢٢] من [أبهوت ٢ وبسخائيم ٦٧]وقوله : « من يعطى إحسانا فى الخفاء ، هو أعظم من موسى نفسه » [متى ٥ : ٤١] قارن [حكمة ١٩ : ١٥ – ١٦ وأمثال ١٩ : ١٧] وعلى قول جيجر المنقول من ص ٨٧٤ من حياة المسيح نقول :
إنه لما نطق باسم محمد ﷺ نطق على تفسير « بماد ماد » فى سياق بركة إسماعيل . ولما صرح بظهور محمد من نسل إسماعيل عليه السلام ، استدل بآيات من التوراة على بركته [تك ١٧ : ٢٠] ولما تحدث عن مملكته وشريعته ، استدل بسفر دانيال . واقنع الحواريين به بالآيات التى تعنيه فى سفر المزامر ومنها « مبارك الآتى باسم الرب »

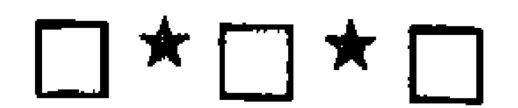
١٥–٢١ تشرين		الموافق ٢٣–٢٩ سبتمبر	عيد المظال
٢٥ كيسليف	الأربعاء	الموافق ١ ديسمبر	التجديد
١٤ آذار	السبت	الموافق ١٩ مارس	البيوريم

أما بيان الحق فى الأناجيل الأربعة . فهو :

إن دعوة عيسى عليه السلام مدونة فى سجلات الدولة الرومانية . وهى التبشير بمحمد ﷺ ويعبر عنها المؤرخون اليوم بأنه كان يبشر بملكوت السموات . أو بملكوت الله . وبعضهم لايفهم أن المراد من هذا الملكوت ظهور نبى الإسلام ﷺ لأنه لايعرف أصل النبوءات[1] . ومدونة أيضا فى الأقوال التى سلمها للحواريين . وفى كل مدينة زارها شفى فيها مرضى وأحيا موتى ، دعا إلى ملكوت الله . وسجلت أقواله وانتقلت شفهيا فى الأسر والعائلات التى أظهر فيها معجزاته . وبعد رفعه إلى السماء ، كتب الحواريون سيرته ، ووضعوا فيها الأقوال . وكان المركز الرئيسى للحواريين فى أور شليم . وكان لليهود أماكن عبادة فى «مصر» و «سوريا» و «إنطاكية» وبلاد كثيرة . فزارها الحواريون أنفسهم أو أتباعهم وحكوا لهم ماسمعوا وشاهدوا ، وسلموهم كتبا من المركز الرئيسى . فيها مادعا به المسيح وأدلته من التوراة .

ثم تبدل الحال . فكثرت الأناجيل المنقولة من كتاب الحواريين ، والأناجيل التى كتبها يهود ودسوها فى الناس .

وفى سنة ٣٢٥ ميلادية انتخب الكافرون من النصارى أربعة أناجيل . كانت فى البدء صحيحة . ولعبوا فيها لتدل على أن عيسى لم يكن يبشر بمحمد ، بل كان يبشر بمجيئه الثانى . ومع ذلك لاتزال إلى اليوم تدل على محمد رسول الله ﷺ



(١) وهؤلاء الذين لا يعرفون يفسرون ملكوت الله بأنه نهاية الدنيا وقيام القيامة.

الفصل الرابع عشر

سبب تحريف الإنجيل

بعدما ذكر عيسى عليه السلام نصوص التوراة عن محمد ﷺ وشرحها ، وبشر بمجيئه ، ورُفع في المجد ؛ تغلّب اليهود على أتباعه ، وحرفوا لهم إنجيله ، وأفسدوا لهم تعاليمه . وذلك بجعل كل نص من نصوص التوراة قد استدل به على محمد ﷺ على عيسى عليه السلام . وبجعل كل كلام يوحنا المعمدان عن محمد ﷺ على عيسى نفسه . فسبب تحريف الإنجيل هو محمد ﷺ لأن اليهود يريدون تشكيك الناس فى نبوته ، من قبل أن يأتى ، لئلا يتبعوه .

وسنبين ههنا طريقة تحريف الإنجيل من سفر أعمال الرسل وقد بينا طريقة تحريفه من الأناجيل نفسها من قبل ، وسنضيف ههنا كلاما منها تدل على كيفية تحريفها .

ولنتذكر قبل الكلام فى بيان التحريف : العهد المبرم بين الله وبين إبراهيم فى السير أمامه ، وأن هذا العهد هو فى نسل إسحق وإسماعيل – عليهما السلام – فإن الله قال عن سارة : «وأباركها» وقال عن إسماعيل : «ها أنا أباركه» وكما جاء من إسحق نبى الله موسى ، يأتى من إسماعيل نبى الله محمد . وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿**إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم ، كما أرسلنا إلى فرعون رسولا**﴾[1] وقد ذكرت التوراة صفات محمد ﷺ فى هذا النص :

«يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك . مثلى . له تسمعون . حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا ، لئلا أموت .

---

(١) المزمل ١٥ .

قال لى الرب : قد أحسنوا فى ماتكلموا . أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم . مثلك . وأجعل كلامى فى فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى . أنا أطالبه . وأما النبى الذى يُطغى ، فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى . فيموت ذلك النبى .

وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ، ولم يحدث ولم يصر ؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى . فلا تخف منه» [تثنية ١٨:١٥-٢٢]

والأوصاف هى :

١ - نبى . لقوله : «يقيم لك الرب إلهك نبيا»

٢ - من بنى إسماعيل . لقوله : «من إخوتك» ومن إخوتك تشمل إسماعيل وتشمل إسحق . وانطباقها على إسماعيل هو المراد . لأن الله بارك فى إسماعيل بملك ونبوة . وهذا النبى هو الآتى منه ، لتبدأ من ظهوره بركته .

٣ - مثل موسى . لقوله : «مثلى» والمثلية محددة بثلاثة أوصاف هى : الحروب ، والانتصار على الأعداء ، والرئاسة على القوم . وقد نصت التوراة على أنه لن يظهر فى بنى إسرائيل نبى مثل موسى . وعدم ظهور المماثل لموسى من بنى إسرائيل ، يدل على أن المماثل من بنى إسماعيل . وذلك لثبوت بركة له . ففى سفر التثنية : «ولم يقم بعدُ نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه فى جميع الآيات والعجائب ، التى أرسله الرب ليعملها فى أرض مصر ، بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه ، وفى كل اليد الشديدة ، وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل» «تث ٣٤:١٠-١٢»

فإن قال النصارى : إن كاتب التوراة فى سبى بابل يقول : حتى زمانى هذا ، لم يظهر النبى المماثل لموسى . ولسوف يظهر بعد . وعليه فإن «لم يقم بعد» ليس معناها «لن يقوم» وهكذا يقول البروتستانت يقال لهم : يلزمكم أن التوراة قد حرفت فى بابل . وأنتم لاتقرون بذلك .

٤ – ينسخ شريعة موسى . لقوله : «له تسمعون»

٥ – أمى لايقرأ ولايكتب . لقوله : «وأجعل كلامى فى فمه»

٦ – امين على الوحى الإلهى . لقوله : «فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

٧ – يقضى على ملك بنى إسرائيل فى العالم . لقوله : «ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى ، أنا أطالبه» أى أنتقم منه .

٨ – لايقتل بيد أعدائه . لقوله : «وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى . فيموت ذلك النبى»

٩ – يتحدث عن غيب ويقع الغيب كما قال : «وإن قلت فى قلبك ... الخ»

وهذا النبى قد لقبه اليهود بلقب «المسيح» كما يلقبون أنبياءهم وعلماءهم وملوكهم . ولقبوه أيضا بلقب «ابن الله» كما يقولون عن أنفسهم : ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾[1]

فإن أليشع النبى دعا «واحدا من بنى الأنبياء ، وقال له : شد حقويك وخذ قنينة الدهن هذه بيدك ، واذهب إلى راموت جلعاد ، وإذا وصلت إلى هناك ؛ فانظر هناك ياهو بن يهو شافاط بن نمشى ، وادخل وأقمه من وسط إخوته ، وادخل به إلى مخدع داخل مخدع . ثم خذ قنينة الدهن وصب على رأسه . وقل : هكذا قال الربَ : قد مسحّتك ملكا على إسرائيل» [٢ مل ٩:١-٣]

وإلياس عليه السلام «قال له الرب : اذهب راجعا فى طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على أرام ، وامسح ياهو بن نِمْشى ملكا على إسرائيل ، وامسح أليشع بن شافاط من آبل محولة نبيا ، عوضا عنك» [١ مل ١٩:١٥-١٦]

---

(١) المائدة ١٨

ثم أطلقت كلمة «المسيح» مجازا ، على كل مختار ومنذور – كما يقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه عبقرية المسيح

أما عن «ابن الله»

فإنه فى الأصحاح الرابع عشر من سفر التثنية : «أنتم أولاد للرب إلهكم» وفى الأصحاح الثالث والستين من سفر إشعياء : «فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم ، وإن لم يدرنا إسرائيل . أنت يارب أبونا . وليُّنا . منذ الأبد اسمك» وعلى هذا المعنى قال داود عن نبى الإسلام ﷺ : «إنى أخبر من جهة قضاء الرب : قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك» [مز ٢:٧]

والابن هنا هو «النبى» الموعود به من آل إسماعيل . وقد استدل بهذا النص عيسى عليه السلام على مجيء محمد ﷺ ولكنه لم يترجمه لا بالابن ، ولا بالولادة . فقال :

«تبارك اسم الله القدوس ، الذى من جوده ورحمته ، أراد فخلق خلائقه ، ليمجدوه ، تبارك اسم الله القدوس الذى خلق نور جميع القديسين والأنبياء قبل كل الأشياء ، ليرسله لخلاص العالم ، كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا : قبل كوب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك ... الخ»[برنابا ١٢:١٦-]

ولم يظهر عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل : أنه هو ذلك النبى . ورفع إلى السماء وهم لا يعلمون أنه هو ذلك النبى .

ويدل على ذلك :

إن محرفى الإنجيل كتبوا فى سفر أعمال الرسل : أن بطرس هو الذى قال لبنى إسرائيل : إن النبى الأمى المماثل لموسى فى سفر التثنية هو يسوع . وما كنا لحقيقته عارفين . لأنه لم يقل لنا ، أما الآن وقد رُفع فى المجد ؛ فإننا قد عرفنا أنه هو . ويجب عليكم أن تتوبوا ، ليرسل الله لكم يسوع من السماء .

يريد أن يقول : إن يسوع لما ظهر فى اليهود ، لم يكن هو النبى الأمى المماثل لموسى . ولكنه لما رفع ، سينزل مرة ثانية . وفى المرة الثانية سيكون هو النبى الأمى المماثل لموسى . كيف هذا ؟ يسوع فى حياته شخصان . فى حياته الأولى : يسوع . وحياته الثانية : النبى الموعود به . كيف هذا ؟ ومافائدة نبوته إذًا ؟ ويقول الأرثوذكس والكاثوليك : إن يسوع فى المرة الثانية لن ينزل بالجسد ولا بالروح ، بل سينزل نزولا روحيا على قلوب المؤمنين به ، ويقوى إيمانهم . وعلى قولهم هذا كيف يحاسب ، وكيف ينتظر ، وكيف يكون رئيسا على قومه ، وكيف ينسخ شريعة موسى ؟

يقول بطرس :

«فتوبوا وارجعوا ، لتمحى خطاياكم ، لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب . ويُرسِلَ يسوعَ المسيحَ ، المبشرَ به لكم قبل ، الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شىء ، التى تكلم الله عنها بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر . فإن موسى قال للآباء : إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم . له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ، ويكون أن كل نفس لاتسمع لذلك النبى ، تُباد من الشعب» [أع ٣:١٩-٢٣] هذا هو النص الذى وضعه المحرفون . وفيه يطلب بطرس من اليهود أن يتوبوا ، ليرسل الله يسوع المسيح ، المبشَّر به فى سفر التثنية . ومتى يرسله وقد كان من قبل رسولا ؟ يرسله بالروح فى المجىء الثانى – هكذا يقولون – فما فائدة المجىء الأول إذًا ؟

لقد أرادوا وضع النبوءة على عيسى عليه السلام . ولما عرفوا أن أوصافها لاتنطبق عليه ، قالوا : ستنطبق عليه فى مجيئه الثانى . وكيف تنطبق عليه وهو نبى من أنبياء بنى إسرائيل ؟

نبوءة الابن :

ومحرفو الإنجيل جاءوا على نبوءة الابن التى هى فى المزمور الثانى لداود ، وطبقوها على عيسى عليه السلام مع أنه استدل بها على محمد ﷺ

وهذا هو نص النبوءة : «لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب فى الباطل . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا ، على الرب وعلى مسيحه . قائلين :

لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليه بغضبه ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى . إنى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى ، فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك . تحطمهم بقضيب من حديد . مثل إناء خزاف تكسرهم ... الخ»

إن هذه النبوءة تدل على أن الأمم والشعوب وملوك الأرض ورؤساءها ، سيتآمرون على الله ، وعلى النبى الأمى الملقب بلقب المسيح . وذلك لئلا يخضعوا لشريعته . وسيجيشون الجيوش لحربه والقضاء عليه . ولكن الله تعالى سينصر عبده ، وسيجعله ملكا على صهيون نفسها . وسيمكنه من تحطيم أعدائه .

والمحرفون للإنجيل كتبوا : أن النصارى الأولون «رفعوا بنفس واحدة صوتا إلى الله وقالوا : أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل مافيها ، القائل بفم داود فتاك : لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل . قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معا ، على الرب وعلى مسيحه . لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته : هيرودس وبيلاطس البنطى ، مع أمم وشعوب إسرائيل» [أع ٤ : ٢٤-٢٧]

فى هذا النص :

١ - دليل على أن رب العالمين هو الله . لقوله : «**رفعوا بنفس واحدة صوتا إلى الله . وقالوا : أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل مافيها**» فمن أين جاء التثليث ؟

٢ - اجتماع الملوك والرؤساء على يسوع .

٣ - واجتماع الأمم والشعوب على يسوع .

فمن هم الملوك والرؤساء ؟ ومن هم الأمم والشعوب ؟ يقول المحرفون : إن الملوك والرؤساء هما اثنان فقط هيرودوس وبيلاطوس . فيا أيها العقلاء هل هيرودوس وبيلاطوس ملوك الأرض ورؤساء الأرض ؟ إنهما واليان لقيصر الروم .

ومن هم الأمم والشعوب ؟ يقول المحرفون : شعب بنى إسرائيل . فيا أيها العقلاء هل شعب إسرائيل هم كل أمم الأرض وشعوبها ؟ وهل كل شعب إسرائيل كانوا ضد عيسى عليه السلام ؟ كلا . فإن النصارى شيعة منهم وقد آمنوا به .

ولننتقل إلى نص النبوءة . وفيه : أن الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون وينصر عبده ، ليحطم بقضيب من حديد . فهل كان لعيسى ملك وجيش ؟ وهل حارب وانتصر ؟

نبوءة إشعياء :

فى الأصحاح الثامن من سفر أعمال الرسل : أن رجلا حبشيا جاء للحج إلى أورشليم . ولما رجع جلس على مركبته يقرأ فى سفر إشعياء . فتقدم إليه تلميذ للمسيح عليه السلام وقال له : إن الفصل الذى تقرأه هو نبوءة عن عيسى عليه السلام وبشره به . «وأما فصل الكتاب الذى كان يقرأه فكان هذا : مثل شاة سيق إلى الذبح ، ومثل خروف صامت أمام الذى يجزه . هكذا لم يفتح فاه . فى تواضعه انتُزع قضاؤه . وجيله من يخبر به ؛ لأن حياته تنتزع من الأرض» [أع ٨:٣٢-٣٣] وهى فى إشعياء هكذا : «كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه . من الضغطة ومن الدينونة أُخذ . وفى جيله من كان يُظن أنه قطع من أرض الأحياء» [إش ٥٣:٧-٨]

وهذا لايشير إلى عيسى عليه السلام لأن عيسى لم يقتل ولم يصلب ، وإنما الذى قتل وصلب هو يهوذا الإسخريوطى . فضلا عن أن سفر إشعياء كله غير مقدس عند اليهود السامريين .

بولس يكرز بالمسيح :

نبوءة النبى الأمى تدل على « المسِيح الرئيس » فى نظر أهل الكتاب ، ونبوءة الابن فى المزمور الثانى لداود تدل أيضا . وعيسى عليه السلام لم يقل إننى أنا هو . ومحرفو الإنجيل قالوا : إن بولس «جعل يكرز فى المجامع بالمسيح : أن هذا هو ابن[1] الله . فبهت جميع الذين كانوا يسمعون .

(١) يقصد المسيح الرئيس ، المسيا المنتظر . يريد أن يقول : إن المسيح الذى ينتظره اليهود هو عيسى عليه السلام لا محمد ﷺ

وقالوا : أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم . وقد جاء إلى هنا لهذا ، ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة ؟ وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق ، محققا : أن هذا هو المسيح[1]» [أع ٩:٢٠-٢٢]

نبوءة ابن الله :

وكرر بولس الكلام فى نبوءة ابن الله التى تدل على المسيا الذى تفسيره المسيح . وطبقها على عيسى عليه السلام مع أن المزمور الثانى كله لايشير إليه من قريب ولا من بعيد . فقال : «ونحن نبشركم بالموعد الذى صار لآبائنا : إن الله قد أكمل هذا لنا . نحن أولادهم . إذ أقام يسوع ، كما هو مكتوب أيضا فى المزمور الثانى : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك . إنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضا إلى فساد ... الخ» [أع ١٣:٣٢-٣٤]

إنجيل يوحنا المعمدان :

وكان يوحنا المعمدان يقول عن نبى الإسلام ﷺ «أنا أعمدكم بماء للتوبة . ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار . الذى رَفْشُه فى يده . وسينقى بيدَرَه ويجمع قمحه إلى المخزن . وأما التبن فيحرقه بنار لاتطفأ» [متى ٣:١١-١٢]

وبقوله قال عيسى عن نبى الإسلام ﷺ فقد روى عنه برنابا : «إن الآيات التى يفعلها الله على يدى ، تُظهر أنى أتكلم بما يريد الله . ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ؛ لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مَسيًّا» [برنابا ٤٢:١٣-١٥]

ومحرفو الإنجيل كتبوا : أن الذى يأتى بعد المعمدان هو يسوع . مع أن المعمدان ويسوع دعوا بدعوة واحدة . وهى الدعوة إلى اقتراب ملكوت السموات [متى ٣:١-٢ و ٤:١٧]

ففى الأصحاح التاسع عشر من سفر أعمال الرسل : «فحدث فيما كان أَبلُّوس فى كورنثوس أنَّ بُولُس بعدما اجتاز فى النواحى العالية ، جاء إلى أَفَسُس . فإذ وجد تلاميذ . قال لهم : هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟ قالوا

(١) ابن الله يقصد به المسيح الرئيس . المسيا المنتظر ، ولانقصد به بنوة طبيعية .

له : ولاسمعنا أنه يوجد الروح القدس . فقال لهم : فماذا اعتمدتم ؟ فقالوا : بمعمودية يوحنا . فقال بولس : إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلا للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده . أى بالمسيح يسوع . فلما سمعوا ، اعتمدوا باسم الرب يسوع . ولما وضع بولس يديه عليهم ، حل الروح القدس عليهم ، فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون» [أع ١٩:١-٦]

فقد غير المحرف .معنى تبشير المعمدان بمحمد ﷺ وألحق به معنى خرافيا ، وهو أن الذين اعتمدوا باسم يسوع ، تغيرت ألسنتهم من العبرانى أو اليونانى أو الآرامى إلى لغات أخرى .

ملكوت السموات :

وملكوت السموات الذى تحدث عنه دانيال ، ونادى المسيح والمعمدان معا إلى اقترابه . بعد زوال المملكة الرابعة وهى دولة الرومان ، قال محرفو الإنجيل : إنه ملكوت عيسى عليه السلام ففى الأصحاح الثامن والعشرين من أعمال الرسل «فعينوا له يوما - أى لبولس - فجاء إليه كثيرون إلى المنزل ، فطفق يشرح لهم شاهدا بملكوت الله ، ومقنعا إياهم من ناموس موسى والأنبياء بأمر يسوع من الصباح إلى المساء ، فاقتنع بعضهم بما قيل وبعضهم لم يؤمنوا» [أع ٢٨: ٢٣-٢٤].

تغيير الناموس :

ولما كان من صفات النبى الآتى أن يسمع له اليهود ويطيعون . والسمع والطاعة يدلان على نسخ شريعة موسى . كتب المحرفون : أن إيليا وموسى عليهما السلام قد ظهرا ليسوع على جبل طابور «وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم ، وصوت من السحابة قائلا : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت . له اسمعوا» [متى ٥:١٧] يعنون بالابن : الابن الذى هو المسيا فى المزمور الثانى . وهو نفسه النبى الآتى الذى من صفاته أن يسمع له بنو إسرائيل ويطيعون . وكيف يكون عيسى هو الابن وهو قد قال : «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» ؟

مبارك الآتى باسم الرب :

وقد ذكر عيسى عليه السلام نبوءة المزمور المائة والثامن عشر عن محمد ﷺ وفيها أ – «الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا» ب – «مبارك الآتى باسم الرب»

وقال بعدما استشهد به لعلماء بنى إسرائيل فى مثل الكرامين الأرديا‌ء : «إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره» [متى ٢١:٤٣] وقال أيضا «إنكم لاترونني من الآن ، حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب» [متى ٢٣:٣٩]

ومحرفو الإنجيل قالوا : إن الحجر المرفوض كناية عن أتباع يسوع الذى يُدعى المسيح ، وأن المبارك الآتى هو يسوع نفسه . ونسوا أن لإسماعيل بركة ، ونسوا أن أتباع يسوع من بنى إسرائيل وهو أيضا من بنى إسرائيل . والملكوت سينزع من بنى إسرائيل . فكيف يُنزع منهم ويُسلَّم لهم ؟

ففى الأصحاح الحادى عشر من مَرقس :

«ولما قربوا من أورشليم إلى بيت فاجى وبيت عنيا ، عند جبل الزيتون ، أرسل اثنين من تلاميذه . وقال لهما : اذهبا إلى القرية التى أمامكما ، فللوقت وأنتما داخلان إليها ، تجدان جحشا مربوطا ، لم يجلس عليه أحد من الناس ، فحلاه وأتيا به . وإن قال لكما أحد : لماذا تفعلان هذا ؟ فقولا : الرب محتاج إليه . فللوقت يُرسله إلى هنا . فمضيا ووجدا الجحش مربوطا عند الباب ، خارجا على الطريق . فحلاه . فقال لهما قوم من القيام هناك : ماذا تفعلان ؟ تحلان الجحش ؟ فقالا لهم كما أوصى يسوع . فتركوهما . فأتيا بالجحش إلى يسوع ، وألقيا عليه ثيابهما ، فجلس عليه .

وكثيرون فرشوا ثيابهم فى الطريق . وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر ، وفرشوها فى الطريق . والذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين : أُوصَنَّا . مبارك الآتى باسم الرب . مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب . أوصنا فى الأعالى .

فدخل يسوع أورشليم والهيكل .

ولما نظر حوله إلى كل شيء . إذ كان الوقت قد أمسى ، خرج إلى بيت عنيا ، مع الاثنى عشر . وفى الغد لما خرجوا من بيت عنيا ، جاع . فنظر شجرة تين من بعيد . عليها ورق ، وجاء لعله يجد فيها شيئا . فلما جاء إليها ، لم يجد شيئا ، إلا ورقا . لأنه لم يكن وقت التين . فأجاب يسوع وقال لها : لا يأكل أحد منك ثمرا بعدُ إلى الأبد . وكان تلاميذه يسمعون» [مرقس ١١:١-١٤]

إن هذا النص كله قد وضعه محرفو الإنجيل فى إنجيل مرقس وغيره . ليظهروا للناس : أن المبارك الآتى لينسخ شريعة موسى والذى هو من هاجر أم إسماعيل ، المرذولة من اليهود السفهاء . ليس هو محمد ﷺ بل هو عيسى عليه السلام . وهل يدخل ملك مدينة محمية من الرومان المسلحين بالجنود الرومانية المدربة ، ومن اليهود الذين يكرهونه كراهة تحريم ، وهو راكب على جحش ابن أتان ؟ وهل يدخل ملك فاتح مدينة مسورة بالأسوار العالية ومعه اثنا عشر من رجال ليسوا على أهبة الاستعداد للقتال والحرب ؟ هل يعقل هذا ؟ وهذا الملك المتوج يخرج ليلا من أورشليم ؛ لأنه لم يجد فيها خبزا يأكله . أى ملك هذا الذى لايجد مايأكله فى اليوم الذى أجلسوه فيه على كرسى داود ؟

مع أنه قد رفض الملك .

فإنه فى مدينة «نايين» كما يقول لوقا «ذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير . فلما اقترب إلى باب المدينة ، إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه . وهى أرملة ، ومعها جمع كثير من المدينة . فلما رآها الرب ، تحنن عليها ، وقال لها : لاتبكى . ثم تقدم ولمس النعش ، فوقف الحاملون . فقال : أيها الشاب لك أقول : قم . فجلس الميت ، وابتدأ يتكلم ، فدفعه إلى أمه . فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه» [لوقا ٧:١١-١٦ برنابا ٤٧]

وعند بحيرة طبرية صنع مائدة سماوية «فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا : إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم . وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ، ليجعلوه ملكا ، انصرف أيضا إلى الجبل وحده» [يوحنا ٦:١٤-١٥]

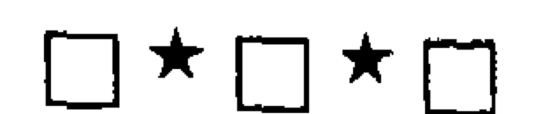
وقد قال رئيس الكهنة : «لعلك تريد أن تجعل نفسك ملكا على إسرائيل ؟ احذر من أن يحل بك خطر . أجاب يسوع : لوطلبت مجدى ورغبت فى نصيبى فى هذا العالم ؛ لما هربت ، لما أراد أهل نايين أن يجعلونى ملكا . حقا صدقنى إنى لست أطلب شيئا فى هذا العالم» [برنابا ٢٠٦ :٧-١٠]

«ثم رفع يديه إلى الرب وصلى قائلا[1] : أيها الرب إلهنا . إله إبراهيم وإله إسماعيل وإسحق . إله آبائنا . ارحم من أعطيتنى وخلصهم من العالم . لا أقول : خذهم من العالم ؛ لأنه من الضرورى أن يشهدوا على الذين يفسدون إنجيلى . ولكن أضرع إليك أن تحفظهم من الشرير ، حتى يحضروا معى يوم الدينونة ، **ليشهدوا على العالم** وعلى بيت إسرائيل ، الذى أفسد عهدك»

والله أعلم وأعز وأكرم ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين . آمين .

تم الكتاب . و لله الحمد .

وكان الفراغ من تأليفه فى السادس والعشرين من ربيع الثانى سنة ألف وأربعمائة وإحدى عشرة من الهجرة ، الموافق الثالث عشر من نوفمبر سنة الف وتسعمائة وتسعين من الميلاد .



(١) يوحنا ١٧ برنابا ٢١٢

فهرس الكتاب

الموضـــوع .... الصفحة

* * *

رقم الإيداع فى دار الكتب المصرية

٣٦٨٢ / ١٩٩١ م

دار النصر للطباعة الإسلامية



هذه القضية

بقلم : فضيلة الشيخ محمد الغزالى

الدهماء تستريح لما ورثت ، وكذلك أنصاف المتعلمين ، بل أنهم يسعدون بالمدى الذى بلغوه . وفى عالم التدين رأيت ناسا يضمون تحت خيمة الغيبيات أشياء من عند أنفسهم ، يزعمونها دينا وماهى بدين ، ويخلطون الحقائق بالأهواء متذرعين بأن ما وراء المادة لا يسبر غوره ، ولا تعرف له حدود .

وفساد الأديان ينشأ غالبا عن هذه الجراءة فى الاختلاق والاضافة ، وما يقبل هذا رب العالمين الذى منح الناس عقولا تميز الخبيث من الطيب والدخيل من الأصيل .

وقد رأيت أنه باسم الدين تقبل فنون من الشعوذة والترهات ، أو تقبل قضايا مشحونة بالمناقضات العلمية والخلقية ، لأنها - كما زعموا - جاءت من عند الله !

كلا .. فالله لا يجىء من عنده إفك ﴿ ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ أن الوحى أساس الدين بلا ريب ، وعندما يلهم الله بشرا بجملة من المعانى فقد ألهمه جملة من الحقائق التى لا يرقى إليها باطل .. ولهذا الالهام دائرة محصورة كما جاء فى كتابنا ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ، أنه علىٌ حكيم ﴾ . ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ إذ يستحيل أن يوحى الله بالأكاذيب والترهات .

هذا هو الوحى عندنا ، معارف سماوية يتلقاها عن ربه بشر كريم ، يتدبرها أولو الألباب فيستريحون إليها ويؤمنون بها ، فهل الوحى عند غيرنا كذلك؟ الظاهر أن عدداً من أهل الكتاب أعطى نفسه حق التفسير والتعليق ، أو حق الانشاء والتوجيه ، واطمأن الى صدق إيمانه عند نفسه ، ثم نسب ما جاء به إلى الله سبحانه ، على طريقة أنا كذبت له ، ولم أكذب عليه .. فلا مكان للوم !! ويقول عالم نصرانى واسع المعرفة ، وهو أسقف بيت المقدس، السيد كينيث كراغ فى كتابه «نداء المئذنة» «وبعكس القرآن فاننا نجد أن العهد الجديد يحوى بعض التلخيص والتنقيح ، هناك اختيار للألفاظ وتجديد وشواهد . إن كتب العهد الجديد قد جاءت من ذهن الكنيسة التى تقف وراء المؤلفين . فهذه الكتب تمثل الخبرة والتاريخ » .

ورغم أن هذه الكلمات لا تحمل أى معنى اخر نحتاج معه لاضافة أو تعليق ، لنثبت حجتنا ، فإن هذا الداعية النصرانى المحترف ، حتى بعد أن يكشف نفسه ، تكون لديه الجرأة على أن يقول : أنه قد أثبت إثباتا قاطعا بأن الكتاب المقدس هو «كلام الرب المتعذر إنكاره» وإنه لشىء عجيب هذا التلاعب بالألفاظ والكلمات .

ويقول الشيخ أحمد ديدات : وأتذكر أننى قابلت يوما قسيسا صغير السن كان يتردد على مسجدنا فى جوهانسبرج ، وفى ذهنه مهمة نبيلة ، وهى دعوة المترددين على المسجد إلى دينه ، فدعوته للغذاء فى منزل أخى القريب من المسجد ، وخلال مناقشتنا حول موضوع أصالة الكتاب المقدس وصحته ، لاحظت تصميمه العنيد ، فقلت له : إن البروفيسور جيزير ، (وهو رئيس قسم اللاهوت فى جامعتهم) لا يؤمن بأن الكتاب المقدس هو كلام الرب ، فكان رده مباشرة دون أى تردد : أنا أعلم ذلك ، فكررت قولى : إن محاضركم لا يؤمن بأن الكتاب المقدس كلام الرب ! فرد ثانيا : أعلم ذلك وتابع قائلاً : ولكننى شخصياً أؤمن بأنه كلام الرب ! وأقول لكم : إنه لا يوجد علاج لهذا النوع من الناس المغلقين .

والمأساة تجىء من تسلل عقائد وثنية ، أو تجريح أنبياء كرام ، أو تحريف معنى سام ، وهذا سر الاشراك المستخفى وراء تعدد الآلهة ووراء القرابين المادية التى يسترضى بها الاله الغاضب . من أجل ذلك جاء وعيد القرآن الكريم : ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمنا قليلا . فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ .